دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية المتخصصة
مركز تحقيق التراث

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان

تأليف

بدر الدين محمود العيني
المتوفى سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م

عصر سلاطين المماليك

الجزء الثاني

حوادث وتراجم

٦٦٥ـ٦٨٨هـ/ ١٢٦٦- ١٢٨٩م

حققه ووضع حواشيه
دكتور محمد محمد أمين
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة القاهرة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. محمد صابر عرب

بدرالدين العينى، محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد،
١٣٦١ - ١٤٥١.
عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان/ تأليف بدر الدين
محمود العينى؛ تحقيق محمد محمد أمين. - القاهرة: دار
الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، 2009-
مج 2 ، 522 ص ؛ 29 سم.
المحتويات: عصر سلاطين المماليك: حوادث وتراجم
٦٦٥ - ٦٨٨هـ/ ١٢٦٦ - ١٢٨٩م
تدمك 7 - 0677 - 18 - 977
١ - التاريخ
أ - أمين، محمد محمد (محقق)   ب - العنوان.
٩٠٧,٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg
رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٧٤/٢٠٠٩

I.S.B.N. 977 - 18 - 0677 - 7

المقدمة ومنهج التحقيق في صدر الجزء الأول

فصل فيما وقع من الحوادث

في السنة الخامسة والستين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله .

وسلطان البلاد المصرية والشامية : الملك الظاهر ، ونائبه بدمشق : الأمير جمال الدين أقوش النجيبي (١) ، وبحلب : نور الدين على الهكاري (٢) ، وبحماة : الملك المنصور (٣) .

وكان أول السنة يوم الأحد (٤) ، وفي اليوم الثاني خرج السلطان من دمشق إلى مصر . وقد ذكرنا أنه أرسل العساكر بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى

(*) يوافق أولها السبت ٢ أكتوبر ١٢٦٦ م — التوفيقات الإلهامية ، وانظر ما يلي هامش (٤) .

(١) هو أقوش بن عبد الله النجيبي الصالحي ، الأمير الكبير جمال الدين ، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨ م — انظر ما يلي .

(٢) هو على بن عمر بن مجلى الهكاري ، الأمير نور الدين ، المتوفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م — انظر ما يلي .

(٣) هو محمد بن محمود بن محمد بن عمر شاه بن أيوب ، الملك المنصور أبو المعالى ناصر الدين ، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م — انظر ما يلي .

(٤) « الأحد ثاني المحرم » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٨ ، وفي التوفيقات الإلهامية ص ٣٣٢ :

ناحية الكرك[(١)] لينظر فى أحوالها ، ولما وصل إلى القاهرة واستقر ركابه فيها نظر فى أمور الناس .

ثم فى ثامن عشر ربيع الأول[(٢)] نزل السلطان إلى الجامع الأزهر وصلى فيه الجمعة ، ولم تكن تقام فيه الجمعة من زمن العُبَيْديين[(٣)] إلى هذا الحين ، وهو أول مسجد وضع بالقاهرة ، بناه جوهر القائد ، وكان تقام فيه الجمعة إلى أن بنى الحاكم جامعه فحول إليه الجمعة وترك الأزهر[(٤)] ، فأمر السلطان بعمارته وبياضه وإقامة الخطبة فيه ، وكان فراغ جوهر القائد من بنائه فى سنة إحدى وستين وثلاثمائة فى خلافة المعز بن المنصور بعد بناء القاهرة بثلاث سنين ، ويقال إن به طلسما لا يسكنه عصفور ولا يفرخ به ، واستمرت إقامة الجمعة فيه إلى يومنا هذا .

وقال بيبرس فى تاريخه[(٥)] : وقد كانت انقطعت الخطبة فيه مدة تناهز مائة سنة ، فأراد الله إعادتها للإمام الحاكم والملك الظاهر .

(١) الكرك : قلعة حصينة جدا فى أطراف الشام ، نواحى البلقاء ، بين أيلة والقلزم ، على سن جبل عال — معجم البلدان .

(٢) « ثامن شهر ربيع الأول » فى الروض الزاهر ص ٢٧٧ ، « وفى ثانى عشر ربيع الأول » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٨ ، « ثامن عشر ربيع الآخر » فى السلوك جـ ١ ص ٥٥٦ ، ولا يوافق يوم جمعة إلا ما ورد بالمتن وفقا للتوفيقات الألهامية ، ويؤيده ما ورد فى المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٧٥ .

(٣) نسبة إلى عبيد الله المهدى أول الخلفاء الفاطميين بالمغرب ، وقد سقطت الدولة الفاطمية — بالقاهرة على يد صلاح الدين الأيوبى فى أول المحرم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م .

(٤) عن الجامع الأزهر وجامع الحاكم وتحول الخطبة — انظر المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٧٧ .

(٥) يوجد خرم فى نسخة زبدة الفكرة جـ ٩ الموجودة بين أيدينا من أثناء حوادث سنة ٦٦٣ هـ ، وحتى ذكر فتوح حصن الأكراد فى شعبان سنة ٦٦٩ هـ ، وذلك فيما بين الورقة ٧١ ب ، ٧٢ أ — انظر الجزء الأول من عقد الجمان ص ٤٠٢ ، وما يلى « ذكر فتح حصن الأكراد » فى حوادث سنة ٦٦٩ هـ .

ثم وصل الملك المنصور صاحب حماة إلى خدمة السلطان بالديار المصرية ، ثم طلب منه الدستور(١) بأن يتوجه إلى الإسكندرية ليتفرج فيها ، فرسم له بذلك، وأمر لأهل الإسكندرية بإكرامه واحترامه ، وفرش الشقق(٢) بين يدى فرسه ، فتوجه إليها وتفرج، ثم عاد إلى الديار المصرية مكرما محترما، ثم خلع عليه السلطان وأحسن إليه على جارى عادته ، ورسم له بالعود [٥٣٣] إلى بلده ، فعاد .

وقال بيبرس : وتوجه الملك المنصور إلى العباسة(٣) أيضا صحبة السلطان للصيد ، وعاد صحبته ، ثم سافر إلى محل ولايته .

ذكر توجه الملك الظاهر إلى ناحية الشام :

وفى هذه السنة توجه السلطان إلى الشام فى بعض أمرائه ، وأراح بقية العساكر بالديار المصرية ، وسار إلى صفد ، فلما وصلها بلغه أن طائفة من التتار على عزم قصد الرحبة(٤) ، فرتب أمر عمارة صفد وسار إلى دمشق مسرعا(٥) ، فورد الخبر برجوع التتار(٦) عن قصد الرحبة ، فأقام بدمشق خمسة أيام ، ثم عاد إلى جهة

(١) الدستور = الدساتير : فارسية ، من معانيها الإجازة أو الإذن — المنجد .

(٢) الشقة = الشقق : قطعة من قماش الكتان أو شعر الماعز — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٠٩ .

(٣) العباسة : بفتح أوله وتشديد ثانيه — بلدة فى الطريق من مصر إلى الشام تبعد عن القاهرة نحو ٧٥ كم ، أصبحت منذ عهد الملك الكامل الأيوبى متنزها فقد كان يكثر الخروج إليها للصيد لأن إلى جانبها مما يلى البرية مستنقع ماء يأوى إليها طير كثير — معجم البلدان .

(٤) الرحبة : على شاطئ الفرات بين الرقة وبغداد — معجم البلدان .

(٥) « فوصل إلى دمشق رابع عشر رجب » — الروض الزاهر ص ٢٨٠ ، السلوك جـ ١ ص ٥٥٨ .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى الروض الزاهر ص ٢٨٠ ، وورد فى السلوك « وجاء الخبر بقدوم التتار إلى الرحبة » — جـ ١ ص ٥٥٨ .

صفد وحفر خندقا حول قلعتها ، وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه ، وأمر بعمارة سور صفد وقلعتها وأن يكتب عليها : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ﴾ [1] : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هـم المفلحون ﴾ [2] .

وقال أبو شامة : وفى شهر رجب حفر السلطان الظاهر بيبرس خندقا لقلعة صفد ، وعمل فيـه بنفسه وعسكره ، وفى بعض تلك الأيام بلغـه أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى ضحوة ، فسرى ليلة ببعض عسكره فكمن لهم فى تلك الأودية ، فلما أبعدوا عن عكا خرج عليهم من ورائهم فقتل وأسر ، وضربت البشائر بدمشق بذلك [3] .

وقال بيبرس : وفيها وصل إلى السلطان رسل الإفرنج وأجابوا إلى المناصفة فى صيدا ، وهدم الشقيف [4] ، وكان قد بلغه أنهم أغاروا على مشغرا ، فأنكر عليهم وأقيموا بين يديه قياما منزعجا ، ثم ركب وشن الغارة على عكا ، وعمل اليزك [5] على

(١) سورة الأنبياء رقم ٢١ آية رقم ١٠٥ .

(٢) سورة المجادلة رقم ٥٨ جزء من الآية رقم ٢٢ .

(٣) لم يرد هذا الخبر فى الذيل على الروضتين المطبوع .

(٤) الشقيف = شقيف أرنون : بفتح أوله وكسر ثانيه ، قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس ـ معجم البلدان .

(٥) اليزك : طلائع الجيش ـ صبح الأعشى ج ١٠ ص ١١٤ .

أبوابها ، وقطع الأشجار ، وأحرق الثمار ، وهدم طاحونا لبيت الاسبتار يسمى طاحون كردانة .

وكان أهل صور قد قتلوا شخصا من مقدمي رجال الصُّبَيْبة (١) يسمى السابق شاهين ، فقرر عليهم ديته خمسة عشر ألف دينار صورية وسألوا الصلح ، فأجابهم ، وكتبت هُدْنة لمدة عشر سنين لصور وبلادها وهي تسعة وتسعون قرية (٢) ، وقررت الهدنة مع بيت الاسبتار على حصن الأكراد والمرقب (٣) .

[٥٣٤] واستقرت قاعدة الصلح مع صاحبة بيروت ، فإن أخاها كان قد غدر بمركب الأتابك فيه جماعة من التجار كانوا متوجهين إلى قبرس ، فطالبهم السلطان بمال التجار ، فالتزموا به ، والتزموا إطلاق التجار ، وتقرر الصلح .

وفيها : تنازع الشريف عز الدين جماز (٤) بن شيحة و بدر الدين مالك (٥) بن منيف ابن شيحة بن أخيه على نصف المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فحضر مالك بن منيف إلى الأبواب السلطانية على صفد مستصرخا ،

---

(١) « صفد » في الأصل ، والتصحيح من الروض الزاهر ص ٢٨٢ ، السلوك جـ ١ ص ٥٥٨ .

(٢) « لصفد » في الأصل .

(٣) المرقب : بالفتح ثم السكون : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس — معجم البلدان .

(٤) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ، الشريف عز الدين الحسيني ، المتوفى سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م — المنهل الصافي ، العقد الثمين جـ ٣ ص ٤٢٩ رقم ٩٠٩ ، التحفة اللطيفة جـ ١ ص ٤٢٣ رقم ٧٩٢ .

(٥) « ملك بن منيف » في السلوك جـ ١ ص ٥٦٠ .

وهو مالك بن منيف بن شيحة ، الروض الزاهر ص ٢٨٤ ، وانظر المنهل الصافي جـ ٤ ص ١٩٣ — ١٩٤ .

فكتب له السلطان كتابا إلى عمّه برد النصف الذي كان بيد أبيه إليه ، فتقرر الاتفاق بينهما .

ومن غريب ما يُحكى ما قاله ابن كثير : وحكى القاضى شمس الدين بن خلكان فيما نقل بخطه عن خط الشيخ قطب الدين اليُونينى قال : بلغنا أن رجلا بدير أبى سلامة (١) من ناحية بُصرى (٢) ، وكان فيه جنون وعنده استهتار (٣) ، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال : والله لا أستاك إلا فى المخرج ، [يعنى دبره (٤)] فوضع سواكا فى مخرجه [ثم أخرجه (٥)] ، فمكث [بعده (٦)] تسعة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج (٧)] ، ووضع ولدا على صفة الجرذان (٨) ، له أربعة قوائم ورأسه كرأس السمكة وله دبر كالأرنب ، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، فقامت إليه ابنة ذلك الرجل [فرضخت (٩)] رأسه فمات ، وعاش الرجل بعد وضعه له يومين ، ومات فى الثالث ، وكان يقول : هذا الحيوان قتلنى وقطع أمعائى ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك

(١) « أن رجلا يدعى أبا سلامة » — فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ .

(٢) بصرى : بالضم والقصر ، والمقصودة هنا من أعمال دمشق ، وهى قصبة كورة حوران — معجم البلدان .

(٣) « كان فيه مجون واستهتار » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ .

(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٨) « الجرذون » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٩) [ ] بياض فى الأصل ، والتكملة من البداية والنهاية .

الناحية ، وخطيب المكان[1] ، ومنهم من رآه حيًّا قبل أن يموت[2] ، ومنهم من رآه بعد موته[3] .

وفيها : « ... ... »[4] .

وفيها : حج بالناس « ... ... »[5] .

(١) « وخطباء ذلك المكان » في البداية والنهاية .

(٢) « ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيا » — البداية والنهاية .

(٣) انظر البداية جـ ١٣ ص ٢٤٩ ، وانظر أيضا شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٧ .

(٤) (٥) « ... ... » بياض في الأصل .

ذكر مَنْ تُوفى فيها من الأعيان

قاضى القضاة بالديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلَّامى (١) المصرى ، الفقيه الشافعى المعروف بابن بنت الأعز .

تفقـه على مذهب الشافعى ، وسمـع وحدَّث ، ووُزِّر لغير واحد من الملوك وتقدَّم عندهم ، وكان دينًا عفيفًا نزها ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يقبل [٥٣٥] شفاعة أحد ، وجُمِع له قضاء الديار المصرية بكمالها ، والخطابة ، والحسبة ، ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأحباس (٢) ، وتدريس الشافعى ، والصالحيَّة (٣) ، وإمامة الجامع ، وكان بيـده خمس عشرة وظيفة ، وباشر الوزارة فى بعض الأوقات ، وكان السلطان يُعظمه ، والوزيرُ ابن الحِنَّا (٤) يخاف منه كثيرا وكان يُحِبُّ أن ينكبه عند السلطان فلا يستطيع ذلك .

---

(١) وله أيضا ترجمـة فى : المنهل الصافى ، النجـوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٢ ، العـبر جـ ٥ ص ٢٨١ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، السلوك جـ ١ ص ٥٦١ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٩ .

(٢) نظر الأحباس ؛ تطور مدلول لفظ الأحباس فى العصر المملوكى ، انظر : الأوقاف والحياة الإجتماعية ص ١٠٧ وما بعدها .

(٣) المدرسة الصالحية بالقاهرة ، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، بدئ فى بنائها سـنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٠ م ، المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٣٧٤ .

(٤) هو على بن محمـد بن سليم ، الصاحب بهاء الدين أبو الحسن بن حنا ، المتوفى سـنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م — انظر ما يلى .

وكان مولده فى سنة أربع وستمائة ، وتوفى فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب من هذه السنة بالقاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، وكانت جنازته مشهودة ، وتولى بعده القضاء تقى الدين بن رزين (١) .

أبو شامة ، الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن (٢) بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان ابن أبى بكر بن عباس ، أبو محمد وأبو القاسم ، المقدسى ، الشيخ الصالح الإمام العلامة الحافظ المحدث المقرئ ، الفقيه الشافعى المعروف بأبى شامة .

شيخ دار الحديث الأشرفية (٣) ، وتدريس الركنية ، وصاحب المصنفات المفيدة منها : مختصر تاريخ دمشق ، وشرح الشاطبية ، وكتاب البعث والإسراء ، وكتاب الروضتين فى الدولتين النورية والصلاحية ، وله الذيل على ذلك ، وغير ذلك .

وُلد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وتفقه على الفخر بن عساكر (٤) ، وابن عبد السلام (٥) ، والشيخ سيف الدين الآمدى (٦) ،

---

(١) هو محمد بن الحسين رزين ، تقى الدين أبو عبد الله الشافعى ، المتوفى سنة ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م — انظر ما يلى .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٦٩ رقم ٢٦١ ، العبر جـ ٥ ص ٢٨٠ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٧ ، غاية النهاية جـ ١ ص ٣٦٥ رقم ١٥٥٨ ، السلوك جـ ١ ص ٥٦٢ .

(٣) دار الحديث الأشرفية بدمشق : تنسب إلى الملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن موسى بن أيوب ، المتوفى سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م — الدارس جـ ١ ص ١٩ وما بعدها .

(٤) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقى ، فخر الدين ، المعروف بابن عساكر ، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ/١٢٢٣ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٣٥ رقم ٣٦٦ .

(٥) هو الفتح بن عبد الله بن محمد بن على بن هبة الله بن عبد السلام ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م — العبر جـ ٥ ص ١٠٠ .

(٦) هو على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى ، سيف الدين الآمدى ، المتوفى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٩٣ رقم ٤٣٢ .

والشيخ موفق الدين بن قدامة (١)، وكان يقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد، وقد كان ينظم أشعارا، وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في تفننه وديانتـه وثقته وأمانته، وكان قرأ القـرآن بالقراءات على الشـيخ علم الدين السخاوى (٢) وصحـبه مدة، وقرأ عليه العربيّة، وتفقه على الشيخ تقى الدين بن الصلاح (٣)، وقد كانت وفاته بسبب جماعة ألبوا عليه، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزل له بطواحين الأشنان (٤)، وكان قد اتهم بأمر، الظاهر براءته منه .

وقد قال جماعة من أهـل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما، ولم يزل يكتب في التاريخ حـتى وصل إلى رجب من هـذه السنة، فذكر [٥٣٦] أنه أصيب بمحنة فى منزله بطواحين الأشنان، وكان الذين قتلوه جاؤوه قبـل ذلك فضربوه ليموت فلم يمت، فقيل له : ألا تشتكى ؟ فلم يفعل، وأنشأ يقول :

قلتُ لِمَنْ قـال ألا تشتكى ما قـد جرى فهو عظيم جليل
فقيِّضُ (٥) الله تعـالى لنـا مَنْ يأخذ الحقّ ويشفى الغليل
إذا توكّلنـا عليـــه كفى فَحَسْبُنـا الله ونعم الوكيل

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الشافعى ، موفق الدين أبو محمد ، المتوفى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م — العبر جـ ٥ ص ٧٩ .

(٢) هو على بن محمـد بن عبد الصمد بن عبـد الأحد الهمدانى المقـرئ النحوى ، علم الدين ، السخاوى ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م — العبر جـ ٥ ص ١٧٨

(٣) هو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى الكردى الشهرزورى الموصلى ، الشافعى ، تقى الدين ، أبو عمرو ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م — العبر جـ ٥ ص ١٧٧ .

(٤) الطواحين : موضع قرب الرملة من أرض فلسطين — معجم البلدان .

(٥) « يقيض » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥١ .

وكأنهم عادوا إليه مرة ثانية وهو فى منزله المذكور، فقتلوه فى ليلة الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان منها، ودفن من يومه بمقابر باب الفراديس، وباشر بعده مشيخة الحديث الأشرفية الشيخ محيي النووى (١)، رحمه الله.

الشيخ الأصيل أبو يوسف يعقوب بن أبى البركات عبد الرحمن بن القاضى أبى سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن على بن المطهر بن أبى عصرون التميمى الشافعى، المنعوت بالسعد.

أجاز له جماعة منهم: الحافظ بن الجوزى (٢)، ودرس بالمدرسة القطبية (٣) بالقاهرة مدة، وهو من ذوى البيوتات المشهورة بالفقه والحديث والتقدم، مات فى الثالث والعشرين من شهر رمضان بالمحلة.

الأمير الكبير ناصر الدين أبو المعالى الحسين (٤) بن أبى الفوارس القيمرى الكردى.

---

(١) هو يحيى بن شرف بن مرى، محى الدين النووى، المتوفى سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م — انظر ما يلى.

(٢) هو عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى البغدادى، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٢٠ رقم ٣٧٠.

(٣) المدرسة القطبية بالقاهرة: فى خط سويقة الصاحب داخل درب الحريرى، أنشأها الأمير قطب الدين خسرو سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٣٦٥

(٤) هو الحسين بن عبد العزيز بن أبى الفوارس، الإمير الكبير.

وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، العبر ٥ ص ٢٨٠، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٧، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٠، السلوك جـ ١ ٥٦٢، واسمه فيه «ناصر الدين حسين بن عزيز القيمرى».

كان من أعظم الأمراء وأرفعهم منزلة عند الملوك ، وهو الذى سلم الشام إلى الملك الناصر يوسف صاحب حلب حين قتل توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية[(١)] عند مئذنة فيروز ، وعمل على بابها ساعات لم يسبق إلى مثلها ولا عمل على شكلها ، فيقال : إنه غرم عليها أربعين ألف درهم ، مات يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وكان موته بالساحل .

بركة[(٢)] خان بن صاين خان بن دوشى خان بن جنكزخان ، ملك التتار ببلاد الشمال ، وهو ابن عم هلاون خان .

وكان قد دخل فى بلاد الإسلام كما ذكرناه ، وكان بينه وبين السلطان الملك الظاهر صحبة ومودة ، وكان لا يقطع مكاتبته [٥٣٧] ولا مراسلته من الظاهر ، وقد وقع بينه وبين هلاون من الحروب ما ذكرناه ، وكان يحب العلماء والصالحين ، ومن أكبر حسناته كسره لهلاون وتفريقه جنوده ، وكان أعظم ملوك التتار ، وكرسى مملكته مدينة صراى ، توفى فى هذه السنة ولم يكن له ولد ذكر ، فاستقر عوضه ابن أخيه منكوتمر[(٣)] بن طوغان بن دوشى خان بن جنكزخان ، وجلس على

(١) المدرسة القيمرية بدمشق — الدارس جـ ١ ص ٤٤١ وما بعدها .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٣٤٩ رقم ٦٦٠ ، نهاية الأرب جـ ٢٧ ص ٣٥٨ — ٣٦١ ، العبر جـ ٥ ص ٢٨٠ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٤٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٧ ، الوافى جـ ١٠ ص ١١٧ ، السلوك جـ ١ ص ٥٦١ ، ذيل مرآة الزمان جـ ١ ص ٣٦٤ .

(٣) توفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م — انظر المنهل الصافى جـ ٤ ص ٧٩ .

كرمىّ صَرَاى (١) ، وصارت إليه مملكة التتار ببلاد الشمال والتُّرك والقفجاق وباب الحديد وما يليه ، ثم وقعت بينه وبين أبغا (٢) بن هلاون حروب كثيرة ، فكسره أبغا وغنم منه شيئا كثيرا ، وعاد أبغا إلى بلاده ، والله أعلم .

(١) صراى أو سراى : مدينة شمال غرب بحر الخزر (قزوين) — معجم البلدان .

(٢) توفى سنه ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ١٩٨ رقم ١٠١ ، الوافى جـ ٦ ص ١٧٨ رقم ٢٦٤٩ ، السلوك جـ١ ص ٧٠٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٨ .

فصلٌ فيما وقع من الحوادث

في السّنة السّادسة والسّتين بعد السّتمائة (*)

استهلت هذه السنة والخليفة هو : الحاكم بأمر الله .

وسلطان البلاد المصريّة والشاميّة والحلبيّة : الملك الظاهر بيبرس .

وسلطان الروم : الملك ركن الدين قليج أرسلان .

وصاحب العراقين وغيرهما : أبغا بن هلاون .

وصاحب البلاد الشمالية التي كرسيُّها صَرَاىْ : منكوتُمر بن طوغان ، وكتب إليه الملك الظاهر بالتعزية لأجل بركة خان ، والتهنئة لأجل ولايته عوضه ، وأغراه على قتال أبغا بن هلاون .

ذكرُ سفر السلطان الظّاهر إلى الشّام :

وفي شهر جمادى الآخرة (١) تجهز السلطان لأجل السفر إلى الشام ، وخرج من القاهرة في ثالث الشهر المذكور ، ولما وصل إلى غزة أمر العساكر بمنازلة

(*) يوافق أولها الخميس ٢٢ سبتمبر ١٢٦٧ م .

(١) « الأخرى » في الأصل .

الشقيف (١) ، فنازلوها بغتة وضايقوها ، وناوشوا أهلها القتال ، ونزل السلطان بالعوجاء (٢) .

ذكر فتح يافا :

وفي جمادى الآخرة فتحت يافا ، وذلك أن صاحبها جُوان دبلين (٣) سيّر متجرمة في زيّ صيادين إلى قطنا (٤) ، واتفق هلاكه وقيامُ ولده مقامه ، فلما وصل السلطان إلى العوجاء حضر إليه رسله وهم قسطلان (٥) يافا وأكابرُها ، فعوّقهم ، وسيّر الحجاب إلى العساكر يأمرهم بلبس العَدَد والركوب على أتم أُهْبَةٍ [٥٣٨] ، وركب نصف الليل ، فصبّح يافا صباحاً ، فلما عاينوا كثرة العساكر المنصورة ، وشاهدوا تلك الجيوش بتلك الأُهْبة والصورة ، شملهم الذهول ، وطارت منهم العقول ، فملك المسلمون المدينة ، ولجأ أهلها إلى القلعة ، وسألوا الأمان على أن يطلقوا

---

(١) الشقيف أو شقيف أرنون : معقل حصين بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٤٢ .

(٢) العوجاء : اسم لعدة مواضع ، والمقصود هنا : نهر (ماء) — موضع بين أرسوف والرملة بفلسطين — معجم البلدان .

(٣) هو John II d'Ibelin.

(٤) « قطيا » في الأصل ، والتصحيح من الروض الزاهر ص ٢٩٢ .

قطنا : من قرى دمشق — معجم البلدان .

(٥) القسطلان : معرب اللفظ اللاتيني Castellanus وهو حارس القصر — زيادة : السلوك جـ ١ ص ٩٦٧ هامش (٥) .

ويرد أن وصول رسل يافا كان في « ثاني جمادى الأولى » — كنز الدرر جـ ٨ ص ١٢٤

بأموالهم وأولادهم ، فأجابهم ، وتسلم القلعة منهم ، وطلعت عليها السناجق (١) السلطانية في العشر الأوسط من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وأمر السلطان بهدم المدينة فهدمت ، وكذلك هدمت القلعة ، وقد كانت الفرنج قد اعتنوا بعمارتها وتحصينها فجعلوها بلقعاً (٢) لئلا يكون لهم إليها عودة ، وقد كان الريد افرنس (٣) لما أطلق من الأسر من ثغر دمياط حضر إليها وعمرها وأنفق عليها أموالا .

وذكر ابن عساكر في تاريخه : أن أول من بناها الملك طنكلي في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة (٤) ، ولما فرغ السلطان من هدمها رحل عنها إلى الشقيف منصورا .

ذكر فتح شقيف أرنون :

في رجب من هذه السنة .

ولما أتى إليها السلطان نزل عليها ، وقد كان جهز لمضايقتها عسكرا صحبة بجكا العزيزي (٥) ، وله قلعتان ، ولما ضويقوا عجزوا عن حماية القلعتين ، فأحرقوا أحديهما ، فتسلمها المسلمون في السادس والعشرين من رجب ، وخرج الوزير

(١) سنجق = سناجق : لفظ تركي ، يطلق في الأصل على الرمح ، والمقصود الأعلام السلطانية — صبح الأعشى جـ ٤ ص ٨ ، جـ ٥ ص ٤٥٦ ، ٥٨ ، ٤ .

(٢) البلقع : الأرض المقفرة — المنجد .

(٣) المقصود لويس التاسع ملك فرنسا ، وانظر كنز الدرر جـ ٨ ص ١٢٤ .

(٤) انظر أيضا الروض الزاهر ص ٢٩٤ .

(٥) « الأمير بدر الدين بكتوت بجكا العزيزي » في الروض الزاهر ص ٢٩٦ .

كُلّهام من القلعة الأخرى مستأمنا فأمَّنه السلطان، وفى آخر الشهر تسلمت وطلعت عليها السناجق السلطانيّة ونصبت ، وأخرج أهلها وصُيِّروا إلى جهة صُور ، وبعث السلطان الأثقال إلى الشام .

ثم رحل عنها وبثّ العساكر للإغارة على طرابلس وأعمالها ، فقطعوا أشجارها وخرّبوا ما حولها من الكنائس ، ونهبوا وسبوا ، فلما سمع صاحب صافيتا وأنطرسوس بما حل بالفرنج من العكوس خاف أن يمسَّه ما مسَّهم من البؤس ، فبادر إلى الخدمة ، وتلقى العساكر بالإقامة ، وأحضر مَنْ كان عنده من أسرى المسلمين ، وكانوا ثلاثمائة أسير[1] .

[٥٣٩] ثم رحل السلطان إلى حمص ، ومن حمص إلى حماة .

ذكر فتح أنطاكية :

فى شهر رمضان من هذه السنة .

وهى مدينة عظيمة ، يقال إن دَوْرَ سُورِها اثنى عشر ميلا ، وعدد بروجها مائة وثلاثون برجا ، وعدد شرفاتها أربعة وعشرون ألف شرفة .

ولما رحل السلطان من حمص إلى حماة فرّق العساكر ثلاث فرق : فرقة صحبته ، وفرقة صحبة الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، وفرقة صحبة الأمير عز الدين يوغان الركنى[2] .

---

(١) انظر الروض الزاهر ص ٣٠٦ ، السلوك جـ ١ ص ٥٦٦ .

(٢) « ولما وصل حماة رتب العسكر ثلاث فرق ، فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخزندار ، وفرقة مع الامير عز الدين إيغان ، وفرقة صحبة السلطان » — الروض الزاهر ص ٣٠٧ ، السلوك جـ ١ ص ٥٦٧ .

قال بيبرس : وكنت فى هـذه الغزاة المبرورة ، فأما قلاون ومن معـه فإنه سار من أفامية[(١)]، فصابحنا القُصير[(٢)] صباحا وشَنّنا أهله القتال غدوًا ورواحا ، وارتحلنا إلى أنطاكية فنزلنـا من غربيها على سفح الجبل ، وتواصلت العساكر إليهـا ، ونزل السلطان عليها فى اليوم الأول من شهر رمضان ، وخرج منهـا جماعة فيهم كُنُدُ اصْطبل عمُّ صاحب سيس الذى ذكرناه أنه انهزم فى نوبة سيس ، فالتقوا مع الجاليش[(٣)] المنصور ، فاستظهر الجاليش عليهم ، وأسرَ الكُنُدَ جندىٌّ من أجناد الأمير الأجل شمس الدين آقسنقر الفارقانى[(٤)] ، يُسمَّى المظفرى ، وأحضره إلى السلطان ، فأعطاه عشرة طواشية ، وأمره بحمل رَنْك[(٥)] كند اصطبل ، فحمل رُنكة على سنجقه إلى أن مات ، وسأل هذا الكند أن يدخل أنطاكية ويتحدث مع أهلها ويحذرهم وينذرهم ، وأحضر ولده رهينة على ذلك ، فلم يُغْنِ شيئا .

وفى يوم السبت رابـع رمضان المعظم قـدره زحفت العساكر ، وأطافت بالمدينة والقلعة ، وقاتل أهلهـا قتالا شديدا ذريعا ، وجاهدهم المسلمون جهادا

---

(١) أفامية : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكورة من كور حمص — معجم البلدان .

(٢) القصير : بلفظ تصغير قصر : اسم لعدة مواضع : والمقصود هنا : ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق — معجم البلدان .

(٣) الجاليش : راية عظيمة فى رأسها خصلة من الشعر — صبح الأعشى ج ٤ ص ٨ . ولعل المقصود هنا مقدمة الجيش أو طلائعه .

(٤) هو آق سنقر بن عبـد الله النجمى الفارقانى ، الأمير شمس الدين ، المتوفى سـنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م — انظر ما يلى .

(٥) رنك = رنوك : لفظ فارسى معناه اللون ، وقد استخدم فى المصطلح بمعنى الشعار الذى يدل على الوظيفة — صبح الأعشى ج ٤ ص ٦١ — ٦٢ .

عظيما ، وتسوّروا الأسوار من جهة الجبل ، ونزلوا المدينة بالبيض والأسَل (١) ، وشرعوا في النهب والقتل والأسْر حتى أثخنوا فيهم غاية الإثخان ، واجتمع نحو القلعة منهم نحو ثمانية آلاف منهم ، وسألوا الأمان ، فأجيبوا إليه . وأخذوا في الحبال ، وقُتِل وأُسِر جمع يتجاوز الإحصاء من النساء والرجال ، وكان بها مائة ألف أو يزيدون ، ووجدوا بها من الأُسرى والحلبيّين خلقا كثيرا .

وكتبت كُتب البشائر ، ومن جملتها كتاب إلى صاحبها (٢) نسخته :

قد علم القومص (٣) الجليل [المبجل ، المعزز الهمام ، الأسد الضرغام] بيمند (٤) ، [فخر الأمة المسيحية ، رئيس الطائفة الصليبية ، كبير الأمة العيسوية (٥)] المنتقلة مخاطبته بأخذ أنطاكية [منه] (٦) من البرنسية إلى القومصية ، ألهمه الله رشده ، وقرن بالخير قصده ، وجعل النصيحة محفوظة عنده (٧) ، ما كان من قصدنا طرابلس وغزونا له في عقر الدار ، وما شاهده بعد رحيلنا من اخراب العامر وهدم الأعمار ، وكيف كُنست تلك الكنائس من على (٨) بساط الأرض ، ودارت الدوائر على كل دار ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل البحر كالجزائر ،

---

(١) الأسل : الرمح ، أى السيوف والرماح .

(٢) هو بوهمند السادس Bohemond VI أمير أنطاكية وطرابلس .

(٣) القومص في اللاتينية Comes ، وفي العربية الدارجة « الكونت » .

(٤) ، (٥) [ ] إضافة من نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٨ ورقة ٢٠٢ أ ، وانظر أيضا الروض الزاهر ص ٣٠٩ .

(٦) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

(٧) « عليه » في نهاية الأرب .

(٨) « على » ساقط من نهاية الأرب .

وكيف قُتلت الرجال ، واستُخدمت الأولاد ، وتُملكت الحرائر ، وكيف قُطعت الأشجار ، ولم يُترك إلا ما يصلح للأعواد والمجانيق (١) والستائر ، وكيف نُهبت لك ولرعيتك الأموال والحريم والأولاد والحـواشي (٢) ، وكيف استغنى الفقير ، وتأهّل العازِبُ ، واستخدم الخديم ، وركب الماشي ، هـذا وأنت تنظر نظر المغشيّ عليه من المـوت ، وإذا سمعت صوتا قلت فزعا : علّيّ هـذا الصوت ، وكيف رحلنـا عنك رحيل مَنْ يعُود ، وأخّرناك وما كان تأخيرك إلا لأجل معـدود ، وكيف فارقنا بلادك ، وما بقيت ماشية إلا وهى لدينا ماشية ، ولاجارية إلا وهى فى ملكنا جَارِيَة ، ولا سارية إلا وهى بين أيدى المعاول سارية ، ولا زرع إلا وهو محصود ، ولا موجود لك إلا وهو منك مفقود ، ولا منعت تلك المغايرُ التى هى فى رءوس الجبـال الشاهقة ، ولاتلك الأودية التى هى فى التخوم مُخـترقة ، وللعقول خارقة ، وكيف سُقنا عنك ولم يسبُقنَا إلى مدينتك أنطاكية خبَرَ ،وكيف وصلنا إليهـا وأنت لاتُصدّق أننا نَبْعُـد عنك ، وإن بعُدْنا فسنعود على الأَثْر ، وها نحن نعلمك بمـا تمّ ، ونفهمك بالبـلاءِ الذى عمّ : كان رحيلنـا عنك من طرابلس يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان ، ونزولنـا أنطاكية فى مستهل شهر رمضان ، وفى حالة النزول خرجت عساكرك للبـارزة فكسِرُوا ، وتناصروا فـا نُصروا ، وأُسِر من بينهم كُنداصْطبل ، فسأل فى (٣) مراجعة أصحابك ، فدخل إلى المدينة ، فخرج هو وجماعة من رهبانك ، وأعيان أعوانك ، فتحدّثوا معنـا ،

(١) « لأعواد المجانيق إن شاء الله » فى الروض الزاهر ص ٣٠٩ ، ونهاية الأرب .

(٢) « والمواشى » فى نهاية الأرب ، والروض الزاهر .

(٣) « فى » ساقط من نهاية الأرب .

فرأيناهم على رأيك من إتلاف النفوس بالغرض الفاسد ، [٥٤١] وإنّ رأيهم في الخير مختلف ، وقولهم في الشّر واحد ، فلما رأيناهم قد فات فيهم الفَوْت ، وأنّهم قد قدّر [الله] (١) عليهم المَوْت ، رددناهم وقلنا : نحن الساعة لكم محاصر، وهذا هو الأول في الإنذار والآخر ، فرجعوا متشبهين بفعلك ، ومعتقدين أنك تدركهم بخيلك ورجلك ، ففي بعض ساعةٍ مَرّ شأن المَرْءُ شان (٢) ، وداخل الرهَبُ الرهبان ، [و] (٣) لان للبلاء القسطلان (٤) ، وجاءهم الموتُ من كل مكان ، وفتحناها بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان ، وقتلنا كل من اخترته لحفظها والمحاماة عنها ، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيءٌ من الدنيا ، فما بقي أحد منا إلا وعنده شيءٌ منهم ومنها ، فلو رأيت خيّالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيول ، وديارك والنّهابة فيها تصول ، والكسّابة (٥) فيها تجول ، وأموالك وهي تُوزَنَ بالقنطار ،

(١) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣١١ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٨ ورقة ٢٥٢ ب .

(٢) هكذا بالأصل ، وفي الروض الزاهر ، ونهاية الأرب « مرشان المرشان » — انظر أيضا ملحق رقم / ٢ السلوك جـ ١ ص ٩٦٧ .

و « المرشان » في مصطلح التاريخ الأوربي في العصور الوسطى « منظم الحفلات والمجالس » في البلاط ، وربما يرادفه في مصطلح دولة المماليك وظيفة « أمير مجلس » — زيادة : السلوك — جـ ١ ص ٩٦٧ هامش (٤) .

(٣) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣١١ .

(٤) القسطلان — لفظ لاتيني بمعنى « حارس القصر » — زيادة : السلوك جـ ١ ص ٩٦٧ هامش (٥) .

(٥) الكسابة : الذين كان همهم كسب الغنائم وجمعها .

وداماتك[1] وكل أربع منهن تباع ، فتشترى من مالك بدينار، ولو رأيت كنائسك : وصلبانها قد كسرت[2] ، وصحفها من الأناجيل المزورة قد نشرت ، وقبور البطارقة قد بعثرت ، ولو رأيت عدوك المسلم داس[3] مكان القداس والمذبح ، وقد ذبح فيه الراهب والقسيس والشماس ، والبطارقة قد دهموا[4] بطارقة ، وأبناء المملكة ، وقد دخلوا فى المملكة ، ولو شاهدت النيران وهى فى قصورك تخترق ، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الآخرة تحترق ، وقصورك وأحوالها قد حالت ، وكنيسة بولص وكنيسة القسيان وقد تركت كل منهما وزالت[5] ، لكنت تقول : ﴿ ياليتنى كنت ترابا ﴾[6] و ياليتنى لم أوت بهذا الخبر كتابا ، ولكانت نفسك تذهب من حسرتك ، ولكنت تطفىء تلك النيران من ماء عبرتك ، ولو رأيت مغانيك [وقد أقفرت من مغانيك][7] ، ومراكبك وقد أخذت فى السويدية بمراكبك ، فصارت شوانيك من شوانيك ، لتيقنت أن الإله الذى أنطاك[8] أنطاكية منك استرجعها ، والرب الذى أعطاك قلعتها منك قلعها ، ومن الأرض اقتلعها ، ولتعلم أنا قد أخذنا بحمد

---

(١) هكذا بالأصل ، وفى المصادر المتداولة فيما عدا صبح الأعشى فورد به « و إماءك » — ولعل المقصود بها النساء .

(٢) « قد كسرت ونشرت » فى الروض الزاهر ص ٣١١ ، ونهاية الأرب ، وملحق السلوك ، و يبدو أن ماورد فى المتن هو الأرجح — انظر باقى العبارة .

(٣) « وقد داس » فى الروض الزاهر ، ونهاية الأرب .

(٤) « وقد » فى الروض الزاهر ، ونهاية الأرب .

(٥) « وقد زلت كل منهما وزالت » فى الروض الزاهر ، و « وقد زلت وزالت » فى نهاية الأرب ، وملحق السلوك .

(٦) سورة النبأ رقم ٧٨ جزء من الآية رقم ٤٠ .

(٧) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣١٢ ، ونهاية الأرب .

(٨) أنطاك : أعطاه — المنجد .
وورد « أعطاك » فى ملحق السلوك .

الله منك ما كنت قد(١) أخذته من حصون الإسلام ، وهو دير كُوش ، وشقيف كفردوش(٢) ، وجميع ما كان لك(٣) فى بلاد أنطاكية ، واستنزلنا أصحابك من الصّياصى ، وأخذناهم بالنواصى(٤) ، وفرقناهم فى الدانى والقاصى ، [٥٤٢] ولم يبق شئٌ يُطلق عليه اسم العصيان إلا النهر ، فلو استطاع لما تسمّى(٥) بالعاصى ، وقد أجرى دموعه ندما ، وكان يذرفها عَبْرة صافية ، فها هو أجراها بما سفكناه فيه دَمًا ، وكتابُنا هذا يتضمن بالبُشرى(٦) لك بما وهبك الله من السلامة وطول العمر بكونك لم يكن لك فى أنطاكية فى هذه المدة إقامة ، وكونك ما كنت فيها فتكون إما قتيلا و إما أسيرا ، و إما جريحا و إما كسيرا ، وسلامةُ النفس هى التى تفرح(٧) الحىَّ إذا شاهد الأموات ، ولعل الله ما أخّرك إلا لأن تَسْتَدرك من الطاعة والخدمة ما فات ، ولما لم يَسلم أحدٌ يُخبرك بما جرى خبّرناك ، ولما لم يقدر أحدٌ يُباشرك بالبُشرى وسلامة(٨) نفسك وهلاك ما سواها باشرناك بهذه المفاوضة وبشّرناك ، ليتحقق(٩) الأمرُ على ما جرى ، وبعد هذه المكاتبة لا ينبغى

(١) « قد » ساقط من الروض الزاهر ، ونهاية الأرب .

(٢) « وشقيف تلميس ، وشقيف كفر دنين » فى الروض الزاهر ، ونهاية الأرب ، وملحق السلوك .	(٣) « لك » ساقط من ملحق السلوك .

(٤) « وأخذناهم بالنواصى » ساقط من ملحق السلوك .

(٥) « سمى » فى ملحق السلوك .

(٦) « البشرى » فى الروض الزاهر ، وملحق السلوك .

(٧) « يفرح بها » فى الروض الزاهر ص ٣١٢ ، وملحق السلوك جـ ١ ص ٩٦٨ .

(٨) « بسلامة » فى الروض الزاهر ، وملحق السلوك .

(٩) « لتحقق » فى الروض الزاهر ، و « لتتحقق » فى ملحق السلوك .

لك أن تكذب لنا خبرا (٢) ، كما أن بعد [هـذه] (١) المخاطبة يجب أن لا نسأل غيرنا مخـبرا .

وأما كندا أصطبل فإن السلطان أطلقه ، وأطلق أهله وأقاربه ، وفسح له في التوجه إلى سيس .

وهذه أنطاكية هي التي ذكرها الله في القرآن الكريم بقوله : ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴾ (٣) وبانيها (٤) أنطياخس وإليه تنسب ، وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قد فتحها كما ذكرنا من البرنس أرناط (٥) وقتله ، ثم ملكها الابرنس المعروف بالأسير ، ومن بعده ولده سدو ، و بعده ولده بيمند (٦) ، ومنه أخذت الآن واستقرت في الممالك الإسلامية إلى الدولة الناصرية .

(١) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

(٢) « خبرها » في الروض الزاهر ، وملحق السلوك ، وانظر أيضا كنز الدرر جـ ٨ ص ١٢٨ — ١٣١ حيث يوجد نص الخطاب مع اختلاف في بعض الكلمات .

(٣) سورة يس رقم ٣٦ آية رقم ١٣ .

(٤) « وثانيها » في الأصل ، وهو تحريف من الناسخ — انظر الروض الزاهر ص ٣١٣ حيث ورد أنها تنسب إلى « الملك انطيخس » .

(٥) البرنس أرناط هـو رينالد دى شاتيون ، وكان قد حكم أنطاكية في الفترة من ١١٥٣ — ١١٦٠ م ، وهو صاحب حصن الكرك الذى قتله صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد موقعة حطين سنة ٥٨٤ هـ/١١٨٧ م .

أما صاحب أنطاكية في ذلك الوقت فهـو بوهيمند الثالث الذى عقد صلحا مع صلاح الدين لمدة ثمانية أشهر — المختصر جـ ٣ ص ٧٥ ، النوادر السلطانية ص ١١٨ ، مفرج الكروب جـ ٢ ص ٢٧٠ .

وانظر أيضا مثل ما ورد بالمتن في المنهل الصافي جـ ٤ ص ١٩١ .

(٦) ولى حكم أنطاكية في عهـد صلاح الدين بوهيمند الثالث (١١٦٣ — ١٢٠١ م) ، ثم بوهيمند الرابع (١٢٠١ — ١٢١٦ م) ، ثم ريمـوند روبان (١٢١٦ — ١٢١٩ م) ، ثم بوهيمند الرابع مرة ثانية (١٢١٩ — ١٢٣٣ م) ، ثم بوهيمند الخامس (١٢٣٣ — ١٢٥١ م) ، ثم بوهيمند السادس (١٢٥١ — ١٢٦٧ م) .

وورد « بيمند ابن مربرابن الأشتر » — كنز الدرر جـ ٨ ص ١٣٧ .

ثم أن السلطان أمر بجمع المكاسب ، فجمع من الأموال والمصوغ مالا يحصى كثرة ، وقسمت الغنائم على الأمراء والعساكر ، وتقاسموا السبايا والمواشي والنسوان والأطفال ، فلم يبق غلام إلا له غلام ، وبيع الصغير باثني عشر درهما فيما حولها بين العسكر والكسّابة ، وأمر السلطان بإحراق قلعة أنطاكية فأحرقت ، وأما ما خصّه من الغنائم فإنه أفرده وأرصده لعمارة الجامع الذي أمر بإنشائه بالحسينية (١) ، فصرف عليه .

ذكر فتح بغراس :

لما فتحت [٥٤٣] الحصون المذكورة ، انهزمت الداوية من بغراس (٢) ، فتسلمها السلطان على يدى الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقاني أستاذ الدار في ثالث عشر رمضان ، ولم يوجد بها سوى امرأة عجوز ، ووجدت عامرة بحواصلها ، وهذا الحصن نازل (٣) عليها الملك الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب وحاصره بالعسكر المصرى الحلبي (٤) سبعة أشهر فلم يأخذه ، وأخذه السلطان الملك الظاهر بيبرس بغير تعب ولا نصب ، وتسلم السلطان أيضا حصونا كثيرة وقلاعا أخرى ، ثم عاد السلطان مؤيدا منصورا .

(١) كمل بناؤه سنة ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م ــ المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٩٩ .

(٢) بغراس أو بغراص ، مدينة في لحف جبل اللكام ــ معجم البلدان .

(٣) هكذا بالأصل .

(٤) « في أيام الملك العزيز ، صاحب حماة ، ابن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين ، رحمهم الله ، نزل عليها العسكر الحلبي حاصرها سبعة أشهر ولم يأخذها » ــ الروض الزاهر ص ٣٢٦ . وتوفى غازى بن يوسف بن أيوب ، الملك الظاهر ، صاحب حلب ، في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م ــ العبر جـ ٥ ص ٤٦ ، وانظر أيضا المختصر جـ ٤ ص ٥ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٢٧ .

ذكر دخول السلطان دمشق :

ولما فرغ أمر السلطان من هـذه الغزوة عاد منصـورا ، فدخل دمشق فى السابع والعشرين من رمضان فى أبهة عظيمة وهيئة هائلة ، وقد زينت له البلد ، ودقت البشائر فرحا به ، ولما استقر ركابه فى دمشـق عزم على انـتزاع أراضى كثيرة من القـرى والبساتين التى بأيدى ملاكها ، بزعم أنه قـد كانت التتار قد استحوذوا عليها ، ثم استنقذها منهم ، وقد أفتاه بعض الفقهاء من الحنفية بذلك بناء على أن الكفار إذا أخذوا شيئا من أموال النـاس المسلمين ملكوها ، فإذا اسـترجعت لم ترد إلى أصحابها الذين أخذت منهم ، وهـذه المسألة مشهورة وفيها خلاف ، والمقصـود أن السلطان الملك الظاهر عقـد مجلسا اجتمع فيـه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا فى ذلك ، وصمم السلطان على ذلك اعتمادا على ما بيده من الفتاوى(١) ، وخاف الناس من غائلة ذلك ، فتوسط الصاحب فخر الدين(٢) ابن الوزير بهـاء الدين بن الحنا ، وكان قـد درس بالشافعى بعـد تاج الدين ابن بنت الأعز(٣) فقال : يا خوند أهل البلد يصالحون بك عن ذلك كله بألف ألف درهم مقسطة كل سنة مائتا ألف درهم فضة ، فأبى إلا أن تكون معجلة ، ثم بعد أيام وقد خرج متوجها إلى الديار المصرية أجاب إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة فقرئت على الناس ، ففرح الناس بذلك ، ورسم أن يعجلوا من ذلك أربعمائة ألف ،

---

(١) أورد ابن كثير بعض الآراء الفقهية فى هذا الموضوع — البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٥٢ .

(٢) هو محمد بن على بن محمد بن سليم ، الوزير الصاحب فخر الدين ، المعروف بابن حنا ، والمتوفى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م — انظر ما يلى .

(٣) انظر ما سبق فى وفيات سنة ٦٦٥هـ .

وأن تعاد إليهم القلاع التي كانوا [٥٤٤] قد احتاطوا عليها في زمن القسم والثمار ، وكان هذا مما شغب خواطر الناس على السلطان ، سامحه الله .

ذكر وقوع الصُلح بين السُلطان وبين صاحب سيس :

وفي شوال من هذه السّنة وقع الصلح بين السلطان وهو في دمشق و بين هيثوم صاحب سيس ، على أنه إذا أحضر هيثوم سنقر الأشقر من التتار ، وكانوا قد أخذوه من قلعة حلب لما ملكها هلاون كما ذكرنا ، ويُسَلِّم مع ذلك بَهَسْنَى ودَرْبِسَاك ومَرْزُبان ورَعْبانِ وشيح الحديد يُطلَق له ابنه ليفون ، فدخل صاحب السيس على ملك التتار أبغا وطلب منه سنقر الأشقر فأعطاه إياه ، ووصل سنقر الأشقر إلى خدمة السلطان ، وتسلم السلطان المواضع المذكورة خلا بَهَسْنَى ، وأطلق السلطان ابن صاحب سيس ليفون بن هَيْثوم وتوجّه إلى والده (١) .

وقال بيبرس في تاريخه : ولما تقرّر الصلح بين الظاهر و بين صاحب سيس على ما ذكرنا أرسل السلطان بجكا الرومى لإحضار ليفون بن صاحب سيس من الديار المصريّة ؛ فتوجّه من أنطاكية وأحضره ، وعاد إلى دمشق فى ثلاثة عشر يوما ، فأرسله السلطان إلى والده فى ثالث عشر (٢) شوال منها ، وكان صاحب سيس قد سيّر إلى السلطان أخاه فاسَاك فى هذا الأمر ، وسيَّر ريمون صهر ولده رهينةً إلى أن يسلّم إليه القلاع المذكورة ويُحضر بسنقر الأشقر إلى الخدمة الشريفة .

---

(١) انظر المختصر جـ ٤ ص ٥ .

(٢) « فى حادى عشره » فى السلوك جـ ١ ص ٥٧٠ ، والروض الزاهر ص ٢٢٩ .

ذكر مجيء رسل صاحب عكا إلى السلطان :

وهو فى دمشق أيضا ، واسمه اوك بن هرى ابن[1] أخت صاحب قبرس ، وكان أهل عكا قد أحضروه وملكوه عليهم ، فلما جاء السلطان من أنطاكية إلى دمشق جاءت رسله إلى أبواب السلطان يسألونه الصلح ، فتقرر الحال بينه وبين السلطان على عكا وبلادها وثلاثين ضيعة ، وتقرر أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع ، وبقية بلادها مناصفة ، وللقرين عشر قرى والباقى للسلطان ، وبلاد الكرمل[2] مناصفة ، وعثليت تكون لها خمس قرى والباقى مناصفة ، وبلاد صيدا الوطاء للفرنج والجبليات للسلطان ، واتفق الصلح على مملكة قبرس وأن تكون الهدنة لعشر سنين ، وسير السلطان إليه هدية عشرين نفرا من أسارى أنطاكية[3] .

ذكر عود السلطان من الشام [٥٤٥] إلى الديار المصرية :

ولما فرغ أمر السلطان خرج من دمشق عائدا إلى الديار المصرية ، فدخلها يوم الحادى عشر من ذى الحجة من هذه السنة[4] ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وجاءت إليه هدية صاحب اليمن[5] مشتملة على تحف شتى وكتاب إلى السلطان ،

(١) هو هيو بن هنرى بن بوهيمند الرابع صاحب أنطاكية ، وهو المعروف فى المراجع الأوربية باسم Hugg of Antioch - Lusignan

(٢) الكرمل : حصن بالجبل المشرف على حيفا بساحل الشام — معجم البلدان .

(٣) أنظر السلوك جـ ١ ص ٥٧١ ، الروض الزاهر ص ٣٣٣ .

(٤) ورد فى الجوهر الثمين أن السلطان رجع الى الديار المصرية سنة ٦٦٧ هـ — ص ٢٧٨ .

(٥) هو يوسف بن عمر بن على بن رسول ، الملك المظفر أبو منصور ، المتوفى سنة ٦٩٥هـ ١٢٩٥م المنهل الصافى .

وسأله الإنتماء والحضور إلى جنابه وأنه يخطب له ببلاد اليمن ، فأرسل له السلطان خلعا وسنجقا وتقليدا .

ذكر بقية الحوادث :

منها : أن ضياء الدين بن الفقاعى رافع الصاحب بهاء الدين حنا عند السلطان الظاهر ، فاستظهر عليه فسلمه السلطان إليه ، فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخلص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه قبل أن يموت سبعة عشر ألف مقرعة وسبعمائة .

ومنها : أن السلطان فتح جبلة(١) وتسلمها من صاحبها افريرماهى صافايح(٢) .

ومنها : أن معين الدين البرواناه مدبر مملكة الروم اتفق مع التتار المقيمين معه ببلاد الروم على قتل السلطان ركن الدين قليج(٣) أرسلان السلجوقى ، فخنق التتار ركن الدين بوتر ، وأقام البرواناه مقامه ولده غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين المذكور ، وله من العمر أربع سنين .

وقال ابن كثير : وله من العمر عشر سنين ، وتمكن البرواناه جدا(٤) ، وأطاعه جيش الروم(٥) .

---

(١) جبلة : بالتحريك : اسم لعدة مواضع والمقصود هنا : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب ــ قرب اللاذقية ــ معجم البلدان .

(٢) انظر الروض الزاهر صفحات ١٥٣ ، ٣٠٦ ، ٣٣٠ .

(٣) « قلج » فى السلوك جـ ١ ص ٥٧١ .

(٤) « وتمكن البرواناه فى البلاد والعباد » ــ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٥٣ .

(٥) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٢ .

ومنها : أنه ولى القضاء بالديار المصرّية القاضى تقى الدين محمد بن الحسين ابن رزين بالقاهرة ، وبمصر القاضى محيي الدين عبد الله[(١)] بن عين الدولة .

ومنها : أن أبغا أوقع بابن عمه تُكُدار بن مُوجى بن جغطاى جنكزخان ، وكان أبغا قرر على وزارته نصير الدين الطوسى ، واستناب على السلطنة البرواناه المذكور وارتفع قدره عنده جدّا .

ومنها : أن صاحب القُصَير بذل نصف البلاد التى فى يده للسلطان الملك الظاهر ، فتسلّمها منه ، وزعم أهلها أن بأيديهم خطا من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب لهم هُدْنَة[(٢)] بما تقرر الحال عليه .

وفيها[(٣)] : « ... ... » .

وفيها : حج بالناس مع الركب المصرى الأمير عز الدين أيدمر[(٤)] الحلى .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عين الدولة الأسكندرى المصرى الشافعى ، محى الدين أبو الصلاح ، المتوفى سنة ٦٧٨/١٢٧٩م ــ درة الأسلاك ص ٦١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٥٤ ــ ٥٥ ، السلوك جـ ١ ص ٦٧٤ .

(٢) انظر الروض الزاهر ص ٣٢٥ .

(٣) « .... » بياض بالأصل .

(٤) هو أيدمر بن عبد الله الحلى الحلبى ، الأمير عز الدين ، المتوفى سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م انظر ما يلى .

ذكر من تُوفّ فيها من الأعيان

الشيخ عفيف الدين يوسف البقال (١) ، شيخ رباط المرزبانية .

كان صالحا ، ورعا زاهدا ، حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغني ما وقع ببغداد من القتل [٥٤٦] الذريع فأنكرته بقلبي ، وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ، فرأيتُ في المنام رجلا وفي يده كتابٌ فأخذته فإذا فيه :

دَعِ الاعتراض فما الأمْرُ لك ولا الحُكْمُ في حركات الفلَكْ
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاضَ لُجّة بَحْرٍ هلكْ
[إليه تصير أمور العباد دع الاعتراض فما أجهلك (٢)]

ابن الخُشكرى النُعماني الشاعر : قتله الصاحبُ علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ، وذلك أنه اشتهر عنه أشياء عظائم ، منها : أنه يعتقد تفضيل شعره على القرآن الكريم ، واتفق أن الصاحب انحدر إلى واسط ، فلما كان بالنُعمانية حضر ابن الخُشكرى عنده وأنشد قصيدة قد قالها فيه ، فبينا هو يُنْشِدُها بين يديه إذ أَذَّن المؤذن للصلاة ، فاستنصته الصاحبُ ، فقال ابن الخشكرى : يامولانا أسمع

---

(١) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٣ .

(٢) [ ] إضافة من البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٣ ، حيث نقل العيني نص ما كتبه ابن كثير .

شيئًا جديدا وأعرض عن شيء له سنون (١)، فثبت عند الصاحب ما كان يُقال عنه، ثم باسطه ولا يُظهر أنه ينكر عليه شيئًا حتى استعلم ما عنده، فلما ركب قال لإنسان معه: استفرده في الطريق واقتله، فسايره ذلك الرجل حتى انقطع به عن الناس، ثم قال لجماعة معه: أنزلوه عن فرسه كالمُداعب له، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم، ثم قال: انزعوا عنه ثيابه، فسلبوها عنه، فتقدّم إليه أحدهم فضربه بسيف في رقبته فأبان رأسه (٢).

الشيخ أبو الصَّبر أيوب بن عمر بن علي بن شدّاد الدمشقي (٣)، المعروف بابن المُقّاعي.

مات بدمشق في يوم عاشوراء من هذه السنة، سمع وحدّث.

الشّريف أبو العباس أحمد بن أبي محمد عبد المحسن بن أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، رضي الله عنهم، الواسطي الغرّافي التاجر.

مات بثغر الأسكندريّة في ليلة الخامس من صفر، ودفن من الغد بين الميناءين، ومولده بالغرّاف (٤)، بفتح الغين المعجمة وتشديد الرّاء وبعد الألف فاء،

(١) « له سنين » في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٣.

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٢.

(٣) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ٣ ص ٢٢٧ رقم ٦٣٣، الوافي جـ ١٠ ص ٥٣، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٦.

(٤) الغراف : فعال بالتشديد : نهر كبير تحت واسط بينها وبين البصرة — معجم البلدان.

من أعمال واسط القصب ، سمع بمرو من أبي المظفر عبد الرحيم بن الحافظ أبي سعد عبد الكريم السمعاني (١) ، و ببغداد عن غير واحد ، وحدّث .

الشيخ [٥٤٧] نظام الدّين أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمن بن رشيق الرَّبعي المصري المالكي ، المنعوت بالنظام .

مات في ليلة الحادي والعشرين من جمادى الأولى من هذه السنة بالقاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، سمع وحدث .

الشيخ الإمام العلّامة أبو الحسن علي بن عدلان (٢) بن حماد بن علي الرَّبعي الموصلي النحوي المترجم .

مات بالقاهرة في التاسع من شوال من هذه السنة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، ومولده بالموصل في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، قرأ الأدب على غير واحد ، منهم أبو البقاء العُكبري (٣) ، وسمع ببغداد عن جماعة كثيرين ، وحدّث ، وأقرأ العربيّة ، وكان أحد الأئمة المشهورين بمعرفة الأدب ، وكانت له اليد الطولى في حَلّ التراجم والألغاز ، وله مصنفات في ذلك وغيره (٤) .

---

(١) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم ، أبو المظفر السمعاني ، توفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢١٢ رقم 135 .

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٣ رقم ٣٤٣ ، السلوك جـ ١ ص ٥٧٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٦ .

(٣) هو عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء ، العكبري ، الفقيه الحنبلي ، النحوي ، العزيز ، المتوفى سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ١٠٠ رقم ٣٤٩ .

(٤) منها « عقلة المجتاز في حل الألغاز » — هدية العارفين جـ ١ ص ٧١١ .

وفى هذه السنة ولد الشيخ شرف الدين عبد الله[١] بن تيمية والخطيب جلال الدين القزوينى[٢]، رحمهما الله .

---

(١) هو عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية ، شرف الدين ، المتوفى سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م — الدرر جـ ٢ ص ٤٣٧ رقم ٢٢٠٠ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، قاضى القضاة جلال الدين أبو عبد الله ، القزوينى ، الشافعى ، المتوفى سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٩ م — المنهل الصافى .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السّنة السّابعة والستّين بعد السّتّمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العبّاسى .

وسلطان البلاد المصريّة والشاميّة والحلبيّة : الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى (١) الصّالحى ، وقد جدّد فى صفر البَيْعة لولده الملك السعيد بركة خان محمد ، وأحضر الأمراء كلهم والقضاة والأعيان ، وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان تقليداً هائلا بالملك من بعد أبيه ، وأن يحكم أيضا فى حياته ، وبنى مصطبةً بميدان العيد بباب النصر لرمى النشّاب (٢) ، وتوجّه إلى الجامع الظاهرى الذى أنشأه بالحُسينيّة ، ورتّب أوقافه ، ونظر فى أحواله .

وكان ببابه جماعة من الرُسل من جهة الملوك ، بجهّزهم ، وسَفّر صحبتهم رُسُله وهداياه ، وهم رُسُل منكوتمر ، ورسل جارلا (٣) أخى الريدافرنس ، ورسل العرب ، ورسل الأشكرى (٤) صاحب القسطنطينيّة .

(*) يوافق أولها الإثنين ١٠ سبتمبر ١٢٦٨ م .

(١) توفى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م — انظر ما يلى .
وانظر الجوهر الثمين ص ٢٧٨ .

(٢) النشاب : سهام خشبية صغيرة ذات نصول مثلثة الأركان ، وهى ما يرمى بها عن القسى الفارسية — صبح الأعشى جـ ٢ ص ١٤٢ .

(٣) هو شارل أخو لويس التاسع ملك فرنسا .
ويذكر ابن عبد الظاهر : « والفرنج فى تسميته مختلفون ، يقولون : ريجار ، ويقولون : جارلا ، وإنما نكتبه جارلا » .
والمقصود النطق العربى لاسم شارل بالفرنسية Roi Charles ، وشارل Charles الروض الزاهر ص ٣٣٦ .

(٤) هو الأمبراطور ميخائيل (الثامن) باليولوجس .

ذكر مَاجَرَيات الملك الظاهر العجيبة :

منها : أنه ركب فى جمادى الأولى(١) بعساكره ، والأمراء(٢) الأكابر بالديار المصرية ، وتوجه إلى الشام ، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها .

ولما دخل دمشق اتفق مجىء رسل [٥٤٨] أبغا ملك التتار ، ومعهم مكاتبات ومشافهات ، ومعهم التكفور(٣) صاحب سيس ، فإنه كان قد سعى فى الصلح بين السلطان وبين هلاون ، فسيّر أبغا هؤلاء الرسل وصحبتهم يرليغ(٤) و بايزة(٥) ذهب ، فأرسل السلطان ناصر الدين [بن(٦)] صيرم مشدّ حلب لإحضارهم ، ولما التق السلطان أعفاهم من النزول ، ثم أحضر كبيرُهم كتابا بغير ختم ، نسخته :

بقُوّة الله تعالى ، باقبال قان فرمان أبغا ، يعلم السلطان ركن الدين أنه لأجل أن هُرض على رأينا ، كتب إلى عند التكفور أن الرسل الذين أنفذهم إليخان

---

(١) « فى ثانى عشر جمادى الآخرة » — فى الروض الزاهر ص ٣٣٩ ، السلوك جـ ١ ص ٥٧٣ .

(٢) « ونزل والأمراء » فى الأصل ، ويبدو أنه سبق نظر من الناسخ .

(٣) هو هيتوم بن قسطنطين بن باساك — السلوك جـ ١ ص ٥٥١ ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٦٩ هـ .

(٤) يرليغ : كلمة مغولية بمعنى حكم أو قرار أو أمر ، ثم استعملت بمعنى أمر أو نفو بمض صادر من السلطان مباشرة إلى الأشخاص الممتازين ، ويقول القلقشندى أن « اليرالغ هى مراسيم » — جامع التواريخ المجلد الثانى جـ ١ ص ٢٤٧ هامش (٢) ، صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٢٣ .

(٥) البايزة : لوحة من الذهب أو الفضة ، وفى بعض الأحيان من الخشب ، وذلك على حسب رتب الأشخاص ، وينقش على وجهها اسم الله واسم السلطان وعلامة خاصة ، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول ، كأنها تتضمن أمر الملك إلى سفرائه ، ويتمتع حاملها بامتيازات خاصة فله الطاعة على كل من فى الدولة المغولية — جامع التواريخ — المجلد الثانى جـ ١ ص ٢٤٧ هامش (١) .

(٦) [بن] إضافة من الروض الزاهر ص ٣٣٩ ، السلوك جـ ١ ص ٥٧٤ .

ما قتلهم إلا قطز ، والملوك يطلبون التوسّط حتى يصيروا إيل ، والآن لو تُنْعِم في حق إيلخان أصيرُ إيل ، وقد سمعنا أن قد طلبت القفجاق[1] الذين عندنا ، وهم: سيف الدين بلبان ، وبدر الدين بكمش ، وأولاد سيف الدين سكز، ولا ريب أن[2] مذ سنين الذين ما كان قبلكم معنا ، صحيح كان بين إخواننا الكبار والصغار بعضهم بعضا خالف ، فلأجل ذلك ما قدرنا نركب إلى صوبكم ، والآن إذ نحن جميعنا من الأخوة الكبار والصغار عملنا قوريلتاى ، واتفقنا على أن ما نغيّر فرمان وياساق قان ، وأنتم [أيضا][3] قد تقدمتم وعرضتم أنا نحن إيل ونعطى القوة ، استحسنّا ذلك منكم ، فمن مطلع الشمس الى مغربها[4] في جميع العالم من الذى استقبل وأطاع ودخل في العبودية ، وكان من قبل هذا في فرمان وياساق [جنكزخان ، والآن أيضا في فرمان وياساق][5] قان هيكذاه: أن إذا أذنب الأب ما يذنب الابن[6] ، ولو يذنب الأخ ما يُمسكوه بذنب الأخ الصغير ، فلو أذنب الذنب أذنب السلطان قُودُور[7] ، وهو رجل في ذنبه ، قُتِل على يدك بالحق ، فأنت لو وصلت إلى كلامك الذى فات تَقَدَّ إلينا من إخوانك ومن أولادك

---

(١) هكذا بالأصل .

(٢) « أن » ساقط من الروض الزاهر .

(٣) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣٤٠ .

(٤) « إلى مغيبها » في الروض الزاهر ص ٣٤٠ .

(٥) [ ] إضافة من جامع التواريخ جـ ٢ ص ١٩٩ ، انظر أيضا الروض الزاهر ص ٣٤٠ .

(٦) « الولد » — الروض الزاهر ص ٣٤٥ .

(٧) « فقتل على يدك الحق » — الروض الزاهر ص ٣٤٠ .

أو من أمرائك الجياد هاهنا حتى نسمعهم ونفهمهم يرليغ و ياساق قان ، و يعودون إليك ، فإذا وقع الاتفاق بيننا ، النـاسُ الذى (١) طلبت ما يمسُون (٢) نحن نعطيكم ، ولو أن ما تصل إلى كلامك وتكون باغى وتفكر غير الصحيح ، نحنُ ليس (٣) نعلم ذلك يعلمُ الله [٥٤٩] ، و إقبال قان ، أمرنا هكذا ، ونفذنا إليكم هذين الرسولين ، وهُمَا : بيك طُوب (٤) ، وأبو الغريب بالاولاغ ، كتب فى [عشرين] (٥) شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وستمائة ، بمقـام (٦) بغداد (٧) .

نسخة الجواب الصادر من السلطان :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بعون الله وقوته ، بإقبال السلطان الأعظم بيبرس الصالحى ، يفهـم الملك أباقا أننا ما رسمنا للتكفور أن يُفهم الملك إلّا جواب ما ذكره لنا شمس الدين سنقر الأشقر ، أما قتل الملك المظفر الرُسُل (٨) ، فنحن رُسُلك أعدناهم إلى الملك مثل ما حضروا سالمين ، [و] (٩) على قدر ما فهّمنا الأمير

---

(١) « الذين » — الروض الزاهر ص ٣٤١ .

(٢) « منا يمشون » — الروض الزاهر ص ٣٤١ .

(٣) « نحن إيش » — الروض الزاهر ص ٣٤١ .

(٤) « بيك طوت » — الروض الزاهر ص ٣٤١ .

(٥) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

(٦) « قيام » فى الأصل ، والتصحيح من الروض الزاهر .

(٧) ذكر المقريزى : « فكان من جملة كتابه إن الملك أبغا لما خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد ، ومن خالفه هلك وقتل ، فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منا ، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا » — السلوك جـ ١ ص ٥٧٤ .

(٨) « أما قتل الملك المظفر — رحمه الله — الرسل » — الروض الزاهر ص ٣٤١ .

(٩) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

شمس الدين سنقر الأشقر رسمنا للتكفور أنه يكون الواسطة بيننا و بين الذى طلبنا[(١)]، ما أبصرنا شيئا، فكيف[(٢)] يقع الاتفاق ونحن اليوم الياساق التى لنا [هى[(٣)]] أعظم من ياساق جنكزخان، وقد أعطانا الله ملك أربعين ملكا، وأما ما ذكره من مطلع الشمس إلى مغربها أطاعوه[(٤)]، فأى شىء جرى على كتبغا نوين ؟ وكيف كان دماره ؟، وأنت لو وقفت على قولك الذى ذكرته لسنقر الأشقر، وسيّرت أحد إخوتك أو من أولادك أو من أصحابك الكبار كنا سيّرنا إليك نحن أيضا الذى ذكرته .

وعمل على الكتاب طمغات فيها رنك السلطان، وأعيد به الرسل إلى أبغا .

وذكر غير بيبرس : أن السلطان الظاهر لما دخل دمشق وصل إليه رسول أبغا ملك التتار، ومعه مكاتبات ومشافهات، فمن جملة المشافهات : أنت مملوك أُبيعت بسيواس، فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض[(٥)]، واعلم أنك لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت منه، فاعمل لنفسك على مصالحة السلطان أبغا، فلم يلتفت الظاهر إلى هذا الكلام، بل أجاب عنه بأتمّ جواب وقال : اعلموه أنى وراءه بالمطالبة، ولا أزال حتى أنتزع من يده جميع البلاد التى استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض .

---

(١) « وبين الذين طلبناه » — الروض الزاهر .

(٢) « وكيف » — الروض الزاهر .

(٣) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

(٤) « إلى مغربها » — الروض الزاهر .

(٥) « فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض ؟ » — السلوك جـ ١ ص ٤٧٥، وانظر أيضا النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٤٥، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٤٠ .

ومنها : أن السلطان توجّه إلى صُـور ، وذلك أنه لما خرج من دمشق بعساكره متوجهـا إلى الديار المصريّة جاءته امرأة فى أثنـاء الطريق عند خَرْبَة اللصوص ، فذكرت أن ابنهـا دخل إلى صـور ، وأن صاحبها الفرنجى[1] غدر به وقتله ، وأخذ ماله[2] ، فركب السلطان وشنّ الغارة على مدينة صور وأخذ [٥٥٠] منها شيئا كثيرا وقتل خلقا ، فأرسل إليه مالكها ما سبب هذا ! فذكر له غدره ومكره بالتجار .

ومنها : توجّه السلطان إلى مصر خفية .

قال بيبرس فى تاريخه : ولمـا فرغ السلطان من تجهـيز الرسل وإعادتهم ، ودّع الأمراء الذين كانوا صحبته وأعطاهـم دستورا ليتوجهوا إلى مصر ، وخرج من دمشق وليس معـه منهم غير : الأتابك ، والمحمّدى ، والأيدمرى ، وابن أطلس خان ، وأقوش الرومى ، وتوجه إلى القلاع فبـدأ بالصُبَيْبَة ، ومنها إلى الشقيف ، وصفد ، فبلغته وفاة الأمير عز الدين الحلى بمصر ، فوصل إلى خَرْبة اللصوص والعسكر قد خيّم بها ، فخطر له التوجّه إلى الديار المصرية ، فكتب إلى النُوّاب بالشام بمكاتبة الملك السعيد بمـا يتجـدّد من المهمات والاعتماد على ما يصدر عنـه من الأجوبة والمكاتبات ، ثم أظهر أنه قد تشوش جسْمُه ، وصار البريدُ إذا جاءَ يُقرأُ عليـه وتخرج علائم على دُرُوج ، فيكتب عنهـا الأجوبة ، واستقر هذا الترتيب أياما ، وأُشيعَ ضعْفُه ، وأُحضر الحكماء إلى الدهليز ، وشاهدَه الأمراء مُنجمعًا متألّمًا ، وجُهّز الأيدمرى وجَرْدبك على البريد إلى جهة حلب

(١) هو Philip de Montfort .

(٢) ذكر ابن عبد الظاهر رواية أخرى عن هذه المرأة ـ الروض الزاهر ص ٣٤٧ .

في ظاهر الأمر ، وأوصاهما بما عليه في باطن السرّ، وخرج ليلة السبت سادس عشر شعبان من الدهليز متنكرا ، حاملا بقجة قماش في زيّ أحد البابية (١) ، وركب وصحبته الأميران المذكوران ، وواحد من البريديّة ، وواحد من السلاحداريّة ، وأربعة جنائب ، وساق إلى جهة مصر ، وجنيبه على يده ، ومرّ بمراكز التبريد متنكّرًا لا يعرفه أحد من الوُلاة ، فوصل إلى القلعة ليلة الثلاثاء تاسع عشر الشهر (٢) ، فأوقفهم الحُرّاس حتى شاوَرُوا الواليَ، ونزلوا في باب الإصطبل، وكان قد رتّب مع زمام الآدُرْ ، أن يبيت خلْفَ باب السّرّ، فدقّ الباب وذكر لزمام الدُّور علائم كان يَعرِفُها ، ففتح له ،وأحضر رفقته إلى باب السرّ، وأقام يوم الثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس لا يعلم أحد ، وهو يشاهد الأمراء في الموكب من شُباك على سوق الخيل ، فلما كانت بكرة الخميس قدم الفرس ليركب الملك السعيد على عادته ، وقدم للسلطان فرس فركب على غفلة ، والوقت مغلس (٣) ، فأنكر الأمراء الذين في الموكب الحال ، فلما تحققوا [٥٥١] السلطان قبلوا الأرض بين يديه ، وعاد من الموكب إلى القلعة ، فأقام بها إلى يوم السبت ، ولعب الأكرة بالميدان وعاد إلى القلعة ، ولما كانت ليلة الأثنين الخامس والعشرين من شعبان سافر عائدا إلى البريد، ولما وصل إلى الدهليز أخذ على يده جراب البريد وفي كتفه فوطه، وتوجّه راجلا ودخل من جهة الحرّاس، فمانعه حارس، فأمسك طوقه ، فانجذب منه ، وعبر من باب سرّ الدهليز ، وركب عصر يوم الجمعة السابع والعشرين من

(١) البابية : جمع بابا : لقب عام لجميع رجال الطشت خاناه ، ممن يتعاطى الغسل والصقل وغير ذلك ، وأطلق عليهم هذا اللقب لأنهم يقومون بترفيه مخدوميهم من تنظيف ملابسه وتحسين هيئته فهم أشبه بالآب الشفيق — صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٧٠ ، ج ٨ ص ٤٢ .

(٢) «وصل قلعة الجبل ليلة الخميس حادي عشرين شعبان» — النجوم الزاهرة ج ٧ ص ١٤٥ .

(٣) الغلس = أغلاس : ظلمة آخر الليل — المنجد .

شعبان ، وحضر الأمراء الخدمة يهنئون بالعافية ، وضربت البشائر لذلك ، واهتم بالدهليز للحجاز الشريف ، وهذا الذى صدر منه جراءة عظيمة و إقدام هائل .

ومنها : توجه السلطان إلى الحجاز الشريف فى هذه السنة ، ولما عزم على ذلك وهو فى المخيم أنفق فى العسكر ، وعين منهم جماعة يتوجهون صحبته ، وجهز بقية العسكر صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر استادارا إلى دمشق ، فأقاموا بها .

وتوجّه السلطان إلى الكرك بصورة صيد ، ولم يجسر أحد يتفوّه بأنه متوجه إلى الحجاز حتى أن شخصا من الحجاب يسمى جمال الدين بن الداية قال : أشتهى أتوجّه صحبة السلطان إلى الحجاز ، فأمر بقطع لسانه ، ورحل من الفوار يوم الخامس والعشرين من شوال ، فوصل الكرك مستهلّ ذى القعدة ، وتوجّه فى سادسه إلى الشوبك ، ورحل منها فى حادى عشره ، فوصل المدينة النبويّة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فى الخامس والعشرين من ذى القعدة ، وأحرم ، وقدم مكة شرّفها الله تعالى فى خامس ذى الحجة ، وبقى كآحد الناس لا يحجبه أحد ، وغسل الكعبة بيده (١) ، وحمل الماء فى القرب على كتفه ، وغسل البيت ، وجلس على باب الكعبة الشريفة ، فأخذ بأيدى الناس ، وسبّل البيت الشريف للناس ، وكتب إلى صاحب اليمن كتابا يقول فيه : سطرتها من مكة ، وقد أخذت طريقها فى سبع عشرة خطوة ، يعنى بالخطوة المنزلة ، وقضى حجه ، وحلق ونحر ، ورتب شمس الدين مروان نائبا بمكة ، وأحسن إلى أميرها (٢) ، وإلى

(١) « فغسل الكعبة بيده بماء الورد » فى الجوهر الثمين ص ٢٧٨ .

(٢) « إلى أميرى مكة — شرفها الله تعالى — الأمير نجم الدين أبى نمى ، والأمير إدريس ابن قتادة » — الروض الزاهر ص ٣٥٦ ؛

وعن أميرى مكة فى ذلك الوقت انظر : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ج ١ ص ٦٤ وما بعدها .

صاحب ينبع [٥٥٢] ، و[صاحب] خُلَيص وزعماء الحجاز (١) ، وعاد ، فكان خروجه من مكة ثالث عشر ذى الحجة ، ووصوله إلى المدينة فى العشرين منه ، ووصل إلى الكرك سلخ ذى الحجة ، ولم يعلم به أحد إلى أن وصل إلى قبر جعفر الطيار (٢) ، رضى الله عنه ، ودخل الكرك لابسا عباءة ، راكبا هجينا ، فبات بها ليلة ، وأصبح متوجّهًا إلى الشام جريدة .

وقال بيبرس : فى مستهل المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة عاد السلطان من الكرك ، وتوجه إلى دمشق جريدة ، وحضر إلى الميدان بغتة ، وتوجه من نهاره إلى حلب فدخلها والأمراء فى الموكب ، فما عرفه أحد ، وبقى بينهم ساعةً حتى عرفوه ، ونزل بدار نائب السلطنة ، وشاهد القلعة ، وعاد إلى دمشق ، فوصلها فى ثالث عشر المحرم من سنة ثمان وستين ، وتوجه إلى القدس الشريف والخليل فزارهما ، وكان العسكر قد سبقه صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى إلى تلّ العجول ، فوصل إلى المنزلة المذكورة ، فصلّى الجمعة فى الكرك ، والجمعة الثانية فى حلب ، والجمعة الثالثة فى دمشق ، ورحل من تلّ العجول فدخل قلعة القاهرة فى الثالث صفر من سنة ثمان وستين ، وفى ثامن عشره توجه إلى الإسكندرية ، وفى طريقه دخل البرية متصيّدًا ، وضرب حلقا على الكحيليات فصار فى كل حلقة منها ما يقارب خمسمائة غزال وأقلّ وأكثر ، ومن النعام وبقر الوحش كثير ، فكان كل من أحضر غزالا أعطى بغلطاقا (٣) ، ومن ضرب نعاما أو بقرا أعطى فرسًا ، ففرق من الخيل والخلع شيئاً كثيرا ، ووصل

(١) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣٥٦

(٢) « قبر جعفر الطيار بمؤتة » — السلوك جـ ١ ص ٥٨٢ .

(٣) البغلطاق : لفظ فارسى ، وهو قباء بلا أكمام ، أو بأكمام قصيرة جدا — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٩٩ .

إلى مكان يعرف بقصر فارس، وعاد إلى الإسكندرية، فأقام أياما، وفرق تعابى القماش على الأمراء، ووصلهم بالهبات، وعمهم بالصلات .

وقال ابن كثير : لما وصل السلطان إلى مكة تصدق على المجاورين بها، ثم وقف [بعرفة][(1)] ، وطاف للإفاضة[(2)] ، وفتحت له الكعبة فغسلها بماء الورد وطيبها بيده، ثم وقف بباب الكعبة يتناول أيدى الناس [ليدخلوا الكعبة][(3)] وهو بينهم كأحدهم، [ثم رجع فرمى الجمرات][(4)] ، ثم تعجل النفر فعاد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية .

ثم ساق إلى الكرك فدخلها فى التاسع والعشرين من ذى الحجة وأرسل [٥٥٣] المبشر إلى دمشق بقدومه سالما ، فخرج الأمير جمال الدين أقوش النجيبى ليتلقى البشير فى ثانى المحرم[(5)]، فإذا بالسلطان الملك الظاهر بنفسه يسير فى الميدان، فتعجب الناس من سرعة مسيره وصبره وجلده، ثم ساق حتى دخل حلب ليتفقد أحوالها، ثم عاد إلى حماة ، ثم رجع إلى دمشق ، ثم عا إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر فى سنة ثمان وستين وستمائة[(6)] .

وقال فى ذلك القاضى محى الدين بن عبد الظاهر أبياتا منها :

حتى أتاها ظاهر ملك إذا شاء اختفى فأموره تتلمس
بينا تراه فى الحجاز إذا به فى الشام للحج الشريف يقدس

---

(١) [ ] إضافة من البداية جـ ١٣ ص ٢٥٤ .

(٢) « وطاف طواف الإفاضة » فى البداية والنهاية .

(٣)، (٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) « فى سادس المحرم » فى البدية والنهاية .

(٦) انظر البداية والنهاية حيث يوجد اختلاف فى بعض الكلمات جـ ١٣ ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

وتراهُ في حلبٍ يُـدبِّرُ أمرَهـا   وتراه في مصر يَذُب ويَحرُسُ
ويلوحُ في حجٍ عليـه مَهابةٌ   ويلوح في عزٍّ وعليه أطلَسُ (١)
لا يزال (٢) للدنيا يُسوس أمورهـا   ويُشيِّدُ الأخرى بهـا ويُؤسِّسُ

ومنها : أن السلطان أنعم على ناصر الدين محمـد بن الأمـير عزّ الدين الحلي بإمرة (٣) ، ولم يتعرض إلى ما خلّفه أبوه من المـال والموجود .

ومنها أن السـلطان تسلّم بلاطُنُس (٤) من عز الدين عثمان صاحب صهيون ، وقرر له عوضا عنهـا بلدا من بلاد صهيون ، فقالوا : كانت خمس قرايا تعمـل ثلاثين ألف درهم (٥) .

ذكر بقيّة الحوادث :

منها : أنه وردت الأخبار بأن زلزلة حدثت في بلاد سيس وأخربت قلاعها مثل سرفندكار وحجر شغلان وقتلت جماعة (٦) .

ومنها : أنه توجهت المغيرون (٧) من البيرة وغيرها إلى جهة كُركُر (٨) ، وأحرقوا

(١) « في عزٍّ وعليه أطلس » ـ الروض الزاهر ص ٣٠٧ .
(٢) « لا زال » في الروض الزاهر ص ٣٠٨ .
(٣) « إمرة أربعين فارسا » ــ السلوك جـ ١ ص ٥٨٠ .
(٤) بلاطنس : حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية ــ معجم البلدان .
(٥) « في سادس عشر شهر رمضان » ــ الروض الزاهر ص ٣٤٨ .
(٦) « في حادي عشرين شعبان » ــ الروض الزاهر ص ٣٥٠ .
(٧) هكذا بالأصل ، و « توجهت العساكر » في السلوك جـ ١ ص ٥٧٩ .
(٨) كُركُر : توجد عدة مواضع بهـذا الإسم ، والمقصود هنا : حصن على الفرات بين آمد وملطية ــ معجم البلدان .

بيـذرها ، واستاقوا مواشيهـا ، وتوجّهوا إلى قلعة بينهـا وبين الكختا[1] اسمهـا شُرمُوساك ، فزحفوا عليها ، وقتلوا رجالهـا .

ومنها : أنه كان المصاف بين أبغـا وبين بَراق ، فكانت الهزيمـة على براق وأصحابه ، فغنموا وأسروا منهم وقتـلوا ، ونجا براق بنفسه مع بعض أصحابه ، وبَراق هذا هو ابن يُسَنْتَاى ابن ما ينقان بن خفطاى بن جنكزخان . وقيل : إن ابغا إنمـا أوقع به بعـد الإيقاع بتُكدار ، لأنه ابن عمـه ، وكانا قـد اتفقا على حربه .

ومنها [٥٥٤] أن يعقوب المرينى[2] أخذ فى هـذه السنة مدينـة مراكش ، وذلك أنه توجه إليهـا بمن معـه ، فجمع أبو دبوس[3] جماعـة عظيمة من العربان والفرنج والموحِّدين وغيرهم ، فالتقى مع بنى مَرِين ، فكانت الكَسْرة عليه ، فقتل وعُلِّق رأسُه على سور مدينة فاس ، واستولى المرينى على مَراكش من التاريخ المذكور ، ثم تجهّز لفتح البـلاد أولا فأولا ، وسار إلى جبـال الموحدين وهى : سِكْسِيوَة ، ناروديت ، صنجاية ، وكَراكة ، بلاد السوس الأقصى ، وأقام بالسوس وبها عَرب يقال لهم أولاد ابن حسان ، والشامات ، فدخلوا فى طاعته ، وساروا فى خدمته إلى لمطَة[4] ، وهى آخر المعمورة ممـا يلى شط البحر المحيط ، وفتح أولا فأولا ، ورتب أحوال البلاد ، وقرّر قواعدها ، ورجع إلى سجلماسة .

---

(١) كختا : قلعة قديمـة على نهر كختاصو ، على مسافة أربعين ميـلا جنوب شرق ملطية — زيادة : السلوك جـ١ ص ٥٧٩ هامش (٥) .

(٢) هو يعقوب بن عبد الحق بن يوسف المرينى ، سلطان المغرب ، وصيد آل مرين ، توفى سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م — انظر ما يلى .

(٣) هو إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف المؤمنى ، انظر وفيات سنة ٦٨٨ هـ فيما يلى .

(٤) لمطة : بالفتح ثم السكون : أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب — يقال للأرض والقبيلة معا لمطة — معجم البلدان .

ومنها : فى آخر ذى الحجة هبّت ريح شديدة بديار مصر غرّقت مائتى مركب فى النيـل ، وهلك فيها خلق كثير ، ووقـع هنالك مطر شديد جدًّا ، وأصاب الشام من ذلك صقعةٌ أهلكت الثمـار .

ومنها : أن أهل حران خرجوا منها وقدموا الشام ، وكان فيهم الشيخ الإمام العلامة تقى الدين بن تيمية (١) صحبة أبيـه وعمره ست سنين ، وأخواه زين الدين عبد الرحمن ، وشرف الدين عبد الله وهما أصغر منه (٢) .

ومنها : أنه وردت كتب الشريف نجم الدين أبو نمى يذكر فيها أنه شاهد من عمه الشريف بهاء الدين إدريس بن قتادة ميلا إلى صاحب اليمن ، وتحاملا على دولة السـلطان ، فأخرجه من مكة وانفـرد بالإمرة ، وخطب للسـلطان ، وكُتب له تقليد الإمرة .

وفيها : « ... ... » (٣) .

وفيها : حج بالناس « ... ... » (٤) .

---

(١) هو أحمـد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، شيخ الإسـلام تقى الدين أبو العباس بن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٥٨ رقم ١٩٥ .

(٢) « وهى » فى الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٣) ، (٤) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

شرف الدين أبو الطاهر محمد[1] بن الحافظ أبى الخطاب عمر بن دحية المصرى .

ولد سنة عشر وستمائة ، وسمع أباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية[2] مدة ، وكان فاضلا ، مات فى العشرين من شهر رمضان بالقاهرة ، ودفن بالقرافة .

القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد[3] بن وثاب بن رافع البجيلى الحنفى .

درس وأفتى وناب عن ابن [٥٥٥] عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام على المصاطب بجأة ، ودفن بقاسيون .

الطّبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على[4] بن يوسف بن حيدره الرحبى ،

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٥ .

(٢) دار الحديث الكاملية بالقاهرة : أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر الأيوبى المتوفى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٣٧٥ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الوافى جـ ٥ ص ١٧٣ رقم ٢٢٠٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٥ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : الوافى جـ ٢٢ ص ٣٥١ رقم ٢٤٥ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٥ ، عيون الأنباء جـ ٢ ص ١٩٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٢٧ وفيه توفى سنة ٦٦٨ هـ السلوك جـ ١ ص ٥٨٣ ، الدارس جـ ٢ ص ١٣٠ .

شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرسة الدخوارية(١) من وصية واقفها له بذلك ، لتقدمه في هذه الصناعة على أقرانه وأهل زمانه .

ومن شعره :

يُساق بنى الدنيا إلى الحتف عنوة ولا يشعر الباقي بحالة من يَمْضِى

كأنهم الأنعام في جهل بعضها بما تم من سفك الدماء على البَعْضِ

الشَّيخ نصير الدين المبارك(٢) بن يحيى بن أبى الحسن أبو البركات بن الطباخ الشافعىّ .

العلامة في الفقه والحديث ، ودَرَّس ، وأفتى ، وصنّف ، وانتفع به ناس ، وعمّر ثمانين(٣) سنة ، وكانت وفاته بالقاهرة في الحادى عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن خارج باب النصر .

الشيخ أبو الحسن على(٤) بن عبد الله بن إبراهيم(٥) الكوفى المغربى النحوى ، الملقب بسيبويه .

---

(١) المدرسة الدخوارية بدمشق : كانت دار الدخوار الطبيب ، وهو عبد الرحيم بن على بن حامد ، الشيخ مهذب الدين الطبيب الدخوار ، الذى وقف داره بالصاغة العتيقة مدرسة للطب ، والمتوفى سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ — فوات الوفيات جـ ٣ ص ٢١٥ رقم ٢٧٢ ، الدارس جـ ٢ ص ١٢٧ وما بعدها .

(٢) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٦ .

(٣) « والأولى » في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(٤) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافى ، السلوك جـ ١ ص ٥٨٣ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(٥) « على بن إبراهيم بن عبد الله » في الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

كان فاضلا ، بارعا فى صناعة النحو ، توفى بالمارستان بالقاهرة .

ومن شعره :

عذبت قلبى بهجر منك متصل ... يامن هواه ضمير غير منفصل

مازادنى غير تأكيد صدودك لى ... فما عدولك عن عطف إلى بدل (١)

الشيخ أبو الفضائل محمد بن أبى الفتوح نصر بن فازى بن هلال بن عبد الله الأنصارى ، المقرئ الحريرى .

مات فى الثالث من المحرم من هذه السنة بالقاهرة ، ودفن من يومه ظاهر باب البرقية (٢) ، ومولده فى مستهل المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ببأها من أعمال كورة كوش ، سمع وحدث .

الشيخ المسند أبو الطاهر إسماعيل (٣) بن الشيخ أبى محمد عبد القوى بن أبى العز عزون بن داود بن عزون بن الليث بن منصور الأنصارى ، الغزى الأصل ، المصرى المولد والدار ، الشافعى ، المنعوت بالزين .

مات فى ليلة الثانى عشر من المحرم من هذه السنة بمسجد الذخيرة ظاهر القاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، ومولده فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة تقديرا ، سمع الكثير وحدث .

---

(١) « من عطف إلى بدل » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(٢) باب البرقية بالقاهرة : أحد أبواب القاهرة — المواعظ والإعتبار جـ ١ ص ٣٨٢ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٦ ، العبر جـ ٥ ص ٢٨٦ .

الشيخ الفقيه الإمام أبو الحسن على بن أبى العطايا وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القُشَيْرى المنفلوطى المالكى ، المنعوت بالمجد .(١)

وكان أحد العلماء المشهورين ، [٥٥٦] والأئمة المذكورين ، جامعا لفنون من العلم ، معروفا بالصلاح والدين والخير ، توفى فى الثالث عشر من المحرم بمدينة قوص من صعيد مصر الأعلى ، ومولده فى شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمنفلوط من صعيد مصر .

الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن رجا التنوخى الإسكندرانى ، العدل بالإسكندرية .

مات فى السادس والعشرين من المحرم بالإسكندرية ، ودفن من الغد بين الميناءين ، سمع وحدّث ، وناب فى الحكم بثغر الإسكندرية .

الشيخ الصالح المحدث أبو الفتح محمد بن أبى بكر الكُوفَنى الأَبِيوَرْدى الصوفى الشافعى .(٢)

كان من أهل الدين والصلاح والعفاف . مات فى ليلة الحادى عشر من جمادى الأولى بالقاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، سمع كثيرا وحدّث ، وخرج لنفسه معجما عن مشايخه الذين سمع منهم ، ووقف كتبه .

والكُوفَنى : بضم الكاف وسكون الواو وفتح الفاء وبعد النون ياءُ النسب ، نسبة إلى كوفن بلدة قريبة من أبيورد(٣) .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الطالع السعيد ص ٤٢٤ رقم ٣٣١ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٢٤ . العبر جـ ٥ ص ٢٨٦ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٦ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ٥ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٣) أبيورد : بفتح أوله وكسر ثانيه وياء ساكنة وفتح الواو وسكون الراء ودال مهملة ، مدينة بخراسان ـ معجم البلدان .

الشيخ الصالح أبو العباس أحمد[1] بن عبد الواحد المقدسى الحورانى .

كان أحد المشايخ المشهورين الجامعين بين العقل والدين والتجرد والانقطاع ، توفى فى هذه السنة بالمدينة النبوية .

الأمير الكبير عز الدين أيدمر[2] بن عبد الله الحلى الصالحى .

كان من أكابر الأمراء ، وأحظاهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر بيبرس ، كان يستنيبه فى غيبته ، ولما كانت هذه السنة أخذه معه ، وكانت وفاته فى قلعة دمشق ، ودفن بتربته بالقرب من اليغمورية[3] ، وخلف أموالا جزيلة ، وأوصى الى السلطان فى أولاده ، وحضر السلطان فى عزائه بجامع دمشق .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ج ١ ص ٣٧٦ رقم ٢٠١ ، الوافى ج ٧ ص ١٦٠ رقم ٣٠٨٩ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ج ٣ ص ١٧٠ رقم ٦٠٠ ، الوافى ج ١٠ ص ٥ ، البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٥٥ ، السلوك ج ١ ص ٥٨٢ ، ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) التربة الأيدمرية : بحارة السكر بسفح قاسيون — الدارس ج ٢ ص ٢٢٤ .

فصل فيما وقع من الحوادث
فى السّنة الثامنة والسِّتين بعد السِّتمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى ، وهو متوطن بالقاهرة .

وسلطان البلاد المصرية والشاميّة : الملك الظاهر بيبرس الصالحى ، وكان قد وصل إلى دمشق من الحجاز الشريف فى ثانى محرم هذه السنة على الهُجْن ، ثم راح إلى حلب فدخلها فى سادس [٥٥٧] الشهر ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم سار إلى مصر فدخلها فى ثالث صفر من هذه السنة ، كما ذكرناه مفصلا فى السنة الماضية (١) .

ذكر خروج السُّلطان الملك الظاهر إلى جهة الشّام :

ولما دخل السلطان الديار المصريّة فى ثالث صفر من هذه السنة ، بعد عوده من الشام ، جاءته الأخبار بحركة التتار ، وأنهم تواعدوا مع الفرنج الساحليّة ، وأغاروا على الساجُور (٢) قريبا من حلب ، واستاقوا مواشى العربان ، فجهز للخروج أيضا ولكنه أراح العسكر مُدَيدةً . ثم خرج جريدة فى ليلة الاثنين الحادى

(*) يوافق أولها السبت ٢١ أغسطس ١٢٦٩ م .

(١) « الآتية » فى الأصل ، وهو تحريف والتصحيح يتفق والسياق ، انظر ما سبق .

(٢) الساجور : نهر بجهات منبج تقع عليه عينتاب وتل باشر — معجم البلدان .

والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، ووصل إلى غزة ثم منها إلى دمشق ، فانهزم التتار ، وكان مقدمهم صمغار .

وقال ابن كثير : وفي تاسع عشر(1) شهر ربيع الآخر [منها](2) وصل السلطان الملك الظاهر بيبرس(3) إلى دمشق في طائفة من جيشه ، وقد لقوا في الطريق مشقة كبيرة(4) من البرد والوحل ، وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا(5) يتقصد(6) جيش المسلمين ، فركب إليه مسرعا ، فوجده قريبا من عكا(7) ، فأسره وأسر جماعة من أصحابه ، وقتل آخرين .

وقال بيبرس : وفيها أغار السلطان على مرج يعقوب وما حول عكا ، وأسر من محتشمي الفرنج جماعة ، وقتل نائب فرنسيس بعكا ، ولم يعدم من [عسكر](8) الإسلام إلا الأمير فخر الدين الطُوَيْنا(9) الفائزي ، وعاد السلطان ورءوس القتلى

---

(1) « وفي ثالث عشر » في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(2) [منها] إضافة من البداية والنهاية .

(3) « الظاهر بيبرس » ساقط من البداية والنهاية .

(4) « كثيرة » في البداية والنهاية ، وهو تحريف .

(5) « لخروج جماعة من الفرنج مقدمهم كندلوفير المسمى بزيتون » الروض الزاهر ص ٣٦٣ ؛ والمقصود كونت أوليفر Count Oliver ، وانظر أيضا نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٨ ورقة ١٠٠ .

(6) « يقصد » في البداية والنهاية .

(7) « فدخلها خوفا منه » في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٦ .

(8) [ ] إضافة للتوضيح — الروض الزاهر ص ٣٦٤ .

(9) هكذا مضبوطة في الأصل ، و« الطوينا » في الروض الزاهر ، و« الطونبا » في السلوك جـ ١ ص ٥٨٩ .

قدامه تحملها أساراهم على الرماح إلى صفد ، وتوجه إلى دمشق ، ثم إلى حماة ، ثم إلى كفر طاب (١) ، وتوجّه إلى حصن الأكراد (٢) فى مائتى فارس ، فخرج إليه جماعة من الفرنج ملبسين ، فحمل عليهم السلطان ، فكسرهم ، وقتل منهم جماعة (٣) .

ذكر استيلائه على حصون الإسماعيلية :

وكان السلطان - رحمه الله - قد أبطل رسوم الإسماعيلية التى كانت تُجبى إليهم ، واستأدى الحقوق من مراكبهم ، وكسر شوكتهم ومضايقتهم ، وحضر إليه صارم الدين [مبارك] (٤) بن الرضى صاحب العُلَيْقة ، وقلده السلطان بلاد الدعوة ، وعزل نجم الدين الشعرانى الملقب بالصاحب وولده منها لأنه لم يحضر إلى الخدمة [٥٥٨] ، ونعت صارم الدين بالصاحب ، وأرسل معه عسكرا إلى مِصْياف ، فتسلمها فى العشر الأوسط من رجب من هذه السنة ، وهى كرسىُّ مملكتهم ، وهى مقرُّ الفَداوِيَّة ، فعند ذلك حضر الصاحب نجم الدين إلى الأبواب السلطانية ، وهو شيخ كبير جدًا (٥) ، فرحمه السلطان ورقّ له ، وولّاه النيابة شريكا لابن الرضى ، فإنه صهره ، وقرر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم

(١) كفرطاب : بين المعرة وحلب - معجم البلدان .

(٢) على جبل يقابل حمص من جهة الغرب ، بين بعلبك وحمص ، معجم البلدان .

(٣) انظر أيضا كنز الدرر جـ ٨ ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٤) [ ] إضافة للتوضيح من كنز الدرر جـ ٨ ص ١٤٣ .

(٥) « وعمره تسعون سنة » - الروض الزاهر ص ٣٦٦ .

فى كل سنة ، وعاد السلطان من جهة حصن الأكراد ، فدخل دمشق فى الثامن والعشرين من رجب .

ذكر عَوْد السلطان إلى الديار المصريّة :

ولما دخل السلطان دمشق فى التاريخ المذكور بلغه أن الفرنج أخذت من ميناء[1] الإسكندرية مركبين ، فخرج سريعا من دمشق إلى الديار المصريّة ، وعبر فى طريقه على عسقلان ، وعفّى آثارها ، ورمى حجارتها فى مينائها[2] ، ثم وصل إلى مصر ودخل قلعته ، ثم استفاضت الأخبار بقصد الفرنج بلاد الشام ، وجهّز السلطان العساكر المنصورة لقتالهم ، وهو مع ذلك مهتمّ بمدينة الإسكندريّة ، وقد حصّنها ، وعمل جسورة إليهما إن دهمها العدو .

وقال بيبرس فى تاريخه : بلغ السلطان أن الفرنسيس ، « هو[3] » لُوَيْص بن لُوْيس ، والانكتار ، وملك اسكَوْسنا ، وملك نُورك وهى بلاد السناقر ، والبرشَنُونى واسمه رِيْد را كون[4] ، وغيرهم من ملوك الفرنج ، اجتمعوا على صقلية ، وشرعوا فى تجهيز المراكب ، ولم يُعْلم مقصدهم ، فاهتمّ السلطان بالثغور والشوانى ، وحفظ السواحل والموانى ، وعمّر الجسور إلى دمياط ، وأنشأ القناطر ، وكان قصد الفرنج بلد تُونُس ، فساروا إليها ونزلوا على المعلّقة ، فاجتمع الموحدون والعُربان

---

(١) « مينى » فى الأصل .

(٢) « ميناها » فى الأصل .

(٣) « و » فى الأصل ، والتصحيح من الروض الزاهر ص ٣٧ .

والمقصود لويس التاسع ملك فرنسا وحملته على تونس — انظر شمال أفريقيا والحركة الصليبية .

(٤) المقصود جيمس الأول ملك أراجون Roi d' Aragon .

وغيرهم من المسلمين ، فقاتلهم الفرنج وضايقوهم ، فأراد الله هلاكَ الملك الفرنسيس ، فلما مات رحلوا طالبين بلادهم ، وأراح الله المسلمين منهم .

ذكر ما حصل فى البلاد :

منها : أنه حصل من الفرنج مضايقة عظيمة لابن الأحمر بالأندلس ، وأتوا على أكثر ما فى يديه من البلاد . وابن الأحمر يسمى محمد بن نصر (١) ، أصله من مدينة جَيَّان بالأندلس ، وهو ينتمى إلى الأنصار ، وسبب ظهوره بالأندلس [٥٥٩] أنه كان يخدم مَنْويل عمَّ الفُونس (٢) ، فلما ضعفت دولة الموحدين أصحاب عبد المؤمن وَوَهَتْ مملكتهم باستيلاء المرينى عليها ، وثب أهل الأندلس بمن كان عندهم من الموحدين أصحاب عبد المؤمن فقتلوهم عن آخرهم ، وثار شخص يسمَّى سيف الدولة محمد بن هود (٣) بالأندلس ولقب نفسه الخليفة ، وتعرض إلى بعض البلاد التى فى يد الفُونس ، فأرسل إليه الفونس محمد بن نصر بن الأحمر ، فكان كما قيل :

ولكل شيء آفةٌ من جنسه ... حتى الحَديد سَطا عليه المِبْرَدُ

فاستظهر ابن الأحمر على ابن هُود ، وكفَّ عادتَه عن الفونس ، واستفتح له بلاداً كثيرة ، وقويت شوكتُه ، وانتهى إلى غرناطة واستولى عليها ، فلما

(١) هو أبو عبد الله محمد بن نصر الذى تلقب الغالب بالله وحكم فى الفترة ٦٢٩ — ٦٧١ هـ / ١٢٣٢ - ١٢٧٣ م — معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٨٤ ، وذكر العينى أن وفاته كانت سنة ٦٧٠ هـ — انظر ما يلى .

(٢) المقصود الفونسو العاشر .

(٣) هو محمد بن يوسف بن نصر الجذامى بن هود الملقب بالمتوكل ، وقد بدأ نشاطه سنة ٦٢٥ هـ معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٨١ ، تاريخ الدول الإسلامية ج ١ ص ٣٩ .

استقرّ بها وأمن على نفسه خلع طاعة الفونس ، واستبدّ بما فى يده ، وطالت مدته ، واتفقت وفاته فى سنة سبعين وستمائه .

ومنها : أن أبا دَبُوس (1) آخر الملوك من بنى عبد المؤمن قتل فى هذه السنة ، وانقرضت بقتله دولتهم ، وملكت بلادهم بعدهم بنى مَرين ، وكان قتله فى حرب بينه و بين مَرين بنى ، واسم أبى دَبُوس : إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف صاحب مَراكش (2) .

ومنها : أنه حصل بين مَنكوتمر بن طغان ملك التتار بالبلاد الشمالية و بين الأشكرى صاحب قسطنطينيّة وحشة ، فجهّز منكوتمر إلى القسطنطينيّة جيشا من من التتار ، فوصلوا إليها وعاثوا فى بلادها ، ومَرّوا بالقامة التى بها عز الدين كيكاوس بن كيخسرو سلطان بلاد الروم ، وكان محبوسا بها كما ذكرنا فى سنة إثنتين وستين وستمائة (3) ، فحمله التتار بأهله ونسائه إلى منكوتمر ، فتلقاه بالإكرام وعامله بالإحترام ، وأقام فى بلاد قرمَ ، وزوجه بإمراة من أعيان نسائهم تُسمّى أُرباى خاتون من بنات بركة ، ولم يزل إلى أن توفى فى سنة سبع وسبعين وستمائة (4) ،

---

(1) انظر العبر جـ ٥ ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

«وكان قتل أبى دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذى حجة من سنة سبع وستين وستمائة» — الأنيس المطرب ص ٢٦١ .

(2) «هو أبو العلاء ، إدريس بن السيد محمد بن السيد عمر بن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على» — الأنيس المطرب ص ٢٥٩ .

(3) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٨٧ — ٣٨٨ .

(4) انظر وفيات سنة ٦٧٧ هـ فيما يلى .

على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فسار ابنه مسعود بن عز الدين إلى بلاد الروم ، وصار سلطان الروم على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وقال بيبرس فى تاريخه : جهّز منكوتمر جيشا إلى إصطنبول ، وقصد أخذها من الأشكرى [٥٦٠] لِمَوْجِدة صارت بينهما ، فوصل العسكر المذكور إلى إصطنبول فى زمن الشتاء ، وعساكر بالبَلُوغُوس متفرقة فى البلاد ، وكان رسول السلطان الظاهر إذ ذاك الوقت عند الأشكرى ، وهو الفارس المسعودى ، فخرج إلى جيوش التتار وتحدّث مع مقدّمهم وقال : أنا رسول الملك الظاهر صاحب مصر ، متوجّه إلى الملك منكوتمر ، وأنتم تعلمون أن لصاحب(١) إصطنبول صُلْحٌ مع السلطان ، وأن مصر إصطنبول ، و إصطنبول مصر ، و بين أستاذى وأستاذكم الملك منكوتمر صُلْحٌ ، فارجعوا من ههنا ، فاغتروا بقوله ، ورجعوا عن إصطنبول وعبروا ببلادها ، فنهبوا ماشاءُوا ، ومرُّوا بالقلعة التى كان السلطان عز الدين كيكاوس صاحب الروم مسجونا بها ، فأخذوه وحملوه إلى منكوتمر ، كما ذكرناه الآن ، وأما المسعودى فإن الأشكرى أنعم عليه بمال وقماش وتوجه إلى منكوتمر(٢) فهمّ بضَرَبه لكونه صد جيشه عن إصطنبول وردّهم دون بلوغ المأمول ، فشُفِع فيه فعفا عنه ، ولما عاد إلى الملك الظاهر خاف على نفسه من هذه الجريرة ، واتفق وصول بعض التجار ، فأخبر السلطان بهذه الأخبار ، فقبض عليه وضربه واعتقله .

---

(١) « صاحب » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) « بركة » فى الأصل ، ومصححة فى هامش المخطوط .

ومنها : أن أبا نُمى صاحب مكة وثب بعمه إدريس بن قتادة فقتله ، واسْتَبَدَّ بالإمرة على مكة، شرفها الله .[1]

وفيها : « ... ... »[2]

وفيها : حج بالناس « ... ... »[3]

(١) ورد هذا الخبر فى أحداث سنة ٦٦٩ هـ ـ السلوك جـ ١ ص ٥٩٧ ، انظر غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ـ جـ ١ ص ٦٤١ .

(٢) ، (٣) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الصاحب زين الدين يعقوب[1] بن عبد الرفيع[2] بن زيد بن مالك المصرى ، المعروف بابن الزبير .

كان فاضلا ، رئيسا ، وزر للملك المظفر قُطز ، ثم للملك الظاهر فى أول دولته ، ثم عزله وولّى بهاء الدين بن الحنّا ، فلزم منزله حتى أدركته المنيّة فى الرابع عشر من ربيع الآخر ، وله نظم جيّد .

الشيخ موفق الدين أحمد[3] بن القاسم بن الخزرجى ، المعروف بابن أبى أصيبعة[4] .

له تاريخ الأطباء فى عشر مجلدات لطاف ، وهو وقف بمشهد أبى عروة ، وكانت وفاته بصرخد ، وقد جاوز السبعين .

الشيخ زين الدين أحمد[5] بن عبد الدائم [٥٦١] بن نعمة بن أحمد بن محمد ابن إبراهيم بن أحمد بن أبى بكر أبو العباس المقدسى النابلسى .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٧ ، السلوك جـ ١ ص ٥٨٩ .

(٢) « الربيع » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٢٩ .

(٤) « صعبة » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ، ص ٢٨٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٧ ، السلوك جـ ١ ص ٥٨٩ .

وكرر المؤلف ذكر وفاته — انظر ما يلى ص ٦٨ .

تفرّد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان مولده فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وقد سمع الحديث ، ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلا ، يكتب سريعا ، وحكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الخرقى[1] فى ليلة واحدة ، وخطه حسن ، قوى ، حُلو ، وكتب تاريخ ابن عساكر مرتين ، واختصره لنفسه أيضا ، وأضرّ فى آخر عمره أربع سنين ، وله شعر جيد ، وكانت وفاته بسفح قاسيون ، وبه دفن ، فى بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين .

قاضى القضاة محيي الدين أبو الفضل يحيى[2] بن قاضى القضاة محيي الدين أبى المعالى محمد بن على بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز بن على بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، القرشىّ الأموىّ ، ابن الزكىّ .

تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباؤه ، كل وليها ، وقد سمع الحديث من حنبل ، وابن طبرزد ، والكندىّ ، وابن الحرستانى ، وجماعة ، وحدّث ، ودرّس فى مدارس كثيرة ، وقد ولى القضاء فى الدولة الهلاونيّة فلم يُحمد ، على ما ذكره أبو شامة ، وكانت وفاته بمصر فى الرابع عشر من رجب ، ودفن بجبل المقطم ، وقد جاوز السبعين ، وقد كان فاضلا ، وله شعر جيد قوىّ .

ومن شعره :

قالــوا أما فى جلق نزهــة[3] تسليك عن مَنْ أنت به مغْرَا

---

(١) هو كتاب فى الفقه لعمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى الحنبلى المتوفى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م — شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٣٦ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٧ ، العبر جـ ٥ ص ٢٨٩ ، السلوك جـ ١ ص ٥٨٩ .

(٣) « قالوا ما فى جلق نزهة » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٨ .

يا عاذلى دونك من لحظه[1] سهما ومن عارضه[2] سطرا

وحكى الشيخ قطب الدين فى ذيله عن ولده القاضى شهاب الدين : أن والده كان يذهب إلى تفضيل علىّ رضى الله عنه على عثمان رضى الله عنه موافقة لشيخه محيى الدين بن عربى[3] .

الصاحبُ فخر الدين محمد[4] بن الصاحب بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليمان بن الحنّا المصرىّ .

كان وزير الصحبة ، وقد كان فاضلا ، بنى رباطا بالقرافة الكبرى ، ودرس بمدرسة والده[5] بمصر ، وبالشافعى بعد ابن بنت الأعز ، وقد كانت وفاته فى شعبان ، ودفن بسفح المقطم ، وفوض السلطان وزارة الصحبة إلى ولده تاج الدين[6] .

الشيخ أبو نصر محمد[7] بن [٥٦٢] الحسن الحرار الصوفى البغدادى الشاعر .

---

(١) « فى لحظة » فى البداية والنهاية .

(٢) « رقه » فى البداية والنهاية .

(٣) هو محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله ، الشيخ محى الدين أبو بكر الطائى الحاتمى الأندلسى ، المعروف بابن عربى ، والمتوفى سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠ م ـ فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٣٥ رقم ٤٨٤ ، الوافى جـ ٤ ص ١٧٣ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٥٦ ، العبر جـ ٥ ص ١٩٨ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى « المنهل الصافى ، الوافى جـ ٤ ص ١٨٥ رقم ١٧٢٥ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٨ .

(٥) هو على بن محمد بن سليم ، الصاحب الوزير الكبير بهاء الدين بن حنا المصرى ، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ـ انظر ما يلى فى وفيات ٦٧٧ هـ .

(٦) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم المصرى ، الصاحب تاج الدين ، المتوفى سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ م ـ فوات الوفيات جـ ٣ ص ٢٥٥ رقم ٤١٦ .

(٧) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٨ .

له ديوان حسن ، وكان جميل المعاشرة ، حسن المذاكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له ، وأنشده قوله :

نهض القلبُ حين أقبلتَ إجلالا لما فيه عن صحيح الودادِ
ونهوض القلب بالوُدِّ أولى من نهوض الأجساد للأجسادِ

الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح الحسن بن الحافظ مؤرخ الشام المعروف بابن عساكر .

وهو من بيت الحفظ والعلم والحديث ، توفى فيها بدمشق .

الشيخ المحدث المسند أبو العباس أحمد(1) بن عبد الدائم ، توفى فيها بدمشق .

الشيخ القاضى تقى الدين أبو التقى صالح(2) بن الحسين الهاشمى الجعفرى .

كان أحد الفضلاء العارفين بالأدب وغيره ، وتولى الحكم بمدينة قوص ونظرها أيضا ، وله خُطَبٌ حَسَنَةٌ ، ونظم جيد ، وتصانيف عدةٌ ، توفى فى هذه السنة بالقاهرة .

الطواشى جمال الدين محسن الصالحى النجمى ، شيخ الخدام بالمدينة النبويّة بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى فى هذه السنة .

إدريس(3) بن قتادة ، وثب عليه ابن أخيه أبو نُمى صاحب مكة فقتله ، واستبدَّ بالإمرة على مكة ، شرّفها الله .

---

(1) ذكر المؤلف خبر وفاته فيما سبق انظر ص ٦٥ — ٦٦ .

(2) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمد ، تقى الدين الهاشمى الجعفرى الزينبى . وله أيضا ترجمة فى : الوافى ج١٦ ص ٢٥٦ رقم ٢٨٣ ، ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٤٣٨ .

(3) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ج ٢ ص ٢٨٧ رقم ٣٥٣ ، العقد الثمين ج ٣ ص ٢٧٨ رقم ٧٤٣ .

فصل فيما وقع من الحوادث

فى السّنة التاسعة والسّتين بعد السّتمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

وسلطان الديار المصرية والشاميّة : الملك الظاهر بيبرس الصالحى النجمى ، ففى مستهل صفر منها ركب وتوجّه إلى الشام ، واستصحب معه ولده الملك السعيد ، والأصح أنه ما استصحب ولده إلّا فى السفرة الثانية (١) ، على ما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى ، ومعه طائفة من العسكر ، وجاز على عسقلان ، وهدم ما بقى من سورها ، ممّا كان أُهمل ، ووجد فيما هدم كوزين (٢) فيهما ألف دينار ، ففرقهما على الأمراء (٣) .

وجاءت البشارة هناك بأن منكوتمر كسر جيش أبغا ، ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة مؤيّدًا منصورا .

ذكر سَفْرة الظّاهر ثانى مرّة :

وفيها : توجه السلطان الظاهر إلى الشام ، واستصحب معه ولده الملك السعيد ، والوزير بهاء الدين بن حنّا ، وجمهور الجيش ، ودخل دمشق يوم

(*) يوافق أولها الأربعاء ٢٠ أغسطس ١٢٧٠ م .

(١) يتفق هذا مع ما يلى ، ومع ما ورد فى الروض الزاهر ص ٣٧٤ حيث جاء أن السلطان « توجه فى عاشر جمادى الآخرة ، وصحبته ولده الملك السعيد » .

(٢) كوز = كيزان : إناء كالأبريق ، ولكنه أصغر منه — المنجد .

(٣) انظر أيضا كنز الدرر جـ ٨ ص ١٥٤ [illegible]

الخميس ثامن رجب [٦٦٣ه] فى أُبَّهَةٍ عظيمة، وابنه الملك السعيد قُدَّامه ، وكان يوما مشهودًا ، وفى طريقه شنَّ الإغارة على طرابلس ، واتصلت غارته بصافيتا ، وجرَّد فرقةً من العسكر صحبة الأمير سيف الدين قلاون الألفى ، والأمير فخر الدين بيليك الخزندار الظاهرى ، وصيَّر صحبتهما الملك السعيد ولده ، فأغاروا على ناحية المرقب ، فعنـد عود السلطان من الغارة على طرابلس عاد الملك السعيد ومن معه من الغارة على جهـة المرقب ، وتوافوا ونزلوا على حصن الأكراد فى تاسع شهر شعبان(١) من هذه السنة .

ذكر فتح حصن الأكراد :

ونزل السلطان عليه فى تاسع الشهر المذكور ، وجُدَّ فى حصاره وقتاله ، فلما كان العشرون منه أُخِذَت أرباضه ، وزحفت العساكر ، فطلبوا القلعة وتسلموها ، وطلع الفرنج [إلى](٢) القُلَّة ، ثم طلبوا الأمان ، فأجابهم إليـه ، فخرجوا وجُهِّزوا إلى بلادهم فى الرابع والعشرين منه ، وتسلم السلطان الحصنَ ، وكتب إلى مقدِّم الإسبتار صاحب الحصن كتابا نسخته :

---

(١) « وفى تاسع رجب نازل السلطان حصن الأكراد » — الروض الزاهر ص ٢٧٥ ، وانظر أيضا نهاية الأرب .

وما ورد بالمتن يتفق وسير الأحداث فقد دخل السلطان وابنه دمشق فى ٨ رجب — انظر أيضا السلوك جـ ١ ص ٥٩٠ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٥٢ .

(٢) [إلى] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٣٢ أ .

هذه المكاتبة إلى أفريرأوك(١)، جعله الله ممن لا يعترض على القَدَر، ولا يُعاند من سُخّر لجيشه(٢) النصر والظفر، ولا يعتقد أنه يُنجى من أمر الله الحذر(٣)، ولا يحمى منه محجور البناء، ولا مَبنى الحجر، تُعلمه بما سَهّل الله من فتح حصن الأكراد الذى حصنته وبنيته وخلّيته، وكنت الموفق لو أخليته، واتكلت فى حفظه على إخوتك فما نفعوك، وضيعتهم بالإقامة فيه فضيّعوه، وضيّعوك، وما كانت هذه العساكر تنزل على حصن ويبقى، أو تخدم سعيدا ويشقى(٤).

وقال ابن كثير: وكان الذى حاصره ابن السلطان(٥) الملك السعيد، فأطلق السلطان أهله ومَنّ عليهم، وأجلاهم إلى طرابلس، وتسلّم القلعة بعد عشرة أيام [من الفتح](٦) فأخلاها أيضا(٧)، وجعل كنيسة البلد جامعا، وأقام فيه الجمعة، وولى فيها(٨) نائبا وقاضيا، وأمر بعمارة البلد(٩).

---

(١) وهو Hugh Revel.

(٢) «لخيفته» فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة.

و «من سخر الله لجيشه» فى كنز الدرر جـ ٨ ص ١٥٢.

(٣) «بالقدر» فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة، والروض الزاهر.

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٢ أ، الروض الزاهر ص ٣٧٦.

وانظر نص الخطاب فى كنز الدرر جـ ٨ ص ١٥٢ — ١٥٣.

(٥) «وكان الذى يحاصره ولد السلطان» فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٩.

(٦) [ ] إضافة من البداية والنهاية.

(٧) «فأجلى أهلها أيضا» — البداية والنهاية.

(٨) «فيه» فى الأصل، والتصحيح من البداية والنهاية.

(٩) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٩.

وبعث إليه صاحب أنطرسوس واسمه كندور، ومقدم[1] بيت الإسبتار وسألا[2] الصلح، فأجابهم السلطان إلى الصلح على أنطرسوس والمرقب خاصّةً خارجا عن صافيتا وبلادها، واسترجع منهم بلدة وأعمالها، وما أخذوه فى الأيام الناصريّة، وعلى أن جميع ما لهم من الحقوق والمناصفات على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين الإسبتار، وعلى أن لا تجـدد عمارة المـرقب، وحلف لهم على ذلك، وأخلوا قرفيص، [٥٦٤] وأحرقوا ما لم يمكن حمله.

وقال ابن كثير: ولمـا فتح الملك السعيد بن الظاهر حصن الأكراد جعـل كنيستها جامعا وأقام فيه الجمعة، وولّى السلطان فيـه نائبا وقاضيا، وأمر بعمارة البلد[3]، ثم أنه بلغ السلطان وهو مخيّم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قـد ركب بجيشه إلى عكّا لينصر أهلهـا خوفا عليهم[4] من الملك الظاهر، فأراد السلطان أن يغتنم هذه الفرصة، فبعث جيشا كثيفا فى سبعة عشر[5] شينيا ليأخذوا جزيرة قبرص فى غيبة صاحبها [عنها][6]، فسارت المراكب مسرعةً، فلما قاربت

---

(١) «وهو مقـدم بيت الإسبتار» فى الأصل، والتصحيح من الروض الزاهر ص ٣٧٨، السلوك جـ ١ ص ٥٩١.

والمعروف أن صاحب أنطرطوس هو مقدم الداوية.

(٢) «وسأل» فى الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق.

(٣) انظر الفقرة السابقة حيث كرر العينى بعض ما نقله عن ابن كثير.

(٤) «عليهم» ساقط من البداية والنهاية.

(٥) «اثنى عشرة» — البداية والنهاية

(٦) [ ] إضافة من البداية والنهاية.

الجـزيرة جاءتها[1] ريح قاصف ، وصادفت[2] بعضها بعضا ، فتحطم منهـا أحد عشر مركبا[3] بإذن الله عز وجل ، نغرق خلق وأسر [الفـرنج][4] من الصُناع والرجال قريب من ألف وثمانمـائة إنسان فـ ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعونْ ﴾[5] .

وقال بيبرس فى تاريخه : هـذه الطّامة التى حصلت على المسلمين بعـد فتح القرين[6] ، فقال : خرج السلطان من دمشق بعـد فراغه من الجهات التى ذكرناها فى العشر الآخر من شوال ، وسار إلى القرين ونازله فى ثانى ذى القعدة ، وأخذت باشورته[7] ، وسأل مَنْ فيه الأمان ، فكتب لهم أمانا ، وتقرّر خروجهم وتوجّههم حيث شاءوا ، وأنهـم لا يستصحبون مالا ولا سلاحا ، وتسلّم السلطان الحصن وأمر بهدم قلعته ، ثم سار عنه ونزل اللجون ، وتقدمت مراسيمه إلى النواب[8] بالديار المصريّة وتجهيز الشوانى وتسفيرها إلى قبرس ، فجهزّها النواب ، وسفّروها صحبة مقدم البحر ورؤساء[9] الخلافة ، فلما وصلت إلى مَرْسَى النَمْسُون[10] تحت قبرس جنّها

(١) « المدينة » فى البداية والنهاية .

(٢) « وصدم » فى البداية والنهاية .

(٣) « فانكسر فيها أربعة عشر مركبا » فى البداية والنهاية ، وانظر ما سبق عن عدد الشوانى فى البداية والنهاية .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) جزء من الآية ١٥٦ من سورة البقرة رقم ٢ .

(٦) انظر ما بلى .

(٧) الباشورة : سد من التراب يمنع وصول الخيالة أو غيرهم إلى موضع المحاربين — ملحق دوزى

(٨) « الملوك » فى الأصل والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٩) « والرؤساء » فى الأصل ، التصحيح من زبدة الفكرة .

(١٠) هو تهناء ليماسول Limassol الحالى .

الليـل ، وتقدَّم الشينى الأوَّل داخلا على أنه يقصد الميناء ، فصادف الشعاب فى الظلماء ، فانكسر ، وتبعه الشوانى واحدا فواحدا ، ولم تعـلم بمـا أصابه ، فانكسروا فى دجى الليل جميعا ، وأسَرهم أهل قبرس ، وكان ابن حسُّون المقدّم قد أشار برأى ، تطيَّر الناس منـه ، وهى أن تطلى [الشوانى](١) بالقار ، ويعمل عليها الصلبان لتشتبه على الفرنج بشوانيهم ، فيتمكن من موانيهـم ، فاقتضى تغيير شعارها بمـا أراد الله من انكسارها .

وورد كتاب صاحب قبرس إلى السلطان يخـبر بأن شوانى مصر [٥٦٥] وصلت إلى قـبرس ، وكسرها الريح وأخذتها ، وهى أحد عشر شينيا ، فأمر [السلطان](٢) بأن يُكتب جوابه ، فكُتب إليه هذه المكاتبة :

إلى حضرة الملك أُوَكْ دلزنيال(٣)، جعله الله ممن يوفى الحق لأهله ، ولا يفتخر بنصر إلا إذا أتى قبله أو بعده بخير منه أو مثـله ، نُعلمه أن الله إذا أسْعَدَ إنساناً دفع عنه الكثير من قضائه باليّسير ، وأحسن له التدبير فـيما جرت به المقـادير ، وقد كنت عرفتنا أن الهواء كسر عدةً من شـوانينا وصار بذلك يتبجح ، وبه يفرح ، ونحن الآن نبشره بفتح القرين ، وأين البشارة بتملك القُرين من البشارة بمـا كفى الله ملكنا من العين ، وما العجب أن يفتخر بالاستيلاء على حديد وخشب ، الاستيلاءُ على الحصينة هو العجب ، وقـد قال وقلنا ، وعـلم الله إن

(١) [ ] إضافة للتوضيح — انظر الروض الزاهر ص ٣٨٧

(٢) [ ] إضافة للتوضيح .

(٣) هو ج هيو دي لوزنيان (لوزنيان) "Hugh de lusignan"

قولنا هو الصحيح ، واتكل واتكلنا ، وليس(١) من اتكل على الله وسيفه كمن اتكل على الريح ، وما النصر بالهواء مليح ، إنما النصر بالسيف هو المليح ، ونحن ننشىء في يوم واحد عدة قطائع(٢) ، ولا ينشأ لكم من حصن قطعة ، ونجهز مائة قلع ولا يجهز لكم في مائة سنة قلعة ، وكل من أعطى مقداف قذف ، وما كل من أعطى سيف أحسن الضرب به أو عرف ، وإن عدمت من بحرية المراكب آحاد فعندنا من بحرية المراكب(٣) ألوف ، وأين الذين يطعنون بالمقاديف(٤) في صدر(٥) البحر من الذين يطعنون بالرماح في صدر(٦) الصفوف ، وأنتم(٧) خيولكم المراكب ونحن(٨) مراكبنا الخيول ، وفرق بين من يجريها كالبحار ومن تقف به في الوحول ، وفرق بين من يتصيد على الصقور من الخيل العراب ، وبين من إذا افتخر قال : تصيدت بغراب ، فلئن كنتم أخذتم لنا قرية مكسورة فكم أخذنا لكم قرية معمورة ، وإن استوليتم على سكان فكم أخليناً بلادكم من سكان ، وقد(٩) كسبت(١٠)

---

(١) « وأين » — الروض الزاهر ص ٣٨٨ .

(٢) « وفي يوم ننشىء عدة قطائع » — الروض الزاهر ص ٣٨٨

(٣) المواكب » في زبدة الفكرة ، ويبدو أنه تحريف من الناسخ .

(٤) « المجاديف » في زبدة الفكرة .

(٥) ، (٦) « في صدور » — الروض الزاهر ص ٣٨٨

(٧) « أنتم » ساقطة من الروض الزاهرة .

(٨) « نحن » ساقطة من الروض الزاهر .

(٩) « وكم » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(١٠) « كسبت » في الروض الزاهر ص ٣٨٨

وكسبنا ، فترى أينا أغنم ، ولو أن في الملك سكوتا كان الواجب عليه [أن](١) سكت وما تكلم(٢) .

ذكر فتح عكار :

نزل السلطان على عكار(٣) فى سابع عشر رمضان [المعظم](٤) ومهد الطرقات لطلوع(٥) المجانيق ، واشتد [٥٦٦] أهله فى المناضلة ورمى الحجارة والمجانيق ، واستشهد عليه ركن الدين منكورس الدوادارى ، وكان يصلى فى خيمته ، فجاءه حجر فات من وقته ، وشددت العساكر(٦) الحصار ، وأخذوا النقوب تحت(٧) الأسوار ، فلما رأوا أنهم عاجزون عن مقابلتهم طلبوا الأمان ورفعت عليه السناجق ، وخرجت أهله فى سلخ الشهر ، فجهزوا إلى مأمنهم(٨) : وعيد السلطان بها عيد الفطر ، ثم رحل إلى مخيمه بالمرج ، فقال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى ذلك :

---

(١) (أن) إضافة من الروض الزاهر .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٣ ب — ٧٤ ب وانظر أيضا الروض الزاهر ص ٢٨٧ — ٢٨٨ ورقة ٦٦ — ٥٦ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٦٢ .

(٣) عكار : حصن على جبل عكار شمالى طرابلس — معجم البلدان .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) « ونصبت عليها » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٦) « فى » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٧) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٢ ب .

(٨) « وكتبت البشائر إلى البلاد الإسلامية بما فتح الله به ، وكتب إلى صاحب طرابلس كتابا بإنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر » — انظر كنز الدرر جـ ٨ ص ١٥٥ — ١٥٧ .

يا مليك الأرض بُشرا لك فقد نلت الإرادة
إنْ عكار يقينا هى عكا وزيادة[1]

وكان هذا الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهى فى وادى بين جبال .

ثم إن السلطان نفق فى العساكر بنفقة كاملة ، ثم بعد النفقة سار طالبا مدينة طرابلس ، وقد أمر العساكر فلبسوا الجواشن[2] والخُوَذ[3] ، وساروا بأُهْبَة الحرب ، وأحاطوا بطرابلس إحاطة الهالات بالأقمار ، والأكام بالأثمار ، فلما عاين بُرنس طرابلس قدوم العساكر وهجومهم كالسيل الهامر أرسل يَسأل الصلح ، فأجابه السلطان إليه[4] .

وقال ابن كثير : أرسل إليه صاحبها يقول : ما مرادك أيها السلطان فى هذه الأرض ؟ فقال : جئت لأرعى زرعكم[5] وأخرّب بلادكم ، ثم أعود إلى حصاركم فى العام الآتى إن شاء الله تعالى ، فأرسل يَستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين ، فأجابه إلى ذلك[6] .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٣ أ ، الروض الزاهر ص ٣٨١ ، المختصر جـ ٤ ص ٩ .

(٢) جوشن = جواشن : الدروع ـ محيط المحيط .

(٣) الخوذة : تلبس على الرأس ، وتصنع من الجلد أو الحديد ، وتحلى بالذهب أو الفضة ـ صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٧٣ .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٣ أ .

(٥) « زروعكم » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٩ .

(٦) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٩ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٥٧ أ ـ ١٥٨ .

وأرسل إليه الإسماعيلية يستعطفونه على والدهم ، وكان مسجونا بالقاهرة ، فقال : سلموا [إلى] العُلَيقة (١) وانزلوا لخذوا إقطاعات بالقاهرة وتسلموا آباكم ، فلما نزلوا أمر بحبسهم فى القاهرة ، وقد استناب بحصن العُلَيقة (٢) ، وخرجت من يد الإسماعيلية من ذلك الوقت .

ثم رجع السلطان ودخل دمشق يوم الأربعاء خامس عشر شوال من هذه السنة ، وعزل القاضى شمس الدين بن خلكان (٣) ، وكان له فى القضاء عشر سنين ، وولى القضاء عز الدين بن الصائغ (٤) ، وكان تقليده قد كُتِبَ [٥٦٧] بظاهر طرابلس ، بسفارة الوزير بهاء الدين بن الحنَّا ورأيه ، فسافرَ ابن خلكان فى ذى القعدة إلى الديار المصرية .

وفى حادى عشر (٥) شوال «دخل الشيخ خضر الكُردى (٦)» شيخ السلطان وأصحابه إلى كنيسة اليهود ، فصلوا فيها ، وأزالوا ما فيها من شعائر اليهود ، ومدُّوا فيها سماطا ، وعملوا سماعا ، وبَقُوا كذلك أياما ، ثم أُعيدت إلى اليهود .

---

(١) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٩ .

(٣) توفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م — فوات الوفيات جـ ١ ص ١٠٠ رقم ٤٥ .

(٤) هو محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر ، الشهير بابن الصائغ ، المتوفى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م — انظر ما يلى فى وفيات ٦٨٣هـ .

(٥) « ونى ثانى » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٠ .

(٦) « دخل حصن الكردى » فى البداية والنهاية ، وهو إضطراب فى النص وتحريف .

ذكر فتح القُرَين[1] :

خرج السلطان من دمشق فى العشر الآخر من شوال[2] وأتى إلى الساحل ، ثم سار إلى القُرَين ونازله ، وأخذ باشورته فى ثانى ذى القعدة ، وقد ذكرنا بقية الكلام الآن ، فحاصله أنه أخذ الحصن وأمر بهدم قلعته ، ثم سار عنه ونزل اللجون[3] ، وتقدمت مراسيمه إلى النُّواب بالديار المصريّة بتجهيز الشوانى ، وقد ذكرناه مفصَّلا عن قريب[4] ، ثم إن السلطان جاء إلى عكّا وأشرف عليها وتأمَّلها ، ثم سار إلى الديار المصريّة . وكان مقدار ماغرمه فى هذه السَّرحة والغزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار ، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر[5] ذى الحجة .

ولما دخل القاهرة أمر بعمارة الشوانى وباشرها بنفسه ، فعمَّر فى أقرب مدة ضِعْفَىْ ما انكسر .

وفى اليوم الثانى من وصوله[6] مسك السلطان جماعة من كبار الأمراء منهم :

---

(١) القرين : حصن قرب صفد ، كان المركز الرئيسى لفرسان التيوتون — الروض الزاهر ص ٣٨٥ .

(٢) « فى رابع عشرين منه » — الروض الزاهر ص ٣٨٥ .

(٣) اللجون : هناك أكثر من موضع ببلاد الشام بهذا الاسم ، والمقصود هنا بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا ، ويبعد من الرملة أربعين ميلا — معجم البلدان .

(٤) انظر ماسبق ص ٧٢ — ٧٣ .

(٥) « ثانى عشر » فى الروض الزاهر ص ٣٨٩ ، السلوك جـ ١ ص ٥٩٥ .

(٦) « فى خامس عشر ذى الحجة » فى كنز الدرر جـ ٨ ص ١٦٣ .

[علم الدين سنجر](١) الحلبي، وعز الدين إيغان(٢) سم الموت ، و[أقوش](٣) المحمدى وغيرهم(٤) ، بلغه أنهم أرادوا أن يفتكوا به وهو على الشقيف .

وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة أمر بإراقة الخمور من سائر بلاده ، وتهدّد مَن يعصرها بالقتل ، وأسقط الضمان فى ذلك ، وكان بالقاهرة وحدها ألف دينار ، وسارت البُرد بذلك إلى الآفاق بأمر بذلك .

ذكر بقيّة الحوادث :

منها : أن فى ربيع الأول بلغ السلطان الملك الظاهر أنّ أهل عكا ضربوا رقاب مَنْ فى أيديهم من أَسْرَى المسلمين صَبْرًا بظاهر عكا ، فأمر بمَن كان فى يده من أسارى عكا ، ففرِّقوا جميعهم ، وكانوا قريبا من مائة نفر .

ومنها : [٥٦٨] أن فى الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر أقيمت الخطبة فى جامع المنشية ، بحَسْب كمال بنائه .

ومنها : أن فى يوم الأحد الثانى عشر من شوال جاءَ سَيْلٌ عظيمٌ إلى دمشق ، فأتلف شيئًا كثيرا ، وغرق بسببه أناس كثير أيضا لا سيما الحجاج من الروم ، أخذهم وجمالهم فهلكوا ، وغلقت أبواب البلد ، ودخل الماءُ من مرامى السُّور

(١) [ ] إضافة من السلوك جـ ١ ص ٥٩٥ .
(٢) « يغان » فى الأصل ، والتصحيح من السلوك .
(٣) [ ] إضافة من السلوك .
(٤) انظر السلوك جـ ١ ص ٥٩٥ .

ومن باب الفراديس ، فغرق خان بن مقـدّم ، وأتلف شيئاً كثيرا ، وكان ذلك في زمن المشمش .

وفي تاريخ بيبرس : أتى على كلِّ شيء بجمله كالرميم (١) ، وطلع في سـور دمشق قدر رمح ، وأغرق حيوانات كثيرة ، وأفسد عدة أدُرٍ بدمشق ، وأغرق من العالم ما لا يحصى ، ونضب ، فلم يعلم من أين اجتمع وإلى أين ذهب ، ويقال إنه هلك به تقدير عشرة آلاف نفس ، وأخذ الطواحين بحجارتها (٢) .

ومنها : أن صاحب صـور (٣) سأل الصلح فأُجيبَ ، وتقرر الصلح ، وحصل الاتفاق على أن يكون له عشرة بلاد خاصًا ، ويكون للسلطان خمس بلاد يختارها خاصًا ، وبقيّة البلاد مناصفة .

ومنها : أنه ورد كتاب نُيْسُو نوغاى (٤) قـريب الملك بركة ، وهو أكبر مقدمى جيشه ، نسخته :

صدر هذا الكتاب : من نُيْسُو نوغاى إلى الملك الظاهر ، أحمد الله تعالى على أن جعلني من جـملة المسلمين ، وصَيّرني ممن يتبعُ الدين المستبين (٥) ، وبعد :

(١) « وطلع السيل على » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٣ أ ، الروض الزاهر ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .

(٣) « الصور » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٤ ب .

(٤) « يوسو نوغاى » في الروض الزاهر ص ٣٧١ ، السلوك جـ١ ص ٥٩٠ .

(٥) يوجد بعد هذه العبارة في الروض الزاهر صيغة تصلية نصها : « وأصلى على مختتم الرسالة ، ومعلم الدلالة ، إمام المرسلين ، وقوام المتقين ، محمد — صلى الله عليه وسلم — ، وعلى إخوانه النبيين ، وأصحابه المحبين ، أرباب الحق ، وأصحاب التمكين » — الروض الزاهر ص ٣٧١ .

فإن كتابنا هذا يحتمل على معنيين : أحدهما : التحيّة والسلام منا إليك . والثانى : أنا سمعنا من أرفوغا(١) أنه لصدق عهده مع أبينا بركة خان استخبر عن أولاده وأقربائه ومَنْ أسْلم منهم ، فلما أخبر(٢) هذا الخبر أخلصْنا المحبّة للملك الظاهر ، الوفىّ بالعهود ، وقلنا : ما استخباره عنا إلّا لحميّته فى الإسلام وصدق نيّته فى تجديد العهود ، وكتبنا هذا الكتاب على يد أرِيتمو وتُوق بُغا ، مُعْلماً أنا دخلنا فى الإسلام ، وآمنا بالله ، وبما جاء من عند الله ، وبرسول الله [محمد](٣) صلى الله عليه وسلم ، فيثق بما قلناه ، ويستن(٤) بسنة أبينا بركة خان ، ويتبع الحق ، ويجتنب [٥٦٩] البطلان ، ولا يقطع إرسال المكاتبة ، فنحنُ معك كالأنامل لليد ، نوافق من يوافقك ، ونخالف من يخالفك .

فكتب جوابه : صدرت هذه المكاتبة إلى سامى مجلس العزيز الأصيل ، المجاهد فى سبيل ربه ، المستضىء بنور قلبه ، ذخيرة المسلمين ، وعون المؤمنين ، نيسونوغا(٥) ، عمّر الله قلبه بالإيمان ، وجعله من أمر دنياه وأخراه فى أمان ، وعامله بما عامل به التابعين بإحسان ، نُعلِمه(٦) بورود كتاب منه ، سَرّ السمع والقلب ، وحكم للتوفيق بالغلب ، ووجدناه مقصورا على أفهام ما هو عليه من صحة الإعتقاد والإقتفاء لأثر الملك بركة خان فى اجتهاد فى الدين

(١) « أربوغا » فى الروض الزاهر ص ٣٧١ .

(٢) « خبر » فى الروض الزاهر .

(٣) [ ] إضافة من الروض الزاهر .

(٤) « وأنا نستن » فى الروض الزاهر .

(٥) « يسونوغا » فى الروض الزاهر

(٦) « نعلم » فى الروض الزاهر .

وجهاد ، وهذا كان عندنا منه أمرٌ لا نترك مثلَه ولا نُلغي ، وقد تلونا قوله تعالى : ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ (١) ، وحمدنا الله على أن كثَّر به حزب المؤمنين ، وجعله فى ذلك الجانب مُتَبَتِّلا لقتال الكافرين ، وقد عُلِمَ أن الرسول (٢) جاهَد عشيرتَه الأقربين ، وأنكر على مَنْ رضِىَ أن يكون مع القاعدين ، والقصد التذكار بذلك ، و إبلاغ التحيَّة لمن فى الجانب المحروس ، ممَّن نور الله بصيرته حتى اهتدى للحق ، واقتدى بالملك بركة خان ، رضى الله عنه ، فى جهاده ، وداوم على الجهاد ، الذى كتب اللهُ لنا أجْره ، فى الغرب ، ولهم أجره فى الشرق ، حتى تنكسر شوكة الكفار ، و يعلم الكافر لمن عقبى الدار ، ويخذل أنصار المشركين ، ﴿ وما للظالمين من أنصار ﴾ (٣) وتتمة تتضمن الأشلاءَ على التتار والإغراء بهم (٤) .

وفيها : « ... ... » (٥) .

وفيها : حج بالناس « ... ... » (٦) .

---

(١) جزء من الآية رقم ٦٤ من سورة الكهف رقم ١٨ .

(٢) « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم » فى الروض الزاهر .

(٣) جزء من الآية ٢٧٠ من سورة البقرة رقم ٢ .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٤ ب — ٧٥ ب ، الروض الزاهر ص ٢٧١ — ٢٧٢ ، جامع التواريخ جـ ٢ ص ٢٠٦ .

(٥) ، (٦) « ... .. » موضع بياض بالأصل .

ذكر من تُوفيّ فيها من الأعيان

قاضى القضاة شرف الدين أبو حفص عمر[١] بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكى المالكى .

ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وتفقه ، ودرس ، وأفتى بالصالحية[٢] ، وولى حسبة القاهرة ، ثم ولىَ قضاء القضاة سنة ثلاث وستين ، لما ولّوا من كل مذهب قاضيا ، وقد مرّ أنه امتنع أشد الامتناع ، وإنما أجاب بعد إكراه ، وشرط أن لا يأخذ جامكيةً ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، روى عنه القاضى بدر الدين بن جماعة وغيره ، وكانت [٥٧٠] وفاته لخمس بقين من ذى القعدة بالقاهرة ، ودفن بمقابر باب النصر

الشيخ عمر السنجارى[٣] من أصحاب على بن وهب .

وسبب وفاته : أن الفقراء اجتمعوا فى زاوية الشيخ مذكور الجفارى ببلبيس ، وكانت ليلة جمعة : ومعهم قوّال يسمى أسد الفاقوسىّ ، فقرأ القارئ : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت[٤] ﴾ . فتواجد الشيخ عمر المذكور وقام وقعد ، فأنشد القوّال :

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٦ أ ، الوافى جـ ٢٢ ص ٥٠٢ رقم ٣٥٣ ؛ البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٠ ، والسلوك جـ ١ ص ٥٩٦ .

(٢) « بالصلاحية » فى البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٥ ب .

(٤) جزء من الآية ٧٨ من سورة النساء رقم ٤ .

لئن عاد جمعُ الشمل فى ذلك الحمى غفرت لدهرى كل ذنب تقدّما
وإن لم يَعُدْ مُنْيتُ نفسى بعودةٍ وماذا عسى تجدى الأمانى وكلّما
يحق لقلبى أن يذُوبَ صبابةً وللعين أن تجرى مدامعُها دمًا
على زمنٍ ماضٍ بكُم قد قطعتُه لبستُ به ثوب الخلاعة مُعْلِماً

فقام الشيخ وتواجد ووقع إلى الأرض ، فانقطع حِسّه فحركوه فإذا هو ميت .(١)

الشيخ أبو إبراهيم إسحاق(٢) بن أبى الثناء محمود بن أبى الفياض بن على البَرُوجِردى(٣) الصوفى المشرف ، المنعوت بالشمس .

مات فى ضحوة النهار الخامس من المحرم بالقاهرة ، ودفن من يومه بسفح المقطم ، ومولده فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين وخمسمائة ببَرُوجِرد ، سمع وحدّث ، وكان يكتب خطا حسنا ، وكان من أكابر مشايخ الصوفية ، مشهورا عندهم ، مقدّما فيهم .

ابن سَبْعين(٤) قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن أبى إسحاق إبراهيم بن سبعين المَرسى الرقوطى ، نسبةً إلى رقوطة بلدة قريبة من مَرْسِيَة .

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٥ ب .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ١ ورقة ٧٥ ب .

(٣) بروجرد : بالفتح ، ثم الضم ، ثم السكون ، وكسر الجيم ، وسكون الراء ، ودال ؛ مدينة بين همدان والكرج — معجم البلدان .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، وفيه توفى سنة ٦٦٨ هـ ، العقد الثمين جـ ٥ ص ٣٢٦ رقم ١٧٠ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٥٣ رقم ٢٤٢ ، السلوك جـ ١ ص ٥٩٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٢٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦١ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

وُلِد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلوم الأوائل والفلسفة ، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد ، وصنّف فيه ، وكان يعرف السيمياء ، [وكان يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء](١) أنه حال ، وله مصنّفات منها كتاب « المو » ، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبى نمى ، وجاور فى بعض الأوقات بغار حراء ، يرتجى فيما نقل عنه أن يأتيه فيه وحى [٥٧١] بناء على معتقده الفاسد من أن النبوة مكتسبة ، فما حصل له إلا الخزى فى الدنيا ، ويوم القيامة يُرَدّ إلى أمّه الهاوية ، إن كان مات على ما ذكرعنه من العظائم ، وكانت وفاته فى الثامن والعشرين من شوال بمكة ، وقد حط عليه ابن تيميّة فى كتابه المسمى ببغية المراد حطًّا شنيعا ، عليه وعلى أمثاله ممن ذهبوا إلى الحلول والإتحاد .

القاضى شمس الدين إبراهيم بن البازرى(٢) ، قاضى القضاة بحماة .

ماتَ فى هذه السنة .

الشيخ الفقيه أبو الرضى عمر(٣) بن على بن أبى بكر بن محمد بن بركة بن محمد الحنفى ، المعروف بابن الموصلى ، المنعوت بالرضى .

مات فى الثانى عشر من شهر رمضان بالقاهرة ، ودفن من يومه بسفح المقطم ، ومولده بميافارقين فى سنة أربع عشرة وستمائة ، تفقه على مذهب الإمام

(١) [ ] إضافة من البداية والنهاية .
ويوجد بدلا منهما فى الأصل « على الأغنام » ، وهو تحريف .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : العبر جـ ٥ ص ٢٩١ ، السلوك جـ ١ ص ٥٩٧ ، المختصر جـ ٤ ص ٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣١ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، وفيه توفى سنة ٦٧٠ هـ .

أبى حنيفة رضى الله عنه ، ودرّس ، وأفتى ، وحدّث ، وكان أحد المشايخ المشهورين بالفضل ، المعروفين بالرئاسة ، وله نظم حسن ، وخطّ جيّد .

الأمير شرف الدين أبو محمد عيسى[(١)] بن الأمير أبى عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كامل الكُردى الهكارى .

مات بدمشق فى الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودفن بجبل قاسيون ، سمع من ابن طبرزد ، والكندى ، وغيرهما ، وحدّث ، وكان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة ، المعروفين بالإقدام ، وله وقائع معروفة مع العدو المخذول بأرض الساحل وغيرها .

الملك تقى الدين عباس[(٢)] بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب .

وهو آخر من بقى من أولاد العادل ، وقد سمع الحديث من الكندى ، وابن الحرستانى[(٣)] ، وغيرهما ، وكان محترما عند الملوك ، لا يرفع عليه أحد فى المجالس ولا فى المواكب ، وكان دمث الأخلاق ، حسن العشرة ، لا تملّ مجالسته ، وتوفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الأولى بدَرْب الريحان بدمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون .

الطواشى شجاع الدين مُرْشد[(٤)] المظفرى الحموى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٥ ب ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣٣ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣٢ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٠ ، الوافى جـ ١٦ ص ٦٦٠ رقم ٧١٢ ، ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ٤٦٠ .

(٣) هو عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل بن على بن عبد الواحد الأنصارى الدمشقى الشافعى ، ابن الحرستانى ، المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٦م - سير أعلام النبلاء جـ ٢٢ ص ٨٠ - ٨٤ رقم ٥٨ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٠ ، المختصر جـ ٤ ص ٧ .

كان من الأبطال المشهورين ، ذوى الرأى ، وكان ابن أستاذه لا يخالفه ، وكذلك الملك [٥٧٢] الظاهر ، ومات بحماة ودفن بتربته بالقرب من مدرسته التى بناها بحماة .

الملك المجير هيثوم بن قسطنطين ، صاحب سيس (١) .

هلك فى هذه السنة ، وملك بعده ابنه ليفون بن هيثوم الذى كان المسلمون أسروه .

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٥ ب ، المختصر جـ ٤ ص ٦ – ٧ .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة السبعين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

وسلطان البلاد المصرية والشامية : الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الصالحى .

وصاحب بلاد الروم : ركن الدين قليج أرسلان السلجوقى ، ولكنه تحت حكم التتار .

وصاحب البلاد العراقيــة وخراسان وأذربيجان وغيرها من البــلاد : أبغا ابن هلاون .

وصاحب البلاد الشمالية : منكوتمر .

وصاحب الغرب : أبو يوصف يعقوب المرينى .

وفى يوم الأحد الرابع عشر من محرم هذه السنة ركب السلطان الملك الظاهر إلى البحــر لإلقاء الشوانى التى حملت (١) عوضاً عما غرق بجزيرة قبرس ، فركب فى شينى منها ، ومعه الأمــير بدر الدين الخازندار ، فـمـال بهم المــركب ، فسقط الخازندار (٢) فى البحــر ، فغاص فى المـاء ، فألقى رجل نفسه وراءه ، فأخذ بشعره وأنقذه من الغرق ، فخلع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه جزيلا (٣) .

(*) يوافق أولها الأحد ٩ أغسطس ١٢٧١ م .

(١) « عملت » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦١ .

(٢) « الخزندار » فى الأصل .

(٣) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦١ .

ذكر سَفْرَة السُّلْطان الملك الظاهر إلى ناحية الشام :

وفى أواخر المحرم منها[(١)]، ركب السلطان فى نفر يسير من الخاصكيَّة والأمراء من الديار المصرية، فجاء إلى الكرك، واستصحب نائبها عز الدين أيدمر[(٢)] الظاهرى أستاذ الدار معه، ورتب علاء الدين أيدكين الفخرى أستاذ الدار نائب السلطنة بها، ثم توجه إلى دمشق فدخلها فى الثانى عشر من صفر[(٣)]، ومعه عز الدين أيدمر المذكور، فولاه نيابة دمشق، وعزل جمال الدين أقوش النجيبى فى رابع عشر صفر.

وفى مستهل ربيع الأول خرج من دمشق[(٤)] فتوجه إلى شيزر وحمص وحصن الأكراد وحصن عكَّار وكشفهم[(٥)]، ثم عاد إلى دمشق بعد عشرة [٥٧٣] أيام، وجاء إليه الأخبار بأن التتار أغاروا على عينتاب، ثم توجهوا إلى عُمق حارم، ومقدّمهم يُسمَّى صَمغار، فوقعوا على طائفة من التركمان بين حارم وأنطاكية، فاستأصلوهم، فكتب السلطان إلى الديار المصريّة يستدعى الأمير بدر الدين

---

(١) « ليلة سابع وعشرين المحرم » — الروض الزاهر ص ٣٩١، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٦٤.

(٢) هو أيدمر بن عبد الله الظاهرى، الأمير سيف الدين التركى، المتوفى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٨٣ رقم ٦٠٩، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٣٥، درة الأسلاك ص ١٥٣، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ١٢٨.

(٣) « فدخلها فى ثالث عشر » — السلوك جـ ١ ص ٥٩٨.

(٤) « من ظاهر حماة » فى السلوك جـ ١ ص ٥٩٩، الروض الزاهر ص ٣٩٥.

(٥) « وكشفها » فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٦ أ.

بَيْسَرى الشمسى (١) وثلاثة آلاف فارس من العسكر، فوصل البَريدى إلى الأمير بدر الدين الثالثة من ليلة الأربعاء الحادى والعشرين من ربيع الأول، فتجهز وخرج بكرة الأربعاء هو والعسكر المطلوب، فسافروا ووصلوا إلى دمشق فى رابع ربيع الآخر، وأما التتار فإنهم أغاروا على حارم والمروج وقتلوا جماعة، فتأخر نائب حلب والعسكر إلى حماة، وجفل أهل دمشق، فلما وصل البَيْسَرى والعسكر إلى دمشق سار السلطان بالعساكر إلى حلب، وجرّد إلى كل جهة عسكرا صحبة أمير من أمرائه، فجرد الحاج طيبرس الوزيرى (٢) وعيسى بن مُهَنَّى (٣) إلى مرعش (٤)، فقتلا من وجداه بها من التتار، وانكفّوا بحركة السلطان، وكان الفرنج قد تحركوا بالساحل وأغاروا على قاقون وقتلوا الأمير حسام الدين أستاذ الدار وبعض من كان معه، فلما لحقتهم العساكر تفرقوا وعادوا، ولما سكّن السلطان هذه الثَّوائِر (٥) عاد إلى الديار المصرية .

---

(١) هو بيسرى بن عبد الله الشمسى الصالحى، الأمير بدر الدين، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٥٠٠ رقم ٧٤١، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢١٤، درة الأسلاك ص ١٤٤ .

(٢) هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى، الأمير الكبير، الحاج علاء الدين، توفى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م — المنهل الصافى، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٨٥ .

(٣) هو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، الأمير شرف الدين، المتوفى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م — انظر ما يلى فى وفيات ٦٨٣هـ .

(٤) « إلى حران والرها » فى الروض الزاهر ص ٣٩٦، والسلوك جـ ١ ص ٦٠٠ .

(٥) فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٦ ب .

ذِكْرُ عَوْد السُلطان إلى مصر :

ولما فرغ شغله من الشام عاد إلى الديار المصرية ، فوصل إلى قلعة الجبل الثالث والعشرين من جمادى الأولى ، وأقام فيها إلى شعبان ينظر في مصالح المسلمين ، ثم خرج .

ذكر خروج السلطان من الديار المصريّة إلى الديار الشاميّة ثانى مرة :

وفى شهر شعبان (١) خرج السلطان وتوجّه إلى أراضى عكا ، فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة ، فأجابه إلى ذلك ، فهادنه عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات ، ثم عاد إلى دمشق فقرئ كتاب الصلح بدار السعادة ، فاستمر الحال على ذلك .

وقال بيبرس : وعاد السلطان إلى الشام وخرج من قلعة الجبل فى شهر شوال ونزل على الروحاء مقابل عكا لأنه مكان كثير المياه والأعشاب ، فحضرت إليه رسل الفرنج ، فزادهم ثمانى ضياع [٥٧٤] وأنعم عليهم بشفرعم ونصف اسكندرونة ، وتقررت الهدنة مع صاحب قبرس (٢) .

وفيها : حضرت إليه رسل البَرْواناه النائب بالروم ، ورسل صمغار مقدم

---

(١) « فى شوال » فى زبدة الفكرة — انظر ما يلى .

« وفى ثالث شعبان خرج السلطان » — الروض الزاهر ص ٣٩٨ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٦ ب .

التتار المقيم بها[2] ، فجهز الأمير فخر الدين إياز المقرى[1] ، والمبارز الطورى أمير طبر صحبة رسلهما بهدية [إليهما و][3] إلى أبغا بن هلاون[4] ، فدخلا قيسارية واجتمعا بصمغار والبرواناه وأوصلا اليهما الهدية ، وأبلغاهما جواب الرسالة وتوجها الى الأردو ، واجتمعا بأبغا وأوصلا إليه هديته وهى جوشن ريش قنفذ ، وخوذة كذلك ، وسيف ، وقوس ، وتركاش ، وتسع فردات[5] [نشابا][6] .

وفيها : وصل إلى السلطان الخبر أن الإفرنج المرشيلية[7] أخذوا مركبا فى البحر، فيه رسل الملك منكوتمر ملك التتار ببلاد الشمال ، والترجمان الذى توجه إليهم من جهة السلطان ، فأحضروهم أسرى إلى عكا ، فأرسل الى الإفرنج يطلبهم منهم ، فأطلقوهم وأرسلوهم وما أخذوا لهم شيئاً[8] .

---

(١) هو إياز بن عبد الله الصالحى النجمى ، المعروف بالمقرئ ، توفى سنة ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٢١ رقم ٥٦٧ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٥ رقم ٢١ ، درة الأسلاك ص ٩٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢١ .

(٢) طبر : كلمة فارسية بمعنى فأس ، وأمير طبر يشرف على حاملى هذا النوع من السلاح حول السلطان فى المواكب — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٨٥ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « بن هلاون » ساقط من زبدة الفكرة .

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٦ ب

(٦) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٣٩٩ .

(٧) نسبة إلى مرسيليا ، والمقصود المرسيليز Marseillais .

(٨) زبدة الفكرة ، جـ ٩ ، ورقة ٧٧ أ .

وفيها : سيّرت فداويّة إلى ورد[1] ملك الفرنج بهديّة ، فقفز عليه أحدهم فقتله ، وقُتل الفداوىُّ لوقته ، وكان ذلك جزاءً لما فعله من الغارة على قاقون وقتل الحسام أستاذ الدار (وجزاءُ سيئةٍ سيّئةٌ مثلُها)[2] .

وفيها : توجّه السلطان إلى حصن الأكراد وأمر بعمارتها ، وعاد إلى دمشق فدخلها فى خامس المحرم من سنة إحدى وسبعين وستمائة[3] ، ثم توجه إلى مصر على ما نذكره إن شاء الله فى أوّل السنة الآتية .

ذكر بقيّة الحوادث :

منها : أنه كانت وقعة شديدة بين أبغا بن هلاون وبين بَراق بن يُسَنْتاى بن ما يُنْقان بن جغطاى بن جنكزخان[4] .

ومنها : أنه استقرّ بغرناطة وما معها محمد بن محمد بن نصر بن الأحمر ، فثار عليه ابن عمّة له يعرف بابن الشقيلولة ، واستعان عليه بأبى يوسف المرينى[5] وأعطاه

(١) الأمير إدوارد بن هنرى الثالث ملك إنجلترا .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ ، الروض الزاهر ص ٤١ .
جزء من الآية ٤٠ من سورة الشورى رقم ٤٢ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ .

(٥) هو يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة ، أبو يوسف المرينى ، المتوفى ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م — المنهل الصافى ، الأنيس المطرب ص ٣٢٣ .

مالقةَ وحصونَهـا ، فسار إليه وعاضده ، ولما دخل الأندلس جعل مقامه على إشبيلية ، وهذه المدينة مدينة عظيمة عدة قراها اثنى عشر ألف قرية ، وجهّز أبو يوسف من جيوشه من يَشُنُّ الغارات [٥٧٥] من كل جهة وأقام بها عامين ، ثم عاد إلى البلاد ، ثم أن محمدا الأحمر لاطف أبا يوسف المرِّينى واستماله إليه ، وسأله إنجاده فأنجده نجداتٍ كثيرة .(١)

ومنها : أن زَرَافَة بقلعة الجبل ولدت وأرضعت من بقرة ، قاله قطب الدين ، وقال : هذا شىءٌ لم يعهد بمثله ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة منها .(٢)

ومنها : أن امرأةً بدمشق ولدت فى بطن واحد سبع بنين وأربع بنات ، وكانت مدةَ حملها أربع شهور وعشرة أيام وماتوا كلهم وعاشت هى ، ذكره النُوَيرىُّ فى تاريخه .

وفيها : « ... ... »(٣)

وفيها : حج بالناس « ... ... »(٤)

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ .

وانظر تفصيل ذلك فى الأنيس المطرب ص ٣١٣ وما بعدها .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢ .

(٣)، (٤) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ الفقيه أبو على الحسن[(١)] بن أبى عمرو عثمان بن على القابسى المالكى المحتسب بالإسكندرية .

توفى بها فى هذه السنة عن سن قريب من مائة سنة ، وكان معروفا بالخير والصلاح .

الشيخ أبو الحسن على[(٢)] بن عثمان بن محمد الإربلى الصوفى المعروف بالسليمانى .

توفى فيها بمدينة الفيوم ، وكان أحد المشايخ الصوفية المعروفين ، وكان دينا ، فاضلا ، شاعرا .

الشيخ الإمام الفقيه أبو الفضائل سلار[(٣)] بن الحسن بن عمر بن سَعْد الأربلى الشافعى ، المنعوت بالكمال .

توفى فيها بدمشق ، وكان أحد الفقهاء المشهورين بالشام ، وقد اشتغل عليه الشيخ محيي الدين النَّوَوى ، وقد اختصر البحر للرُّويانى فى مجلدات عديدة .

الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد[(٤)] بن على بن محمد الموصلى المعروف بابن الطباخ .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، وفيه توفى سنة ٦٦٩ هـ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣٩ رقم ٢٤٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣٦ السلوك جـ ١ ص ٦٠٤ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ أ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٣ ، السلوك جـ ١ ص ٦٠٤ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ ب .

توفى فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة بسارية من قرافة مصر الصغرى، ودفن بها من يومه، حدث عن الشيخ مرهف بشىء من نظمه، وكان أحد المشايخ المعروفين بالصلاح والخير، وله زاوية بسارية، وكان يُقصد للزيارة والتبرك به.

الشيخ الصالح العارف أبو العباس أحمد(١) بن سَعْد النيسابورى اللهاوُرى الصوفى المنعوت بالصفى.

وكان أحد مشايخ الصوفية المشهورين بالخير والصلاح والعفّة والانقطاع، [٥٧٦] وكانت وفاته بالقاهرة فى الحادى عشر من شهر رمضان، رحمه الله.

وجيه الدين محمد(٢) بن على بن أبى طالب بن سُوَيْد التكريتى التاجر، الصدر الكبير ذو الأموال الكثيرة.

وكان معظما عند الدولة ولا سيما عند الملك الظاهر لأنه كان قد أسْدى إليه جميلا فى أيام إمْرته، مات فى هذه السنة ودفن بتربته بالقرب من الرباط الناصرى، وكانت(٣) كُتُب الخليفة ترد إليه، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك حتى ملوك الفرنج من السواحل، وكان كثير البرّ والصدقات.

---

(١) وله أيضا ترجمة فى: زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ ب.

(٢) وله أيضا ترجمة فى: العبر جـ ٥ ص ٢٩٤، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢.

(٣) «كان» فى الأصل، والتصحيح من البداية والنهاية.

الصاحب نجم الدين يحيى[(١)] بن عبد الواحد بن اللبودى .

واقف اللبودية[(٢)] التى عند حمام فلك المُسيرى على الأطباء ، وكان فاضلا لديه معرفة ، وقد ولى نظر الدواوين فى دمشق ودفن بتربته عند اللبودية .

الشيخ على البكاء[(٣)] صاحب الزاوية بالقرب من مدينة الخليل عليه السلام .

كان مشهورا بالصلاح والعبادة وطعم من يجتاز به من المارّة والزُوّار ، وقد ذكرنا من مكاشفاته حين أتى إليه ركن الدين بيبرس البندقدارى وسيف الدين قلاون الألفى لما هربا من عند صاحب الكرك .

وذكر الشيخ قطب الدين اليُونينى : أن سبب بكائه الكثير أنه صحب رجلا له أحوال ، وأنه خرج معه من بغداد فانتهوا فى ساعة واحدة إلى بلدة بينها و بين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له : إنى سأموت فى الوقت الفلانى ، واشهدنى فى ذلك الوقت فى [المكان[(٤)]] الفلانى . قال الشيخ : على ، فلما كان فى ذلك الوقت حضرت عنده وهو فى السياق ، وقد استدار إلى الشرق ، فحولته إلى القبلة ، فعاد فاستدار إلى الشرق فحولته . فقال لى : لا تتعب فإنى لا أموت إلا على هذه الجهة ، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات ، فحملناه وجئنا به إلى دير هناك ، فوجدناهم فى حزن عظيم ، فقلنا : ما شأنكم ؟ قالوا : كان عندنا شيخ

(١) هو يحيى بن عبد الله بن عبد الواحد اللبودى .
وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٦٢ ، طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٨٥ ، الدارس جـ ٢ ص ١٣٥ .

(٢) المدرسة اللبودية النجمية بدمشق : خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك الدارس جـ ٢ ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : الوافى جـ ٢٢ ص ٣٠٧ رقم ٢٥٠ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢ ، السلوك جـ ١ ص ٦٠٤ .

(٤) [ ] موضع بياض بالأصل ، والتكملة تتفق مع السياق .

كبير ابن مائة سنة ، فلما كان اليوم مات على دين الإسلام ، فقلنا : خذوا هذا بدله وسلموه إلينا ، فولّيناه وصلينا عليه ودفناه .

وتوفى الشيخ على البكاء ، رحمه الله ، المذكور فى رجب من هذه السنة ببلد الخليل [٥٧٧] عليه السلام .

الأمير أبو يوسف يعقوب بن الأمير أبى إسحاق إبراهيم بن موسى بن يعقوب ابن يوسف العادلى الدمشقى الحنفى ، المنعوت بالشرف المعروف بابن المعتمد .

مات فى الثالث عشر من رجب بجبل قاسيون ، ودفن به ، وحدث بدمشق والقاهرة .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السّنة الحادية والسّبعين بعد السّتمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله ، والسلطان الملك الظاهر كان فى دمشق ، كما ذكرنا ، وخرج منها على البريد ليلة السادس من المحرم من هذه السنة ، ووصل إلى قلعة الجبل يوم الثالث عشر من المحرم ، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام ، وأقام بالقلعة خمسة عشر (1) يوما وخرج (2) .

ذكر سفر السّلطان إلى الشّام :

خرج من الديار المصرية يوم التاسع والعشرين (3) من محرم هذه السنة ، فوصل إلى دمشق فى الثالث من صفر ، وطلع قلعتها ليلا .

وفى هذا الشهر : وصل رُسُل أبغا بن هلاون فى أمر الصلح ، وفخّروا كلامهم ، وقالوا : أولا إن السلطان يسيّر سنقر الأشقر يمشى فى الصلح ، ثم قالوا : إن السلطان يمشى فى الصلح أو من يكون بعده فى المنزلة ، فاغتاظ السلطان

(*) يوافق أولها الجمعة ٢٩ يولية ١٢٧٢ م .

(1) « أحد عشر يوما » فى الجوهر الثمين ص ٢٧٩ .

(2) « فى خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التى فتحها وقد مهدها ، وركب فى أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها ستة ثم عاد فدخل دمشق فى رابع صفر » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٣ ، وهو اضطراب واضح فى النص .

(3) « تاسع عشره » فى السلوك جـ ١ ص ٦٠٥ .

من هـذا الخطاب ، وقال أيضا : إذا كان يقصد الصلح يمشي هو بنفسه ، أو واحد من إخوته ، وأعاد الرسل إلى مرسلهم في ربيع الأول منها[(١)] .

ذكر عبور السلطان الفرات :

وكان السبب في ذلك حضور دُرَيْبه ومن معه من التتار إلى البيرة ، فنزلوا عليها [ونازلوها][(٢)] ونصبوا عليها المجانيق وآلات الحصار ، وجرد دُرَيْبه[(٣)] طائفة منهم صحبة مقدم يسمى جيغرا[(٤)] إلى الفرات لحفظ المخائض[(٥)] ، فنزلوا على مخاضة تعرف بمخاضة القاضي ، وأقاموا لهم سياجا من السيب[(٦)] ، وحاجزا من الخشب ، ونزلوا وراء ذلك السياج ، فسار السلطان بالعساكر الإسلامية المصرية والشامية حتى انتهى إلى [تلك[(٧)]]المخاضة ، وأشرف على التتار من أعلى الجبل ، وهم عليها نازلون ، [وبها محيطون[(٨)]] فاستشار [٥٧٨] الأمراء الأكابر[(٩)] [ومن جرت عادته بالإشارة في المشاور[(١٠)]] ، فتقدم إليه الأمير سيف الدين قلاون[(١١)] وقال : [هؤلاء أهون علينا من أن

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٧ ب ، ٧٨ أ ، الروض الزاهر ص ٤٠٤ .
(٢) [ ] إضافة من زبدة الكرة .
(٣) « دريبة » ساقط من زبدة الفكرة ، وورد « دربای » في الروض الزاهر ص ٤٠٨ .
(٤) « جنقر » في الروض الزاهر ص ٤٠٥ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ١٦٩ .
(٥) هكذا بالأصل بدلا من « مخاوض » — انظر القاموس المحيط .
(٦) « وكان العدو قد عملوا سيبا على البر من جانبهم ليعوق من يطلع إليهم .
(٧) ، (٨) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .
(٩) « الكبار » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .
(١٠) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .
(١١) « سيف الدين قلاون » ساقط من زبدة الفكرة ، ويوجد بدلا من الاسم لفظ « المخدوم » لأن الكلام على لسان بيبرس الدوادار .

نستشير فى أمرهم أو نتوقف دونهم و] [(١)] أنا أعبر إليهم [(٢)] وأهجم عليهم وإنما أحتاج دليلا يعرفنى المخاضة ، فتقدم الدليل قدامه وتوجه بمن معه من مماليكه وأصحابه ، فاقتحم الفراتَ وعبر على سفائن كواهل الصافيات ، فثار التتار إليه وحملوا عليه ، فثبت لهم ، وصدمهم صدمةً فرقتهم قوتها ، ومزَّقتهم شدتها ، وقتل مقدمهم جَيْقَرا ، قتله زين الدين كتبغا مملوك الأمير سيف الدين قلاون [(٣)] وقتل منهم جماعة [(٤)] ، فعند ذلك عبر السلطان ، وعبرت العساكر ، فلما تكاملت الجيوش شرقى الفرات ولَّى دُرَنْبَة هزيمة ، ورحل عن البيرة ذميما ، وترك آلاته التى أعدَّها للحصار ، فنزل أهل البيرة فأخذوها واقتسموها ، وسار السلطان إليها ، فخلع على المغيثى النائب بها وعلى مقدميها ، وفرَّق فى أهلها أموالا كثيرةً ، ثم عاد إلى دمشق فى ثالث جمادى الآخرة ومعه الأَسْرَى .

وأما دُرَنْبَة فإنه لما حضر عند أبغا بن هلاون منهزما ، وقد فقد رفيقه ، وقتل أكثر من معه ، عنَّفه أَبْغَا وعدَّد له ذُنُوبَه وقال له : كيف انهزمت ؟ وما جُرحت ؟ وقُتل رفيقك وما قُتلت ؟ وأمر بالحوطة عليه وإبعاده ، وإعطاء تقدمته لأَبطاى ، فقال أبطاى : أنا أسُدُّ الخلل وأقوم بما قصَّر فيه من العمل.

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « أغير عليهم » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « سيف الدين قلاون » ساقط من زبدة الفكرة ، ويوجد بدلا من الاسم لفظ « المخدوم » لأن الكلام على لسان بيبرس الدوادار .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٨ ب .

ذكر توجّه السُلطان إلى الديار المصريّة :

ولما فرغ بال السلطان من جهة هؤلاء التتار عاد إلى دمشق ، ثم سار إلى الديار المصريّة ، فطلع قلعته فى الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى من الاعتقال ، وجلس لشرب القمز (١) بحضرة أمرائه وأعيانه ، فتذاكروا وقعة الفرات ، وأَثْنَوْا على الأمير سيف الدين قلاون فى إقدامه يومئذ ، فأنعم السلطان عليه بثلاثة آلاف دينار عينا ، وفرس بسرج ذهب ، وتشريف كامل ، وجوشن ، وخوذة ، وسيف محلى بالذهب ، فكان مقدار ذلك ألفى دينار عينا ، فتكملت منه من الحباء فى ذلك اليوم خمسة آلاف دينار ، ولما شربوا [٥٧٩] القمز ناول الهناب (٢) إلى الأمير عز الدين الدمياطى ، وكان قد شابت لحيتُه ، فقال يا خوند : شبنا وشاب نبيذنا ، وغنت الأُنسَاءُ والشعَراءُ بهذه الأبيات (٣) :

زعمت بنو قاقان أن خيولنا — تخشى العبور إليهُم فى الماءِ
فأتوا (٤) إلى شطّ الفرات وطلّبوا — متهيئين لغارة شَعْواءِ
وترجلت من بينهمُ أقْشِيَةٌ — مُغُلٌ وكُرْجٌ فيهُم وخطاءُ
قَصَدُوا بهذا مَنْعَنا عن بِرِّهِمْ — غَلِطُوا وخُيِّبَ مقصدُ الأعداءِ

---

(١) القمز : لفظ تترى الأصل ، يطلق على نبيذ يعمل من لبن الخيل — زيادة : السلوك جـ ١ ص ٦٠٧ هامش (٢) .

(٢) الهناب : قدح الشراب — زيادة : السلوك جـ ١ ص ٦٠٧ هامش (٣) .

(٣) هذا الخبر منقول بتصرف من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٩ أ ، ب .

(٤) « وأتو » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

فأتاهمُ جَيْشُ النبىّ يؤمُّهم ... ملكُ الزمانِ الظاهرُ الآلاءِ
بعصائبٍ سُودٍ عليها رَنكُهُ ... أُسْدٌ يصيدُ فوارسَ الهيجاءِ
عام الفرات إليهم بصواهلٍ ... ومناصلٍ وعواسلٍ سَمْراءِ
فانفلَّ جيشُهُم وولّى هاربًا ... قد حاطهم وَيْلٌ وفرطُ بلاءِ
وغَدَتْ سيوفُ المسلمين خضيبة ... عند اللقاءِ مِنْ هامهم بدماءِ
لله يوم بالفُراتِ رأيتُه ... قد مرّ فى ظفرٍ ونَصْرِ لِواءِ
ثم الصلاةُ على النبىّ محمّدٍ ... ما مالتِ الأغصانُ بالورقاءِ(١)

وفى يوم الثلاثاء ثالث رجب منها : خلع على جميع الأمراء ، ومقدمى الحلقة ، وأرباب الدولة ، وأعطى كل إنسان ما يليق به من الخيل والذهب والحوائص والثياب ، فكان مبلغ ما صرف فى ذلك نحوا من ثلاثمائة ألف دينار .

وفى شعبان : أرسل السلطان إلى منكوتمر بهدايا عظيمة وتحف كثيرة .

وفى يوم الإثنين ثانى عشر شوال : استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردى إلى بين يديه فى القلعة وحوقق على أشياء كثيرة ورموه بمنكرات كثيرة ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله فكان آخر العهد به(٢) .

وفى تاريخ النويرى : وكان هذا الشيخ قد بلغ عند الملك الظاهر أرفع منزلة ، وانبسطت يده ، ونفذ أمره بمصر والشام ، وسببه أنه اجتمع بالملك الظاهر قبل أن يملك مصر وأخبره أنه يملك الديار المصريّة ، وأخبره بأشياء اتفقت له ،

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٧٩ ب .

(٢) كنز الدرر جـ ٨ ص ١٧١ .

فلما ملك السلطان [٥٨٠] حظى عنده ، وانقبض منه الصاحب بهاء الدين بن حنّا والنائب والخزندار ، فعملوا عليه وأحضروا عند السلطان من شهد عليه بالزنا واللواط وشُرْب الخمر ، وكان السلطان قد قدمت له هدية من صاحب اليمن من جُملتها كُرٌّ نفيسٌ ، فأعطاه السلطان للشيخ خضر ، فدفعه لامرأة وزنى بها ، وأحضروها ، فأحضروا الكرّ بين يدى السلطان ، وأقرت عليه بالزنا ، فاعتقله مكرما حتى مات .

وقيل : إن الصاحب بهاء الدين اتفق مع الملك السعيد فى غيبة السلطان إلى الشام وأرسل إلى الشيخ من خنقه (١) .

بقيّة الحوادث :

منها : أن فى المحرم وصل صاحب النوبة إلى عيذاب (٢) ، فنهب التجار ، وقتل خلقا كثيرا من أهلها ، منهم : الوالى والقاضى ، فسار الأمير علاء الدين [أيدغدى] (٣) الخزندار إلى بلادهم ، فقتل خلقا ، ونهب وحرّق ، ودوخ البلاد ، وأخذ الثأر .

ومنها : أن ديوان السلطان تسلم ما كان تأخر تسلمه من حصون الدعوة ، وهى : الكهف والمينقة والقَدْمُوس ، وقد كان أهل هذه الحصون يُسَوِّفون

(١) ملخصا من نهاية الأرب مخطوط جـ ٢٨ ورقة ٢٠٤ — ٢٠٦ .

(٢) عيذاب : بفتح العين المهملة ، ثم السكون ، وذال معجمة ، وباء موحدة آخر الحروف ، بليدة على البحر الأحمر يخرج منها الركب المصرى المتوجه إلى الحجاز من طريق قوص — معجم البلدان تقويم البلدان .

(٣) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٣ .

ويُدَافِعُون ، ثم أذعنوا وسلموها ، فتسلمها النوابُ : المينقة فى ثالث ذى القعدة ، والقدمُوس فى ثامنه ، والكهف فى الثانى والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وتكملت قلاع الدعوة فى المملكة السلطانية ، واستؤصلت شأفة الاسماعيلية (١) .

ومنها : أنه تظاهر بَلَبُوش أمير عُربان بَرْقة بالنفاق والعصيان ، فسيَّر إليه العربان فأخذوه أسيرا وجاءوا به إلى السلطان ، فمنَّ عليه وأطلقه ، ووجَّهه إلى بلاده ، فلم يلبث إلا قليلا حتى مات (٢) .

وفيها : « ... ... » (٣) .

وفيها : حج بالناس « ... ... » (٤) .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ أ ، الروض الزاهر ص ٤١٣ — ٤١٤ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ أ ، الروض الزاهر ص ٤١٤ — ٤١٥ .

(٣) ، (٤) « ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الشيخ تاج الدين أبو الفضل يحيى[(١)] بن محمد بن أحمد بن حمزة بن على بن هبة الله بن الحسن بن علىّ الثعلبى الدمشقى المحتسب ، المعروف بابن الحُبُوبى المنعوت بالتاج .

مات فى الرابع والعشرين من شهر ربيع [٥٨١] الآخر بدمشق ، ومولده فى سنة عشر وستمائة ، وهو من بيت الحديث ، وتولى الحسبة بدمشق مدة .

قال ابن كثير : وكان من أعيان أهل دمشق ، ولى نظر الأيتام ، ثم الحسبة ، ثم وكالة بيت المال ، وسمع الكثير ، وخرّج له ابن بلبان مشيخته ، قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفزارى بجامع دمشق ، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء[(٢)] .

والثعلبىّ : بالثاء المثلثة ، والعين المهملة ، والحبوبى : بضم الحاء المهملة ، والباء الموحدة ، وبعد الواو باءٌ أخرى .

الخطيب فخر الدين أبو محمد عبد القاهر[(٣)] بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم ابن محمد بن تيميّة الحرّانى ، الخطيب بها كان .

وبيته معروف بالعلم والخطابة والرئاسة ، مات فى الحادى عشر من شوال منها بدمشق ، ودفن من الغد بمقابر الصوفية ، ومولده سنة إثنتى عشرة وستمائة .

(١) « الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٤ .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٤ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٤ .

العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن محمد بن منعة[(١)] ابن مالك بن محمد ، أبو القاسم الموصلى .

من بيت الفقه والرئاسة ، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع ، وحدث ، وصنف ، واختصر الوجيز [من كتابه التعجيز][(٢)] والمحصول ، وله طريقة فى الخلاف ، أحدهما من طريق ركن الدين الطاووس ، وكان جده عماد الدين ابن يونس شيخ المذهب فى وقته ، رحمه الله .

الشيخ أبو الفتح عبد الله[(٣)] بن أبى الفضل جعفر بن أبى محمد عبد الجليل بن على بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز اللخمى القمودى الأصل الإسكندرانى المولد والدار ، المالكى .

مات فى عشية الثالث من المحرم من هذه السنة بالإسكندرية ، ودفن بالديماس ، سمع ، وحدث ، ودرس ، وكان شيخا فاضلا . والقمودى نسبة إلى قموده من بلاد إفريقية مسافة يومين من القيروان .

الشيخ المحدث أبو المظفر يوسف[(٤)] بن الحسن بن بكار النابلسى الشافعى ، المنعوت بالشرف .

كان مشهورا بالصلاح والإفادة ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية[(٥)] بدمشق إلى أن توفى فيها فى هذه السنة .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٥ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ أ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ أ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٣٩ .

(٥) دار الحديث النورية بدمشق : بناها نور الدين محمود الملك العادل ، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م — الدارس جـ ١ ص ٩٩ وما بعدها .

الشيخ المسند أبو الفتح عبد الهادي[1] بن عبد [٥٨٢] الكريم بن علي ابن عيسى بن تميم القيسي المصري المقرئ الشافعي الخطيب بمصر .

مات في الليلة الرابع والعشرين من شعبان بمصر ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، ومولده سنة سبع وتسعين وخمسمائة بمصر ، سمع كثيرا ، وحدث ، وانفرد بالرواية من غير واحد من شيوخه ، وخطب بجامع المقياس مدة ، رحمه الله .

الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد بن الشيخ الخطيب أبي حفص عمر بن يوسف ابن يحيي بن عمر بن كامل بن يوسف بن يحيي بن قابس بن حابس بن مالك بن عمرو بن معدي كرب ، الزبيدي ، المقدسي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الشافعي الخطيب ، المنعوت بالموفق ، المعروف بابن خطيب بيت الأبار .

مات في السابع عشر من صفر من هذه السنة ببيت الأبار ودفن بها : سمع الكندي وجماعة آخرين ، وحدث ، وهو من بيت الحديث .

الشيخ خضر الكُردي[2] شيخ الملك الظاهر .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨ م ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٠ .

(٢) هو خضر بن أبي بكر محمد بن موسى .

وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، وفيه توفي سنة ٦٧٦ هـ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ٤٠٤ رقم ١٤٧ ، السلوك جـ ١ ص ٦٠٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٠ .

وقد ذكر ابن كثير وفاته مرتين سنة ٦٧١ هـ ، وسنة ٦٧٦ هـ — انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٥ ، ص ٢٧٨ ، وانظر أيضا النجوم الزاهرة وشذرات الذهب إذ ورد فيهما أن صاحب الترجمة حبس بالقلعة سنة ٦٧١ هـ حتى مات في المحرم سنة ٦٧٦ هـ

وأورد بيبرس الدوادار ذكر وفاته سنة ٦٧٥ هـ — زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب .

وأورد ابن أيبك ترجمة كاملة في الشيخ خضر هذا — انظر كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٢٠ — ٢٢٤ .

ذكرنا عن قريب أنه اعتقله السلطان الملك الظاهر ، ومات فى السجن فى هذه السنة ، وقيل السلطان أمر بإعدامه ، وقيل ابن الحنّا كما ذكرنا ، وكان حظيًّا عند السلطان جدًّا حتى كان ينزل بنفسه إلى زاويته التى بناها له بالحسينيّة فى كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبنى له عندها جامعا يخطب فيه للجمعة ، وكان يعطيه كثيرا ، ويطلق له ، ووقف على زاويته شيئا كثيرا جدا ، وكان معظما عند الخاصّ والعام، وكان فيه خير وصلاح ، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسة قمامة ، فذبح قسّيسها بيده ، وأنهب ما فيها لأصحابه ، وحولها مدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال ، وسماها المدرسة الخضراء ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق دخلها ونهب ما فيها ، ومدّ بها سماطا ، وعمل فيها سماعا ، واتخذها مسجدا مدةً ، ثم سعوا فى عودها إليهم واستمرارها عليهم ، ثم اتفق له ما ذكرناه حتى سجنه السلطان ، ومات فى هذه السنة .

الملك المغيث فتح الدين أبو الفتح عمر[1] بن الملك الفائز [٥٨٣] أبى إسحاق إبراهيم بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب الملقب بالمغيث .

مات فى السابع والعشرين من ذى الحجة مسجونا بخزانة البنود[2] بالقاهرة ، وأخرج منها فى يومه ، ودفن بتربتهم المجاورة لضريح الإمام الشافعى ، رحمه الله ،

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ أ / ب ، المنهل الصافى .

(٢) خزانة البنود : من منشآت الدولة الفاطمية لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام ، ثم احترقت سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ، وجعلت بعد ذلك حبسا للأمراء والوزراء والأعيان ، ثم اتخذها بنو أيوب سجنا ، ثم جعلوها منزلا للأسرى من الفرنج — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٥٤ ، المواعظ والإعتبار جـ ١ ص ٤٢٣ .

ومولده فى صفر سنة ست وستمائة بالقاهرة ، حدث بالإجازة عن أبى الروح عبد العزيز بن محمد الهروى .

الأمير سيف الدين أحمد[1] بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس صاحب صهيون .

توفى فى هذه السنة ، وكان قد أوصى أولاده بأن يسلموا الحصن إلى السلطان الظاهر ، ويلجأوا إليه ، ففعلوا كذلك ، وسلموا الحصن إلى نُوّابه ، ووفدوا إلى أبوابه ، وهما : سابق الدين ، وفخر الدين ، فأكرم مثواهما ، وأحسن إليهما ، وأمّر الأمير سابق الدين بطبلخاناه ، وأعطى أخاه إقطاعا فى حلقة دمشق واستمرا بها إلى أن ماتا ، رحمهما الله تعالى .

الأمير بَلَبُوش أمير عربان بَرْقَة ، مات فى هذه السنة ، وقد ذكرنا أمره من قريب .

(١) « محمد » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٢ ، والعبر جـ ٥ ص ٢٩٦ .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة الثانية والسبعين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله .

والسلطان الملك الظاهر في الديار المصرية ، ولكنه خرج إلى ناحية الشام .

ذكر سفر السلطان إلى الشام :

وفي ليلة السادس والعشرين من محرم هذه السنة ، خرج السلطان من القاهرة ، وتوجه إلى الشام ، وصحبته جماعة من أمرائه بسبب تواتر الأخبار بحركة أبغا ملك التتار ، ثم تواترت عليه الأخبار في أثناء الطريق بقوة حركته ، فكتب باستدعاء العساكر من الديار المصرية صحبة الأمير بدر الدين الخزندار ، ورسم بأن جميع مَنْ في مملكته ممن له فرس يركب للغزاة ، وأن يخرج أهلُ كل قرية بالشام من بينهم خيَّالةً على قدر أهل القرية ، ويقومون بكلفتهم ، ووصل دمشق في شهر صفر ، ثم عاد إلى يافا عند وصول العساكر من الديار المصريّة ، فأنزلهم بها ، ورتّب أحوالهم ، وعاد إلى دمشق (١) .

وفيها [٥٨٤] وصل إليه وهو بدمشق الأمير شمس الدين بهادر ابن الملك فرج ، وكان والده أمير الطشت عند السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، ولَهُ

(*) يوافق أولها الثلاثاء ١٨ يولية ١٢٧٣ م .

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٠ب ، ٨١أ .

شُمَيْصَات ، وبعد وفاة جلال الدين ملك قلعة كَرَّان(١) وقلاعا أُخر بناحية نَقْجُوان(٢) ، ثم وصل إلى الروم ، فأقطع له أقصرا ، وكان بهادر المذكور قد كاتب السلطان فاطلع التتار على أمره ، فأمسكوه وحملوه إلى الأُرْدُو ، فهرب وحضر إلى البيرة ، ووصل إلى الأبواب السلطانية ، فشمله الإنعام ، وأُعطى إقطاعا بعشرين فارسا بالديار المصرية(٣) .

وفيها : اتصل بالسلطان أن ملك الكرج حضر مختفيا لزيارة القدس الشريف ، فأرصد له من يعرف حليته ، فأُمسك من بين الزُّوَّار هو وثلاثة نفر من أعيان أصحابه ، وسُيِّروا إلى السلطان وهو بدمشق ، فسجنه بالقلعة المنصورة ورحل السلطان إلى القاهرة(٤) .

وكان الأمير عمرو بن مخلول أحد أمراء العرب قد حبسه السلطان في عجلون لجرم عمله ، فهرب منها وتوجه إلى التتار ، ثم طلب الأمان ، فقال السلطان : ما نؤمنه إلى أن يحضر إلى عجلون ويقعد في المكان الذى كان مسجونا ، فحضر وتطوق بالطوق الحديد كما كان ، فعفا السلطان عنه(٥) .

---

(١) « كيران » في الروض الزاهر ص ٤٢١ ، السلوك جـ ١ ص ٦١١ . وهى مدينة بأذربيجان — معجم البلدان .

(٢) نقجوان : بلدة من نواحى أران ، وتسمى أيضا نخجوان — معجم البلدان .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ أ ، الروض الزاهر ص ٤٢١ — ٤٢٣ .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ أ ، الروض الزاهر ص ٤٢٣ .

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ أ ، الروض الزاهر ص ٤٢٢ .

ذكر رحيل السلطان من دمشق إلى القاهرة :

ثم أن السلطان خرج من دمشق فى أواخر جمادى الأخرى ، ووصل إلى القاهرة ، فدخلها فى سابع شهر رجب وكان يوم دخوله يوما مشهودا .

ثم بعد ما دخل طهّر ولده نجم الدين خِضر فى شهر شعبان (1) ، فلعب العسكر القبق ، فكان كما قيل :

ذاك يومٌ لها مَن اللهو فيه ويُغنى عن مُطربات الأغانى
بصليلٍ لمُرْهَفٍ ، وصَهيلٍ لجَوادٍ ، ورنّةٍ لادانِ
كُل أفعاله إلى الجِدّ تُعزَى يوم سلْم ، أو لا ، فيوم رهان
لا تراه فى السلم والحرب إلا بين رمح وصارم وسنان (2)

وعمل القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر أبياتا منها :

[٥٨٥]

يا ملكَ الدُنيا (3) ومَنْ بعزمه الدِّين نُصر
هُنيت بالعيد وما على الهناء اقتصرْ
لكنَّها (4) بِشارة لها الوُجود مُفتقر
بفرحةٍ قد جُمِعتْ ما بين موسى والخضر (5)

(1) « فى شهر رمضان » فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ أ ، والروض الزاهر ص ٤٢٤ ، « وفى يوم عيد الفطر ختن الأمير نجم الدين خضر » ـ السلوك جـ ١ ص ٦١٢ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٥ .

(٢) انظر أبيات أخرى من هذه القصيدة فى تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧ .

(٣) « يا مالك الدنيا » فى الروض الزاهر ص ٤٢٥ ، وتاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧ .

(٤) « بل إنها » فى الروض الزاهر ص ٤٢٥ ، وتاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٨ .

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ ب ، الروض الزاهر ص ٤٢٥ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧ ـ ٨ .

ذكر سفر الملك السعيد بن الظاهر إلى الشام :

وفى الثانى عشر من شهر رمضان من هذه السنة وجّه السلطان ولده الملك السعيد إلى الشام صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر استادار ، فوصل دمشق بغتة ولم يدر نائب السلطان بها إلا وهو بينهم فى سوق الخيل ، ثم سار منها إلى صفد والشقيف وعاد إلى مصر فوصل فى الحادى والعشرين (1) من شوال .

ذكر الوقعة التى كانت بين أبغا بن هلاون وبين ابن عمه تكدار ابن موجى بن جغطاى بن جنكزخان :

وذلك أن تكدار كان مقدما على ثلاثين ألفا ، مقيما ببلاد كرجستان فكاتب براق .

وقال بيبرس : فكاتب قيدو ، وقصد الاتفاق معه على أبغا ، فوقعت كتبه فى يد أبغا ، فأرسل يستدعى عساكره المتفرقة [وعزم على قصده (2)] ، فأحضر صمغار من بلاد الروم ، وصحبته معين الدين سليمان البرواناه ، وسيف الدين طرنطاى ، والدسنان الدين الرومى ، وغيرهم ، وعرّفهم ما بدا من تكدار ، وتجهز لقصده ، فانهزم من قدامه ، والتجأ هو وعسكره إلى بلاد الكرج ، فمنعه صاحبها الملك سركيس من دخولها ، فأوى إلى جبل من جبالها هو ومن معه ، فأكلت خيولهم من عشب ذلك الجبل وفيه كيفية سمية مضرة بالخيل ، فنفقت وتماوتت ، فطلبوا

(١) « عشر » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨١ ب ، والروض الزاهر ص ٤٢٧ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٢ ، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) إضافة من زبدة الفكرة .

من أبغا الأمان ، فآمنهم واستنزلهم ، وأسر تكدار ، وفرق عسكره على مقدمى عساكره ، ورسم لتكدار أنه لا يركب خيلا قارحة ، ولا جذعًا ، « منهم ، ولا يركب » إلا مُهْرًا صغيرا فقط ، وأنه لا يمس بيده قوسا ، فبقى كذلك مدة لا يجسر يخالف أمره حتى أن ولدا له صغيرا أحضر إليه قوسه يومًا من الأيام ليُوتره له ، فقال يا بنى : ما أقدر أمسكُ قوسَك [٥٨٦] هذا ولا أُوتِرُه لأجل مرسوم أبغا ، فإنه رسم لى بأن لا أمسّ قوسًا بيدى ، فلست أُمسكه ، ولو أنه قوسُ ولدى ، لأنى لا أقوى على خلافه ، خوفا من إتلافه ، ولم يقتعد فرسا قارحا ، ولا جذعا ، إلى أن حمَّ حمامُه ، وتصرَّمت أيّامه ، ولقد أبان ابن أخيه عن حلم وافر ، ورفق ظاهر ، إذ لم يقابله على سُوءِ فعله بما يؤذيه فى نفسه (٢) .

(١) « » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٢ أ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٤ .

ذكر مُلك يعقوب المرينى سَبْتَه وذكر ابتداء ملكهم :

وفى هذه السنة ملك يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المرينى مدينة سَبْتَه ، وبنو مَرين ملكوا بلاد المغرب بعد بنى عبد المؤمن ، وكان آخر من ملك من بنى عبد المؤمن أبا دبوس ، وقد ذكرنا أخبارَه[(١)] مع ما فيه من الإختلاف من سنة أربع وعشرين وستمائة ، وأن المذكور قتل فى سنة ثمان وستين وستمائة ، وانقرضت حينئذ دولة عبد المؤمن ، وملك بعدهم بنى مَرين ، وهذه القبيلة أعنى بنى مَرين يقال لها حمامة من بين قبائل العرب بالمغرب ، وكان مقامهم بالريف القبلى من إقليم تازَة .

وذكر فى كتاب نهاية الأرب : أن بنى مَرين بطن من زنانة من البربر ، وأول أمرهم أنهم خرجوا عن طاعة بنى عبد المؤمن المعروفين بالموحدين لما اختل أمرهم ، وتابعوا الغارات عليهم حتى ملكوا مدينة فاس ، واقتلعوها من الموحدين فى سنة بضع وثلاثين وستمائة ، واستمرت فاس وغيرها فى يديهم فى أيام الموحدين ، وأول من اشتهر من بنى مَرين أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المرينى[(٢)] ، وبعد مُلكه فاس سار إلى جهة مراكش وضايق بنى عبد المؤمن ، وبقى كذلك حتى توفى أبو بكر المذكور فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وملك بعده أخوه يعقوب بن عبد الحق بن محيو ، وتولى أمره وحاصر أبا دبوس

---

(١) هذا النص منقول من المختصر جـ ٤ ص ٧ — ٨ .

(٢) « بنى عبد الحق » فى الأصل ، والتصحيح من المختصر — الذى ينقل عنه العينى — جـ ٤ ص ٨ :

فى مراكش وملكها يعقوب المرينى المذكور ، وأزال ملك بنى عبد المؤمن [من][1] حينئذ ، واستقرت قدم يعقوب المرينى المذكور فى الملك حتى ملك سنة فى هذه السنة ، ثم توفى .

قال المؤيد : ولم يقع لى[2] تاريخ وفاته[3] ، وملك بعده ولده يوسف [٥٨٧] ابن يعقوب بن عبد الحق [بن محيو][4] ، وكنية يوسف المذكور أبو يعقوب ، واستمر يوسف المذكور فى الملك حتى قتل فى سنة ست وسبعمائة ، على ما سنذكره إن شاء الله تعالى[5] .

ذكر بقية الحوادث :

منها : أنه أغار عسكر حلب على كينوك[6] ، فقتلوا الرجال الذين بها ، وسبوا الحريم ، وأتم العسكر غازية إلى أطراف طرسوس .

وهذه كينوك هى الحدث الحمراء ، وقد ذكرها المتنبى فى قصيدته التى أولها : على قدر أهل العزم تأتى العزائم :

هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أى الساقيين الغمائم

سقتها الغمام قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم

(١) [ ] إضافة من المختصر .
(٢) « لنا » فى الأصل ، والتصحيح من المختصر .
(٣) ورد فى الأنيس المطرب ، والمنهل الصافى أنه توفى سنة ٦٨٥ هـ .
(٤) [ ] إضافة من المختصر .
(٥) المختصر جـ ٤ ص ٧ - ٨ .
(٦) « كينوك » فى تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١ .

قلت : كُكِنُوك بضم الكاف ، وسكون الياء آخر الحروف ، وضم النون ، وسكون الواو ، وفى آخره كاف . وهو قريب من مرعش .

ومنها : أن ملك التتار فوّض إلى علاء الدين صاحب الديوان ببغداد النظر فى أمر تستر وأعمالها ، فسار إليها ليتصفّح أحوالها ، فوجد بها شأبا كان من أبناء التجار يقال له : كَى[1] ، قد قرأ القرآن ، وشيئا من الفقه ، والإشارات لابن سيناء ، ونظر فى النجوم ، ثم ادعى أنه عيسى بن مريم ، وقد صدقه فى ذلك جماعة من جهلة أهل تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر ، وعشاء الآخرة ، فاستحضره فسأله عن هذا فرآه ذكيا إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر بقتله ، فقتل بين يديه ، جزاه الله خيرا وأمر العوام فنهبوا أتباعه[2] .

ومنها : أن فى سلخ شوال وردت كتُب النصحاء أن الفرنج أقاموا انبرورا فى بلد الألمانية اسمه المَركيس رُودَلَف[3] .

ومنها : أن فى هذه السنة وُلِدَ الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل[4] بن على بن محمود بن عمر بن محمد بن شاهنشاه بن أيوب بدار ابن الزنجيل بدمشق المحروسة .

---

(1) « لى » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ .

(2) انظر أيضا البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ .

(3) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٢ ب .

« المركيس رودلف دفر يتركر » فى الروض الزاهر ص ٤٢٨ .

والمقصود رودلف أوف هبسبرج الذى توج ملكا فى ٢٤ أكتوبر ١٢٧٣ .

(4) ولد فى جمادى الأولى سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣ م ، وتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م — المنهل الصافى جـ ٢ ص ٣٩٩ رقم ٤٣٧ ، تذكرة النبيه جـ ٢ ص ٢٢١ ، الوافى جـ ٩ ص ١٧٣ رقم ٤٠٨٥ ، فوات الوفيات جـ ١ ص ١٨٣ رقم ٧١ ، البدر الطالع جـ ١ ص ١٥١ رقم ٩٤ . وانظر المختصر جـ ٤ ص ٨ .

قال المؤيد فى تاريخه : فإن أهلنا كانوا قد جفلوا من حماة إلى دمشق بسبب أخبار التتار[1] .

ومنها : أنه كان وباءٌ بالديار المصرية فهلك فيه خلق كثير ، [٥٨٨] أكثرهم النسوان ، والأطفال .

وفيها : « ... ... »[2] .

وفيها : حج بالناس « ... ... »[3] .

(١) « التتر » فى المختصر ج ٤ ص ٨ .

(٢) ، (٣) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الصدر الرئيس مؤيد الدين أبو المعالى أسعد[(١)] بن عز الدين أبى غالب المظفرى الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمى ابن القلانسى .

جاوز السبعين ، وكان رئيسًا كبيرا ، واسع النعمة ، لا يباشر[(٢)] شيئا من الوظائف ، وقد ألزموه بعد ابن سويد بمباشرة مصالح السلطان ، فباشرها بلا جامكية[(٣)] ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسفح قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم ، وهو والد الصدر عز الدين حمزة[(٤)] رئيس البلدين دمشق والقاهرة ، وجدُّهم مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير ، كان وزير الملك الأفضل نور الدين على[(٥)] بن

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٧ ، السلوك جـ ١ ص ٦٠٣ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤١ — ٢٤٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٩ .

(٢) « لا يفعل يباشر » فى الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق ،
و « لا يفعل أن يباشر » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ .

(٣) جامكية — جوامك ، الرواتب عامة ، فذكر القلقشندى « أن نفقة مماليك السلطان كانت عبارة عن جامكيات وعليق وكسوة وغير ذلك » — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٥٧ .

(٤) هو حمزة بن أسعد بن مظفر ، الصاحب عز الدين بن القلانسى التميمى الدمشقى ، المتوفى سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م — المنهل الصافى ، الدرر جـ ٢ ص ١٦٢ رقم ١٦٢٧ ، وفيه أنه توفى سنة ٧٢٩ هـ .

(٥) توفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤١٩ رقم ٤٨٦ .

السلطان الملك الناصر يوسف بن أيوب فاتح القدس ، وكان رئيساً فاضلاً ، له كتاب الوصية فى الأخلاق المرضيّة ، وغير ذلك ، وكانت له يدٌ جيّدةٌ فى النظم ، فمن ذلك قوله :

يارب جُدْ لى إذا ما ضمّنى جَدَثى برحمة منك تُنجينى من النارِ
أحسنْ جوارى إذا ما أصبحت جارك فى لحدى فإنك أوصيتَ بالجارِ

وأما والد حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمى فهو العميد فكان كتب جيّداً (١) ، وصنف تاريخا من بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته خمس وخمسين وخمسمائة .

الشيخ عبد الله (٢) بن غانم بن علىّ بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المقدسى .

له زاوية بنابلس وله أشعار رائقة ، وكلام قوى فى علم التصوف ، مات فى هذه السنة .

قاضى القضاة كمال الدين أبو الفتح عمر (٣) بن بندار بن عمر بن علىّ التفليسى الشافعى .

---

(١) « وكان يكتب جيدا » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩١ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٧ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٣ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٧ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩١ .

كان مولده بتفليس[١] سنة إحدى وستمائة ، وكان فاضلا أصوليا مناظرا ، ولى نيابة الحكم بدمشق مدة ، ثم استقل بالقضاء فى دولة هلاون ، وكان عفيفا نزِهًا ، ولما انقضت أيامهم تعصّبت عليه بعض الناس ، ثم التزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يفيدُ الناس إلى أن توفى بها فى ربيع الأول منها ، [٥٨٩] ودُفن بالقرافة الصغرى .

إسماعيل[٢] بن إبراهيم بن شاكر التنوخى ، وتنوخ من قضاعة .

كان صدرا كبيرا ، سمع كثيرا ، وكتب الإنشاء للناصر داود[٣] بن الملك المعظم ، وتولى نظر المارستان[٤] النورى وغيره ، وكان مشكور السيرة ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وقد جاوز الثمانين سنة .

جمال الدين بن مالك أبو عبد الله محمد[٥] بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى النحوى .

---

(١) تفليس : بفتح أوله ويكسر : بلد بأرمينية الأولى — معجم البلدان .

(٢) « ابن أبى اليسر ، مسند الشام ، تقى الدين » فى العبر جـ ٥ ص ٢٩٩ .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٣٨٢ رقم ٤٢٥ ، الوافى جـ ٩ ص ٧١ رقم ٣٩٩٠ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٧ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٩ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩٠ .

(٣) توفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م — انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٩٥ .

(٤) « المرستان » فى الأصل .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٣ — ٢٤٤ ، الوافى جـ ٣ ص ٣٥٥ رقم ١٤٢٦ ، فوات الوفيات جـ ٣ ص ٤٠٤ رقم ٤٧١ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٥ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٧ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٠ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩١ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٩ .

صاحب التصانيف المفيدة ، من ذلك الكافية الشافية ، وشرحها ، والتسهيل ، وشرح نصفه ، والألفية التى شرحها ولده بدر الدين شرحا مفيدا ؛ ولد بجيان (١) سنة ستمائة ، أو إحدى وستمائة ، وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق ، وكان كثير الاجتماع بالقاضى شمس الدين بن خلكان ، وأثنى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضى بدر الدين بن جماعة ، وكانت وفاته بدمشق ليلة الأربعاء ثانى عشر رمضان ، ودفن بتربة القاضى عز الدين بن الصايغ بقاسيون .

النصير الطوسى (٢) محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله الطوسى .

وكان يقال له المولى نصير ويقال أيضا : خواجا نصير ، اشتغل فى شبيبته ، فحصل علم الأوائل جدا وصنف فى ذلك ، وفى علم الكلام ، منه : كتاب التجريد المشهور ، وله شرح على الإشارات ، ووزر لأصحاب قلاع الموت من الإسماعيلية ، ثم وزر لهلاون ، وكان معه فى واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم أنه أشار على هلاون بقتل الخليفة ، والله أعلم .

وقال ابن كثير : وعندى أن هذا لا يصدر من فاضل ولا عاقل ، وقد ذكره بعض البغاددة ، فأثنوا عليه ، وقالوا : كان عالما فاضلا ، كريم الأخلاق ، توفى ببغداد فى ثامن عشر ذى الحجة منها ، وله خمس وتسعون سنة (٣) ، ودفن فى مشهد

(١) جيان : بلدة بالأندلس ، تبعد نحو ٥٠ ميلا عن قرطبة — معجم البلدان .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الوافى جـ ١ ص ١٩٢ رقم ١١٢ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٤٦ رقم ٤١٤ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٧ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩١ ، المختصر جـ ٤ ص ٨ .

(٣) « ولد فى جمادى الأولى سنة ٥٩٧ هـ » — السلوك جـ ١ ص ٦١٤ ؛ « وله خمس وسبعون سنة » فى البداية والنهاية .

موسى بن جعفر في سرداب كان قد أُعِدَّ للخليفة الناصر لدين الله، وهو الذى كان قد بنى الرصد لمراقبة ورتّب عنه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطبّاء وغيرهم من الأنواع، وبنى له قبة عظيمةً، وجعل فيه كتباً عظيمة جدًا من الكتب التى نهبت من بغداد والجزيرة والشام، حتى [٥٩٠] قيل تجمّع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلّد، وأصل اشتغاله على المعين سالم بن بدر بن على المصرى المعتزلى المتشيّع، فنزع فيه عروق كثيرة (١).

الشيخ الجليل المسند أبو الفرج عبد اللطيف (٢) بن الشيخ أبى محمد عبد المنعم ابن على بن نصر بن منصور بن هبة الله النميرى الحرّانى الحنبلى، التاجر المنعوت بالنجيب، المعروف والده بابن الصيقل.

مات فى مستهل صفر بقلعة الجبل بظاهر القاهرة، ودفن من يومه بسفح المقطم، ومولده بحرّان فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة، سمع الكثير، وحدث بالكثير ببغداد ودمشق والقاهرة ومصر وغيرها، وبقى حتى تفرد بالرواية عن كثير من شيوخه، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة، فحدّث بها مدة إلى حين وفاته.

الشيخ الصالح العارف أبو محمد عبد الله (٣) بن عمر بن يوسف أبى عبد الله الصنهاجى الحميدى القصرى.

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٧ — ٢٦٨.

(٢) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، العبر جـ ٥ ص ٢٩٨، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٩، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩١، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٩.

(٣) وله أيضا ترجمته فى: تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٩.

مات فى ليلة الرابع من شهر ربيع الآخر بظاهر القاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وقد قارب المائة من عمره ، صحب جماعة من المشايخ ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، مذكورا بالصلاح والخير ، مقصودا للزيارة والتبرك به .

القاضى محيي الدين أبو المكارم محمد[1] بن محمد بن الشيخ أبى محمد عبد الرحمن ابن عبد الله بن علوان بن عبد الله بن علوان بن الشيخ بن رافع الأسدى الحلبى .

مات فى الثالث عشر من جمادى الأولى بحلب ، ودفن بتربة جده ، ومولده بحلب فى الخامس من شعبان سنة اثنى عشرة وستمائة ، سمع ، وحدث ، ودرس بالمدرسة المسرورية[2] بالقاهرة ، ثم تولى القضاء بحلب إلى حين وفاته ، و بيته معروف بالعلم والدين والتقدم .

الشيخ الصالح محيي الدين[3] أحمد بن الصاحب بهاء الدين أبى الحسن على بن القاضى السديد أبى عبد الله محمد بن سليم المصرى الشافعى .

مات فى ليلة الثامن من شعبان بمصر ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، سمع من جماعة ، وحدث ، وكان منقطعا عن المناصب الدنياوية ، محبا للتخلى والإنفراد [٥٩١] كثير الصدقة والمعروف ، وبنى رباطا حسنا بمصر ، ودرس بمدرسة والده مدة إلى حين وفاته .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : السلوك جـ ١ ص ٦١٣ .

(٢) المدرسة المسرورية بالقاهرة : كانت فى الأصل دارا لشمس الخواص مسرور ، من اخص السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وظل مسرور هذا مقدما إلى الأيام الكاملية ، ثم انقطع حتى وفاته ، فأصبحت داره مدرسة — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤١ ؛ تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٩ .

الشيخ ضياء الدين أبو العباس[1] أحمد بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصارى المعروف بابن القرطبي .

مات فى النصف من شوال بقنا من صعيد مصر ، ومولده فى سنة إثنتين وستمائة ، سمع وحدّث ، وله النظم الحسن ، والنثر الجيّد .

الشيخ الصالح المُكَرَّم[2] بن المظفر بن أبى محمد العَيْن زَرْبى .

مات فى ليلة الثامن عشر من شوال بالقرافة الصغيرة ودفن بها ، ومولده فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بمصر ، سمع ، وحدّث ، وكان شيخا صالحا .
ومُكَرَّم — بضم الميم وتشديد الراء المفتوحة وآخره ميم — .

الأمير حسام الدين لاجين[3] بن عبد الله الأيدمرى الدوادار المعروف بالدرفيل .

مات فى الرابع عشر من شهر رمضان ببستان الخشاب ظاهر القاهرة ، ودفن من يومه بسفح المقطم ، سمع ، وكان محبا لأهل العلم ، مؤثرا للاجتماع بهم ، ذكيا ، حسن السمت ، رحمه الله .

الأمير يغمراس صاحب تلمسان .

توفى فى هذه السنة ، وأخذ يعقوب بن عبد الحق المرينى مكانه .

الأمير مبارز الدين أقوش المنصورى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢ ، الطالع السعيد ص ١٣١ رقم ٧٠ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٠ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : السلوك جـ ١ ص ٦١٢ .

مملوك الملك المنصور صاحب حماة ونائب سلطنته ، وكان أميرا جليلا ، شجاعا ، عاقلا ، قفجاق الجنس .

الأمير فارس الدين أقطاى (١) الأتابك المستعرب الصالحى النجمى .

من كبار الأمراء ، وهو أول من دعا بعد قتل السلطان الملك المظفر قطز إلى سلطنة الملك الظاهر بيبرس ، فأجابه الأمراء إلى ذلك ، وكان الظاهر يعرف له ذلك ، واستمر عنده عالى المنزلة ، نافذ الكلمة إلى أن مات فى جمادى الأولى من هذه السنة .

وقال بيبرس : فى السنة الآتية (٢) .

الشيخ جلال الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن قاسم بن المسيب بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، ابن أبى قحافة القرشى ، المعروف بمولانا جلال الدين القونوى .

كان رجلا [٥٩٢] عالما بمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه واسع الفقه ، عالما بالخلاف وبأنواع العلوم ، فقصده الشيخ قطب الدين الشيرازى شارح المفتاح وغيره ، وجرى بينهما محاورات ، ثم إن جلال الدين المذكور ترك الاشتغال وانقطع ، وترك أولاده ومدرسته وساح فى البلاد ، واشتغل بالأشعار ، غالبها بالفارسيّة ، وألف كتابا وسماه المثنوى ، وفيه كثير مما يرده الشرع والسنة

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٤٠٥ رقم ٥٠٦ ، الوافى جـ ٩ ص ٣١٨ رقم ٤٢٥١ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٦ ، العبر جـ ٥ ص ٢٩٧ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩٠ — ١٤٩١ .

(٢) يوجد خرم فى النسخة التى بين أيدينا من الجزء التاسع من زبدة الفكرة من وفيات سنة ٦٧٢ هـ إلى كسرة التتار فى ذى القعدة سنة ٦٧٥ هـ ، وذلك فيما بين الورقة ٨٢ ب ، ٨٣ أ .

الظاهرة ، وضلّت بسببه طائفة كثيرة ، ولا سيما أهل الروم ، وقد ينقل عنهم من الإطراء فى حق جلال الدين المذكور ما يُؤدّى إلى تكفيرهم وخروجهم عن الدين المحمدىّ والشرع الأحمدىّ .

ويقال : إنّ سبب عدول الجلال المذكور عن التصدّى بالإشتغال بالعلوم ، وإنّ توجّهه إلى الحال التى تنقل عنه ، أنه كان جالسا يوما فى بيته وحوله الكتب والطلبة ، فدخل عليه الشيخ شمس الدين التبريزى ، فسلّم وجلس فقال : ما هذا ؟ وأشار إلى الكتب والحالة التى هو عليها ، فقال جلال الدين : هذه لا تعرفُها ، فما فرغ الجلال من هذه اللفظة إلا والنار قد عملت فى البيت والكتب ، فقال الجلال للتبريزى : ما هذا ؟ فقال له التبريزى : هذا لا تعرفه ، ثم قام وخرج من عنده : فقام الشيخ جلال الدين وخرج وراءه ولم يجده ، ثم ترك كتبه واشتغاله وأولاده وخرج منقطعا ، ولم يحصل له الاجتماع بالتبريزى المذكور بعد .

ويقال : إن حاشية جلال الدين قصدوه واغتالوه والله أعلم ، مات الجلال فى خامس جمادى الآخرة من هذه السنة ، أعنى سنة اثنتين وسبعين وستمائة بمدينة قونية ، ودُفن بها ، وبُنيت عليه تربة عظيمة ، ولقد زرته فى سنة « ... ... »[1] وثمانمائة .

(١) « ... ... » بياض فى الأصل .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السنة الثالثة والسبعين بعد الستمائة (*)

إستهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

وسلطان البلاد المصرية والشامية : الملك الظاهر ، رحمه الله .

وبقية أصحاب البلاد على حالهم .

وفيها أطلع [٥٩٣] السلطان على ثلاثة عشر أميرًا من المصرية ، منهم بجقار الحموى ، قد كاتبوا التتار ، فأخذهم ، فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريد ، فكان آخر العهد بهم .

ذكر خروج السلطان إلى الكرك :

خرج السلطان الظاهر من الديار المصرية فى الثامن من صفر من هذه السنة ، وتوجه على الهجن إلى الكرك من طريق البدرية ، فبلغه أن الرجال الذين بها قد خامروا ، فمسكهم وقطع أيديهم وأرجلهم ، وأقام بالكرك ثلاثة عشر يوما ، ثم عاد إلى جهة مصر ، ودخلها فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول من هذه السنة .

(*) يوافق أولها السبت ٧ يولية ١٢٧٤ م .

ثم توجه إلى العباسة وولده الملك السعيد صحبته ، ورمى البندق ، وصرع ولده طيرا من الطيور الواجبة (١) .

وفيها تحيل السلطان على استخلاص رؤساء الشوانى واستخراجهم من أسر الفرنج ، وذلك أنه لما انكسرت الشوانى بقبرس على ميناء نمسون كما ذكرنا ، وأن صاحب قبرس أسر رؤساءها وأرسلهم إلى عكا فاعتقلوا بها فى قلعتها ، فبذل السلطان لهم مالاً فى إطلاقهم ، فتوقفوا وتغالوا فيهم ، فتحيل واستمال الموكلين بحفظهم ، ولم يزل يتلطف فى أمرهم حتى سُرقوا من محبسهم وخرجوا فى مركب معدّ لهم ، وكانت لهم خيل معدّة فى البر ، فركبوها ، ولم يُعلم بهم إلا وقد وصلوا إلى الأبواب السلطانية ، وهم ستة نفر ، وكان السلطان كما قيل :

ولكم بلغتُ بحيلـتى ما ليس يبلغ بالسيوف

وفيها : ورد كتابُ ملك الحبشة واسمه عَشر أملاك (٢) يطلب مطران من بطرك الإسكندرية ، فأجابه السلطان إلى ذلك ، ورسم لبطرك اليعاقبة بأن يجهز إليه مطران ، فجهزه وأرسله إلى السلطان صحبة رُسله (٣) .

وفيها : توجه عسكر حلب إلى بلاد سيس ، وأغاروا عليها ، وعلى مَرْعش ، وقلعوا أبوابَ رَبضها ، وتبع هذه الغارة خروج السلطان إليها ، وإناخته عليها .

---

(١) « أرزة خية » — الروض الزاهر ص ٤٢٩ .

والمقصود أحد الطيور المعينة للرماية — انظر بدة كشف الممالك ص ١٢٦ .

(٢) هو المعروف فى المصادر الحبشية باسم « يكونو أملاك » Yekuno Amlak الذى حكم فى الفترة من ١٢٧٠ — ١٢٨٥ م .

(٣) الروض الزاهر ص ٤٣٠ — ٤٣١ .

وانظر نص الخطابات المتبادلة فى تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٢٤ — ٢٥ .

ذكر خروج السُلطان إلى الشام :

برَّز السلطان [٤٩٥] من قلعة الجبل فى الثالث من شعبان من هذه السنة ، ووصل إلى دمشق فى سلخ شعبان ، ودخل دمشق فى يوم ثلج ألبس الأرض أثوابا ، ﴿ وفتحت(١) السماءُ فكانت أبوابا(٢) ﴾ وخرج عسكر الشام مُلْبسين متوجهين لغزو سيس وأعمالها ، وأقام السلطان بدمشق بعدهـم أياما قلائل ، ثم جهَّز الجاليش صحبة الأمير سيف الدين قلاون الألفى والأمير بدر الدين بيليك الخزندار ، فساروا سيْرا عنيفا .

قال بيبرس فى تاريخه : ووصلنا إلى المصِّيصة(٣) على غرة من الأرمن ، فهجمت العساكر عليها عند فتوح أبوابها ، فملكوها وقتلوا مَنْ بها ، وملكوا الجسر ، وكان السلطان قد جهز المراكب وحملهـا صحبته على الجمال ليُعدُّوا فيها نهر جِهان(٤) والنهر الأسود(٥) فلم يحتج إليها ، ووصل إليها السلطان على الأثر ، وجرد الأمير حسام الدين العينتابى ومهنى بن عيسى إلى البيرة ، ودخل السلطان سِيس مطلّباً فى العساكر

---

(١) « وفتحت فيه » فى الأصل ، وهو تحريف .

(٢) سورة النبأ رقم ٧٨ آية رقم ١٩ .

(٣) المصيصة : مدينة على نهر جيحان ، وهى تقارب طرسوس ، وبينها وبين أذنة تسعة أميال — معجم البلدان .

(٤) نهر جهان = نهر جيحان — تقع عليه المصيصة ، ويصب فى البحر المتوسط على مسافة قريبة منها — معجم البلدان .

(٥) النهر الأسود : أحد فروع الفرات الأعلى ، ويعرف عند الترك باسم قرا صو أى النهر الأسود ، ويجرى غرب المصيصة وطرسوس — معجم البلدان .

والمواكب كالبدر المنير بين الكواكب ، وأمر بتخريبها ، ووصل دربند الروم ، ووصل ، ووصلت بعوثه إلى أياس ، والبرزين ، وآذنة ، وقتلوا وغنموا ، فقال[1] في ذلك :

يا ويح سيس أضحت[2] نهبة ... كم عوّق الجاري بها الجارية[3]

وكم بها قد ضاق من مسلك ... واستوقف الماشي بها الماشية

ولما عاد إلى المصيصة راجعاً من الدربند أمر بإحراق جانبيها ، فأحرقت ، وتحكمت عساكره في كل ما حوت ، فكان كقول البحتري :

سيوف لها في كل دار غدًا رحى ... وخيل لها في كل دار [غدا][4] نهب

علت فوق بغراس فضاقت بما جنت ... صدور رجال حين ضاق بها الدرب

وما شك قوم أوقدوا نار فتنة ... وسرت إليهم أن نارهم تخبو[5]

ثم خرج السلطان — رحمه الله — إلى مرج أنطاكية ، فأقام به وجميع الغنائم في صعيد واحد من الخيل والجواري والمماليك والمواشي وغيرها ، فقسمها بنفسه على العساكر ، فلم ينس صاحب علم ولا ربّ قلم ، وأراح العساكر [٥٩٥] شهرا ، ثم رحل إلى القصير فنازله ، وهذا الحصن لبابا رومية ، وكانت

---

(١) المقصود ابن عبد الظاهر — انظر الروض الزاهر ص ٤٣٨ .

(٢) « أصبحت » في تاريخ ابن الفرات .

(٣) « جارية » في تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٣٣ .

(٤) [ ] إضافة من الروض الزاهر ص ٤٣٤ .

(٥) تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٣٠ .

مضرة على الفوعة وجهاتها ، وكان أهله عند فتح أنطاكية سألوا الهدنة ، فأجيبوا إليها فما وقفوا عنـدها ، فرتّب السلطان عسكرا لحصاره ، فسلّمه أهله ، وحملوا إلى الجهات التى قصدوا ، وأما العسكر والعربان الذين توجهـوا نحو البيرة فإنهم وصـلوا إلى رأس العين ونهبوا وغنموا ما وجدوا ، وأما السلطان وعساكره فإنهم توجهوا إلى دمشق وأقاموا فيها إلى أن خرجت هذه السنة .

ومن الحوادث المزعجة فى هذه السنة أن ثار رمل على أهل الموصل فعم الأفق ، وخرجوا من دورهم يبتهلون إلى الله تعالى حتى كشف عنهم .

وفيهـا : « ... ... »(١) .

وفيهـا : حج بالنـاس « ... ... »(٢) .

---

(١) ، (٢) « ..... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

ابن عطاء قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله (١) بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن جُبير بن جابر بن وهب الأذرعى الحنفى .

وُلِد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وتفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه ، وناب فى الحكم عن الشافعى مدة ، ثم استقل بالقضاء للحنفيّة أول ما ولى القضاء من المذاهب الأربعة ، ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم له بها بمقتضى مذهبه ، فغضب من ذلك وقال : هذه بأيدى أربابها ولا يحل لمسلم أن يتعرض إليها ، ونهض من المجلس ، وغضب السلطان غضبا شديدا ، ثم سكن غضبه ، وكان يثنى عليه بعد ذلك ويقول : لا تثبتوا كتبا إلا عنده (٢) ، وكان رحمه الله من العلماء الأعيان ، كثير التواضع ، قليل الرغبة فى الدنيا ، روى عنه ابن جماعة وغيره ، وأجاز للبرزالى ، وكانت وفاته يوم الجمعة التاسع من جمادى الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح جبل قاسيون ، رحمه الله .

---

(١) وله ايضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٦ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٠ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٨ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠١ .

(٢) « إلا عنه » فى البداية والنهاية .

الشيخ مُسلَّم (١) — بتشديد اللام المفتوحة — البرقى البدوى ، شيخ [٥٩٦] الفقراء .

مات فى ليلة الخامس من شهر ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن من الغد بقرافة مصر الصغرى ، كان أحد المشايخ المشهورين مقصودا للدعاء والتبرك ، وله رباط بقرافة مصر الصغرى وأصحاب معروفون به .

الشيخ الصالح أبو الطاهر محمد بن الشيخ المحدث أبى الحسن مرتضى بن أبى الجود حاتم بن المسلم بن أبى العرب بن عباس الحارثى ، المقدسى الأصل ، المصرى المولد والدار ، الضرير .

كان شيخا صالحا من أهل الخير ، مات فى ليلة السادس والعشرين من جمادى الأول بالقاهرة ، ودفن من الغد بسفح المقطم بقرب المسجد المعروف بالفتح ، ومولده فى ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسعين وخمسمائة ، سمع ، وحدث ، وأبوه الشيخ أبو الحسن أحد المشايخ المعروفين بالطلب والحديث ، وكتب بخطه كثيرا ، وجمع ، وحدث ، وكان موصوفا بالخير والصلاح .

الشيخ المحدث أبو المظفر منصور بن سَليم (٢) بن منصور بن فتوح الهمدانى الإسكندرانى ، الفقيه الشافعى المنعوت بالوجيه .

---

(١) « الشيخ سالم البرقى » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٨ ، وورد فيه أيضا أنه توفى سنة ٦٧٢ هـ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٨ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠١ – ٣٠٢ ؛ السلوك جـ ١ ص ٦١٩ .

مات في ليلة الحادي والعشرين من شوال بالإسكندرية ، ودفن من الغد بالميناوين ، ومولده في الثامن من صفر سنة سبع وستمائة بالإسكندرية ، وكان فقيها فاضلا ، ومحدثا حافظا ، وقدم بغداد وأقام بها مدة ، وسمع بها الكثير ، ثم لما قدم الإسكندرية تولى بها الحسبة ، ودرس بها ، وحدث ، وجمع ، وصنف ، وخرج معجم شيوخه ، وألف تاريخا لبلده الإسكندرية .

الشيخ أبو الفتح عمر بن يعقوب بن عثمان بن طاهر بن المفضل الأربلي الصوفي .

مات بدمشق في يوم عيد الأضحى ، ومولده في ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بأربل ، حدث بالإجازة من جماعة .

الأمير الأصيل شهاب الدين أبو العباس أحمد[1] بن الأمير جمال الدين أبي [٥٩٧] الفتح موسى بن يغمور بن جلدك .

مات في الرابع والعشرين من جمادى الأولى بالمحلة من الأعمال الغربية ، وكان واليا بها ، وحمل إلى القرافة ودفن بتربتهم ، حدث بشيء من نظمه ، وكان معروفا بالشدة والصرامة في ولايته ، وكان فاضلا في الأدب والشعر ، عارفا بصنعة الألحان وعلم الموسيقى .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ٢ ص ٢٢٩ رقم ٣١٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٥ ، الوافي جـ ٨ ص ٢٠٢ رقم ٣٦٣٦ ، السلوك جـ ١ ص ٦١٩ وفيه « يوسف بن أحمد » ، الطالع السعيد ص ١٤٩ رقم ٧٦ ، تاريخ ابن الفرات ـ المجلد السابع ص ٣٧

الأبرنس بيمند بن بيمند صاحب طرابلس[1]، هلك فى هذه السنة، ووصل ابن عمه صاحب قبرس إلى طرابلس معزيا أولاده[2]، وسألوا السلطان إرسال بعض أمرائه ليقرروا معه الإتفاق، فأرسل إليهم الأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار[3]، فقرر عليهم القيام بعشرين ألف دينار صورية و إطلاق عشرين أسيرا .

وقال ابن كثير : وكان جد بيمند بن بيمند المذكور نائبا لبنت صنجيل الرومى الذى تملك طرابلس من ابن عمار فى حدود الخمسمائة كما تقدم ، وكانت مقيمة ببعض جزائر البحر ، فتغلب على البلد لبعدها منه ، ثم استقل بها ولده ، ثم حفيده هذا ، وكان شكلا مليحا .

وقال قطب الدين اليونينى : رأيته ببعلبك فى سنة ثمان وخمسين وستمائة حين جاء مسلما على كتبغا نوين ، ورأى أن يطلب منهم بعلبك ، فشق ذلك على المسلمين ، ولما توفى دفن بكنيسة طرابلس ، ولما فتحت فى سنة ثمان وثمانين بعد الستمائة نبش الناس إياه من قبره، وألقوا عظامه على المزابل للكلاب[4] .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٥١٥ رقم ٧٥١ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٩ .

وانظر تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) هو بوهيمند السابع . Bohemond VII .

(٣) وذلك فى ثامن المحرم هـ — السلوك جـ ١ ص ٦١٩ .

(٤) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٩ .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة الرابعة والسبعين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله .

والسلطان الملك الظاهر بيبرس في دمشق ، وأرسل الأمير بدر الدين الخزندار إلى مصر في الرابع والعشرين من المحرم لإحضار ولده الملك السعيد ، فتوجه وأحضره ، ودخل دمشق في سادس صفر من هذه السنة ، وكان يوما مشهودا .

ذكر نزول [٥٩٨] التتار على البيرة :

وفي يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة (١) نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألفا من المقاتلة منهم خمسة عشر ألفا من المغول وخمسة عشر ألفا من الروم ، فعلى المغول أمير يسمى ابطاى (٢) ، وعلى الروم الأمير معين الدين سليمان البرواناه ، ومعهم جيش الموصل ، وجيش ماردين ، والأكراد ، وذلك بأمر أبغا بن هلاون ملك التتار ، فنصبوا على البيرة ثلاثة وعشرين منجنيقا ، فخرج أهل البيرة في الليل ،

(*) يوافق أولها الخميس ٢٧ يونية ١٢٧٥ م .

(١) « ثاني جمادى الآخرة » في الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٩ ، فما ذكره ابن كثير هو الأرجح ، فقد ورد في التوفيقات الإلهامية أن أول جمادى الآخرة سنة ٦٧٤ هـ هو يوم جمعة .

(٢) « وقيل أبتاي » — تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٤١ ، وهو Abatai .

فكبسوا العسكر وأحرقوا المنجنيقات ، ونهبوا شيئاً كثيرا ، ورجعوا إلى حصنهم سالمين ، فأقام الجيش عليها إلى تاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها بغيظهم ، ولما بلغ السلطان الظاهر ذلك أنفق فى العساكر نفقة كاملة .

وقال ابن كثير : أنفق فى الجيش ستمائة ألف دينار ، وركب سريعا ، وفى صحبته ولده الملك السعيد ، فلما وصل إلى القُطَيفة (١) بلغه أن التتار سمعوا بحركته فوهنوا ورجعوا عن البيرة ، فسار السلطان إلى حمص ، ثم إلى حلب (٢) .

وقال بيبرس : وكان السبب فى رجوع التتار عن البيرة أن البَرْواناه كان قد مال إلى جانب الملك الظاهر وكاتبه يعرفه أنه على طاعته ومناصرته ويحسّن له القدوم إلى الروم ، فصدر جواب السلطان إليه معتذرا بقلة المياه فى هذه السنة ، ووعده التوجه فى السنة القابلة ، فبلغ ذلك أبْطاى ، فجرّد أميرا يسمّى كُمْتاى بهادُر فى أربعمائة فارس ليحفظوا الطرقات على قُصّاد البَرْواناه ويحضروهم إليه ، فذهبوا وأمسكوا القُصّاد وأحضروهم إليه ، فوقف على الكتب ، فوجد من مضمونها إنكم تطمعون التتار حتى نحضر بالعساكر ، فتكونوا من ورائهم ونحن من أمامهم ، فرحل من وقته ، وأرسل الكتب والقصاد إلى أبغا ، فتغيّر أبغا على البَرْواناه وأرسل يستدعيه إلى الأُرْدُو .

فعلم البَرْواناه أنه إنما [٥٩٩] يطلبه ليهلكه ، فكرّر المكاتبات إلى السلطان واستحثه على القدوم بعساكره ، وتقاعد البرواناه عن التوجّه إلى أبغا .

---

(١) « فلما كان فى أثناء الطريق » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٩ .

القطيفة : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من ناحية حمص — معجم البلدان .

(٢) « فعاد إلى دمشق » — فى البداية والنهاية .

ولما تكررت رُسُل أبغا إلى البَرْواناه بأن يسير إليه اعتذر بأنه مهتم فى جهاز ابنة السلطان ركن الدين التى من كُرجى خاتون ، وكان أبغا قد طلبها ليتزوجها ، فأرسل إليه إن كنت قد خامرت حقا وإلا فتحضر .

فسار من قيسارية وتوجّه يقدم رجلا ويؤخّر أخرى ، وجرّد جيش الروم إلى أُبلُستين ، فخرجوا من قيسارية وتركوا بها السلطان غياث الدين كيخسرو ابن ركن الدين قليج أرسلان وهو ليس له إلّا الإسم فقط ، وحضر أمراء الروم إلى أبلُستين فى هذه السنة ، وكان وصولهم إليها فى شهر صفر من هذه السنة وهم : تاج الدين كُلُو . وعلاء الدين على ولد معين الدين سليمان البَرواناه ، وشرف الدين مسعود بن الخطير ، وضياء الدين محمود أخوه ، ونور الدين بن جَنْجا ، وسيف الدين طرنطاى صاحب أَمَاسية ، وسنانُ الدين الرومى ولدُه .

وبقى البَرواناه ينتظر ما يتجدّد من جهة السلطان من أخبار وصوله إلى بلاد الروم ليعود إليه ، ثم أرسل البَرواناه يستدعى سيف الدين طرنطاى صاحب أماسِيَة ، فتوجّه إليه وقال له : أنت تعلم أنى لست أختار القدوم على أبغا ولا يسعنى التأخير إلا بسبب مانع عن السَّيْر ، فإذا عُدتَ من عندى تتفق مع الأمراء وتكون كتبكم متواترة إلىّ بأن الملك الظاهر قد قصد البلاد ، وتحرضونى على الرجعة ، وتحثّونى على السُرعة .

فعاد من عنده وتوجه البَرواناه إلى نحو جهة قصده .

ولما رجع سيف الدين طرنطاى إلى قيساريّة رجع العسكر الذين كانوا بأبْلستين إليها ، ولم يتأخر منهم سوى سيف الدين أبو بكر جَنْدَرْ باك مقطع أبلستين ،

ومُبارز الدين سِـوَاري بن تركري الجاشنكير، وقرونج أمير آخور، واعتمد سيف الدين طرنطاي والأمراء الذين معه ما أشار [٦٠٠] به البَرْواناه، وكاتبوه مدّة مكاتبات بأنّ السلطان الملك الظاهر قاصد البلاد بعَساكره، وإنك إن لم (١) تسرع العودة إلينا وإلا فالبلاد منا مأخوذة .

فأرسل البَرْواناه كتبهم إلى أبغا، فأعطاه دستورا ليعود من الطريق، وجرَّد ثلاثين ألفا من أعيان المغول صحبة تُوقُو وتُدَاوُن إلى الروم ليكونوا مَدَدًا له .

وفي أثناء ذلك اختلف الأمراءُ الروميون فيما بينهم، وقتل اثنان منهم، وتحالف بعضهم على طاعة الملك الظاهر والانحياز إليه، وبرّزوا خيامهم إلى ظاهر قيسارية، وخرج السلطان غياث الدين كيخسرو منها إلى مدينة دَوَالُو، فأقام بها .

وسيَّر الأمراءَ الذين اتفقوا على الانحياز إلى الملك الظاهر رُسُلا إليه يخبرونه بخروجهم لقصده واتفاقهم على طاعته، وكان (٢) الرسل من (٣) : الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير، والأمير سنان الدين موسى الرومي بن الأمير سيف الدين طرنطاي، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك، والحاج أخو جلال الدين المستوفي، فحضرت هؤلاء إلى عينتاب، واجتمعوا بالسلطان الملك الظاهر وسألوه أن يجهز معهم عسكرا ليحضروا إليه وبقيّة الأمراء، فجرّد معهم سيف الدين بلبان الزيني وبدر الدين بكتوت المعروف بابن أتابك .

---

(١) « وإنك لم » في الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق .

(٢) « وكان » مكررة في الأصل .

(٣) « إلى » في الأصل ، والتصحيح يتفق مع السياق .

ففى عودهم من عند الملك الظاهر وصل البرواناه إلى قيسارية وصحبته توقو(١) وتداون(٢) وعسكر التتار، فحالوا بينهم وبين السلطان غياث الدين وغيره، فرجعوا إلى السلطان الملك الظاهر من كُوك صُو، وهو النهر الأزرق، فجهزهم وحريمهم إلى الديار المصرية، وسعى بهم ابن الخطير، فاعتقلهم بقلعة الجبل مدة، ثم أطلقوا.

وأقام البرواناه بقيسارية إلى انقضاء هذه السنة، وجهز بيجار الرومى وبهادر ولده وجماعة من الروميين على الهرب إلى الديار المصرية [٦٠١]، واللحاق بالملك الظاهر، فهربوا من الروم، فحضروا فى أوائل سنة خمس وسبعين وستمائة.

وأما السلطان غياث الدين فإن توقُو وتُدَاون أخذاه وسلماه إلى البرواناه، وقتلا شرف الدين بن الخطير بسبب مخامرته لهم، وأما سيف الدين طرنطاى فخلوا سبيله وأمروه بأن يلزم بيته.

ذكر عَوْد السلطان الظاهر من عينتاب إلى الديار المصرية :

ولما جرى الأمور المذكورة، وكان السلطان على مدينة عينتاب رحل منها طالبا الديار المصرية فى مستهل رجب من هذه السنة، ووصل إلى الديار المصرية فى ثامن عشر رجب من هذه السنة، وكان يوم دخوله يوما مشهودا.

ولما استقر ركابه فى قلعته بالقاهرة وفد عليه شكنده(٣) ابن عم داود ملك

---

(١) هو Toucouz .

(٢) هو Toudoun .

(٣) «مشكد» فى السلوك جـ ١ ص ٦٢١، و«مرقشنكز» فى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٧٧، و«واسمه مشكد وقيل سكنده» فى تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٤٥، و«شكندة» فى كنز الدرر جـ ٨ ص ١٨٣ .

النُوبة متظلما من ابن عمه داود وأخذه الملك منه ، فجرد السلطان الظاهر معه جيشا صحبة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى والأمير عز الدين أيبك الأفرم فى مستهل شعبان ، فوصلوا إلى دُنْقُلَة (١) ولقيهم جمعٌ من السودان ، واقتتلوا ، فانهزم السودان ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم ما لا يقع عليه الحصر حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم ، ثم تبعوا داود فترك أخته وأمّه و بنت أخته وهرب ، فأُخذ حريمُه ورجعوا إلى الديار المصرية بعد أن مَلّكوا شكندة ورتبوا أمره ، وقرّروا عليه فى كل سنة على كل رأس دينار ، ووصلوا إلى القاهرة وصحبتهم السبيُ فأبيعَ بمائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم .

وقال بيبرس فى تاريخه : ولما جُرِّد العسكر من مصر خرجوا فى ثامن شوال ووصلوا إلى الدَوْ ، فأغاروا على قلعتها ونزلوا جزيرة ميكائيل ، وهى رأس جنادل النوبة ، فقتلوا وأسروا وغنموا ، وكان بها قمر الدولة آبى صاحب الجبل ، فآمنوه وقرروه على ولايته ، ثم التقوا الملك داود وعساكره ، فكسَرُوه وأَسرَ أخوه وأمّه وأخته (٢) ، وقتلوا [٦٠٢] من السودان ألوفا ، وهرب داود إلى الأبواب ، وهى فوق بلاده ، فالتقاه صاحبها واسمُه أَدَرَوْ وقاتله وقتل ولده ، وأكثر من كان معه ، وأمسكه وارسل به إلى السلطان أسيرا ، فاعتقل بقلعة الجبل إلى أن مات فى السجن فيما بعد ، ورتّب الأمراء شكنده مكان داود خاله ، وقرّروا عليه فى

(١) دنقلة = دمقلة ، مدينة كبيرة فى بلاد النوبة ، وهى منزلة ملك النوبة على شاطىء النيل — معجم البلدان .

(٢) « وأخواته » فى الجوهر الثمين ص ٢٨١ .

كل سنة قطيعة يُؤَدِّيها[1] ، وهى : ثلاثة أفيلة ، وثلاثة زرافات ، وخمس فهود ، ومائة أصهب جياد ، وأربعمائة رأس بقر[2] ، وأن تكون البلاد مشاطرة : النصف للسلطان ، والنصف لعمارتها وحفظها ، وأن تكون بلاد العلى و بلاد الجبل للسلطان خاصًّا لقربها من أسوان ، ويحمل ما يتحصل منها من التمر والقطن مع ما تقرّر من القطيعة والجزية وهى دينار واحد من كل واحد من العقلاء البالغين إلى الأبواب الشريفة ، واستحلفوه على ذلك الأيمان التى يحلفها النصارى ، وعادت العساكر المنصورة .

وأما شَنكُو[3] أخو داود فإنه أسلم وحُسن إسلامه ، ورُتّب فى جملة البحريّة ، وقُرّرت له ولولده جامكيّة ، وسمّى ولده محمدا ، وكان متدينا ، كثيرا التلاوة فى القرآن الكريم إلى أن توفى ، رحمه الله .

وقال النويرى : وأول من غزا النوبة فى الإسلام عبد الله بن أبى السَّرح فى سنة إحدى وثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، ثم فى زمن هشام بن عبد الملك ابن مروان ، ثم غزاها يزيد بن أبى صُفْرَة ، ثم غزاها أبو منصور هى وبرقة فى عام واحد ، ثم غزاها كافور الإخشيدى ، ثم غزاها ناصر الدولة بن حمدان سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ثم غزاها شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين بن أيوب فى سنة ثمان وستين وخمسمائة[4] .

---

(١) « وفهود إناث خمس » — السلوك جـ ١ ص ٦٢٢ .

(٢) « وأبقار جهاد منتخبة مائة » — السلوك جـ ١ ص ٦٢٢ .

(٣) « سنكوا » فى نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٨ ورقة ٣٤٨ .

(٤) ملخصا عن نهاية الأرب جـ ٢٨ مخطوط ورقة ٣٤٨ — ٣٥٠ .
وانظر تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٤٤ وما بعدها .

ذكر عقد السلطان الملك السّعيد بن الظاهر على ابنة الأمير سيف الدّين قلاوُن الألفى :

وفى يوم الخميس الثانى عشر من ذى الحجة من هذه السنة عُقد عقد الملك السعيد على الست غازية خاتون ابنة سيف الدين قلاون (١) ، وكتب القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر الصداق ، وهو خمسة آلاف دينار : المعجّل منها ألفا دينار ، وكان ذلك فى الإيوان بحضرة السلطان ، فأعطى السلطان [٦٠٣] محيى الدين المذكور مائة دينار وخلع عليه .

ونسخة الصداق : الحمدُ لله موفق الآمال لأَسْعَد حركة ، ومصدِّق الفال لمن جعل عنده أعظم بركة ، ومحقق الإقبال لمن أصبح نسيبُه سلطانه ، وصهرُه ملكه ، الذى جعل للأولياء من لدنه سلطانا نصيرا ، وميَّز أقدارهم باصطفاء تأهيله حتى حازوا نعيما وملكا كبيرا ، وأفرد فخارهم بتقريبه حتى أفاد شمس آمالهم ضياء ، وزاد قمرهم نورا ، وشرَّف به وصلتهم حتى أصبح فضل الله عليهم بها عظيما ، وإنعامه كبيرا ، مهيِّئ أسباب التوفيق العاجلة والآجلة ، وجاعل ربوع كل أملاك من الأملاك بالشموس والبدور والأهـلَّة ، جامع أطراف الفخار لذوى الإيثار حتى حصلت لهم النعمة الشاملة ، وحلَّت عندهم البركة الكاملة ، نحمده على أن أحسن عند الأولياء بالنعمة الاستيداع ، وأجمل لتأمُّلهم الاستطلاع ، وكمل لاختيارهم الأجناس من العزِّ والأنواع ، وآتى آمالهم ما لم تكن فى حساب أحسابهم من الابتداء بالتحويل والابتداع ، وأشهد أن لا إله إلا الله

(١) انظر الجوهر الثمين ص ٢٨٠ .

وحده لا شريك له شهادةً حسنة الأوضاع ، مليّة بتشريف الألسنة وتكريم الأسماع ، ونصلى على سيدنا محمد الذى أعلى الله به الأقدار ، وشرف به الموالى والأصهار ، وجعل كرمه دارا لهم فى كل دار ، وفخره على من استطلعه من المهاجرين والأنصار مشرق الأنوار ، صلى الله عليه وعليهم ، صلاة زاهية الأثمار ، يانعة الثمار ، وبعد : فلو كان اتصال كل شيء بحسب المتصل به فى تفضيله ، لما استصلح البدر شيئا من المنازل لنزوله ، ولا الغيث شيئا من الرياض لهُطوله ، ولا الذكر الحكيم لسانا من الألسنة لترتيله ، ولا الجوهر الثمين شيئا من التيجان لحلوله ، لكن الشرَف بيت يحلّ به القمر ، ونبتٌ يزوره المطر ، ولسانٌ يتعوّذ بالآيات والسُور ، ونُضار يتجمّل باللآلى والدُّرَر ، والمترتّب على هذه القاعدة إفاضة نور يستمدّه الوجود ، وتقريرُ أمرٍ يقارن سَعْدَ [٦٠٤] الأخبية فيه سعد السُعود ، وإظهار خطبة يقول الثُريّا لانتظام عقدها كيف ، وإبرازُ وُصْلَةَ تجمّلُ بترصيع جَوهرها مَتْن السيف ، الذى يغبطه على إبداع هذه الجوهرية كل سيف ، ونسج صهارة تتم بها إن شاء الله كل أمر سَديد ، ويتّفقُ بها كلُ توفيق يخلُقُ الأيام وهو جديد ، ويختار لها أَبْرَكُ طالع وكيف لاتكون البركة فى ذلك الطالع وهو السعيد ، ذلك بأن المراحم الشريفة السلطانية أرادت أن تُخصّ المجلس السّامى الأميرى الكبيرى السيفى بالإحسان المُبتكر ، وتفرُدَه بالمواهب التى يرهَف بها الحدُّ المُنتقى ويعظُم الجدُ المنتظر ، وأن يرفع من قدره بالصهارة مثل ما رفعه صلى الله عليه وسلم من أبى بكر وعمر ، فخطبَ إليه أسْعدُ البريّة ، وأمنعُ من يحميها السيوفُ المشرفيّة ، وأعز من يسبل عليها ستور الصون الخفيّة ، وتُضرب دونها خدور

الجلال الرضيَّة، ويُجمَّل بنموتها المقودُ، وكيف لاوهى الدرَّةُ الألفيَّة، فقال والده وهو الأميرُ المذكور : هكذا ترفع الأقدار والأوْزان ، وهكذا يكون قران السَّعْد وسَعْدُ القِران ، وما أسْعد أرضا أصبحت هـذه المكارمُ له مخيلة ، وأشرف سَيْفًا غَدَت منطقُه بروج سمائها له حَمِيلَة ، وما أعظمها معجزةً أتت الأولياءُ من لدنها سلطانا ، وزادتهم مع إيمانهم إيمانا ، وما أفخرها صهارة يقول التوفيق لابن أُمِّها ليت ، وأشرفها عبودية كرمت سلمانها بأن جعلته من أهـل البيت ، وإذ قد حصلت الإستخارة فى رفع قـدر المملوك ، وتخصيصه بهذه المزيَّة التى تقاصرت عنهـا آمالُ أكابر الملوك ، فالأمرُ لمليك البسيطة فى رفـع درجات عبيده كيف يشاءُ ، والتصدُّق بما يَتَفوَّهُ به هذه الأشياء ، وهذا مفتتح الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ مبـاركٌ تحاسدت رماحُ الخطِّ وأقلامُ الخطِّ على تحـريره ، وتنافست مطالع النوار(١) ومشارق الأنوار على نظم سُطوره ، فأضاءَ نوره بالجلالة وأشرق ، وهطل نورُه [٦٠٥] بالإحسان وأغدق ، وتناسبت فيه أجناسُ تجنيس لفظ الفضل ، فقال : الاعتراف هـذا ما يُصَدق ، وقال : العُرْفُ هـذا ما أصـدق مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان بن مولانا السلطان الملك الظاهر ركُن الدنيا والدين أبى الفتح بيبرس الصالحى قسيم أمير المؤمنين الستر الرفيع الخاتونى غازية خاتون ابنة المجلس السامى السيفى قلاون الألفى الصالحى ، أصدقها ما ملأَ خزائن الأحسابْ فخارا ، وشجرة الأنساب ثمارا ،

(١) « الأنوار » فى السلوك جـ ٦ ص ٦٢٣ .

ومشكاة الجلالة أنوارا ، وأضاف إلى ذلك ما لولا أدب الشرع لكان أقاليم ومدائن وأمصارا ، فبذل لها من العين المصري (١) مما هو باسم والده قد تشرّف ، وبنعوته قد تعرّف ، وبين يدي هباته وصدقاته قد تصرّف [وهو مبلغ خمسة آلاف دينار المعجل منها ألفا دينار] (٢) .

ذكر توجّه السلطان إلى الشام :

ولما انقضى العقد ركب السلطان الملك الظاهر من ساعته وتوجّه إلى الكرك في الثاني عشر من ذي الحجة على الهُجُن في جماعة لطيفة ، على الطريق البدريّة ، تحت جبل يعرف بنقب الرفاعي ، ولما وصلها نظر في أحوالها ، وجمع القيمرية الذين بها ، فإذا هم ستمائة نفر ، فأمر بشنقهم ، فشفع عنده فيهم ، فأطلقهم وأجلاهم إلى الديار المصريّة ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يُريدون قتل مَنْ فيه ويقيمون ملكا عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي شمس الدين صواب (٣) السُهيلي ، فانقضت السنة والسلطان بالكرك ، ثم توجه منها إلى دمشق ، فوصلها في رابع عشر المحرم من سنة خمس وسبعين وستمائة على ما نذكره إن شاء الله .

---

(١) « الأنفين » في الأصل ، والتصحيح من تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٥٣ .

(٢) [ ] إضافة للتوضيح من تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٥٣ وانظر ما سبق ص ١٤٦ .

(٣) هو صواب بن عبد الله السهيلي الطواشي الخازندار ، نائب الكرك ، توفي سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م — المنهل الصافي ، الدرر جـ ٢ ص ٢٠٧ رقم ١٩٨٤ .

ذكر بقيّة الحوادث فى هذه السنة :

منها : أنه كانت زلزلة عظيمة ببلاد خلاط ، فهلك فيها شيئًا كثيرا من الدور والأسواق والخانات ، واتصلت الزلزلة ببلاد بكر .

ومنها : أن سيف الدين قلاون رتب مملوكه سيف الدين الدوادار صاحب التاريخ على الشراب خاناة[1] التى له ، عوضا عن زين الدين كتبغا .

ومنها : أن فى رمضان [٦٠٦] وجد رجل وامرأة فى حمام نهارا[2] على فاحشة فى بغداد ، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمهما فرُجما .

وقال ابن كثير : ولم يرجم ببغداد قبلهما [قط[3]] أحد ، [منذ بنيت[4]] وهذا غريبٌ جدًّا .

وفيها : « ... ... »[5] .

وفيها : حج بالناس « ... ... »[6] .

---

(١) الشراب خاناة : خزانة الشراب ، وتحتوى على أدوات الشراب النفيسة ، كما تشتمل على أنواع مختلفة من المشروبات والمطربات ، والأدوية ، ويشرف عليها « مهتار » يعرف بمهتار الشراب خاناه ، وتحت يده غلمان يسمون « الشرابدارية » — صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٧٢ ، جـ ٤ ص ١٠ ، ٢١ ، جـ ٥ ص ٤٦٩ ، زبدة كشف الممالك ص ١٢٤ .

(٢) « وجد رجل وامرأة فى نهار رمضان » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٦٩ .

(٣) ، (٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) ، (٦) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الشيخ الإمام الأديب العلامة تاج الدين أبو الثناء محمود[١] بن عابد[٢] بن الحسن ابن محمد بن على التميمى الصرخدى الحنفى .

كان مشهورا بالفقه ، والأدب ، والعفّة ، والصلاح ، ونزاهة النفس ، ومكارم الأخلاق ، وكان مولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وروى ، وتوفى فى هذه السنة ، ودفن بمقابر الصوفية فى ربيع الآخر من هذه السنة وله ست وتسعون سنة .

الشيخ الإمام عماد الدين عبد العزيز[٣] بن محمد بن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مُقلد الأنصارى الدمشقى المعروف بابن الصائغ .

كان مدرسا بالعذراوية[٤] ، وشاهدا بالخزانة بالقلعة ، وكان يعرف الحساب جدًّا ، وله سماع ورواية ، توفى فى هذه السنة ودفن بقاسيون .

الشيخ أبو العباس أحمد السلاوى[٥] المغربى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ١٢١ رقم ٥١٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٤٩ ، السلوك جـ ١ ص ٦٢٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٤ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٠ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٣ .

(٢) « بن عائذ » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٠ .

(٤) المدرسة العذراوية بدمشق : أنشأتها الست عذراء بنت نور الدولة شاهنشاه بن أيوب ، بنت أخى السلطان صلاح الدين الأيوبى ، والمتوفاة سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م — الدارس جـ ١ ص ٣٧٣ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٤ .

مات في السابع عشر من شهر ربيع الأول بمصر ودفن من يومه بسفح المقطم، وكان أحد المشايخ المشهورين بالصلاح المقصود للدعاء والتبرك .

الشيخ أبو المعالي عبد الرحمن بن الشيخ أبي القاسم عبد العزيز الأسكندري المقرئ (١) .

مات في هذه السنة بالإسكندرية .

الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن (٢) بن الشيخ الإمام أبي العز مظفر الأنصاري الخزرجي المصري .

كان أحد الأئمة المشهورين بالفضل والعلم ، وتوفي في هذه السنة .

ابن السّاعي المؤرخ تاج الدين علي (٣) بن أنجب البغدادي .

سمع الحديث ، واعتنى بالتاريخ ، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن ، وقد أوصى إليه ابن النجار (٤) حين توفي ، وله تاريخ كبير ومصنفات أُخَرُ مفيدة (٥) ، وآخِرُ ما صنَّف كتابٌ في الزهد (٦) ، ولد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ومات [٦٠٧] في هذه السنة ، رحمه الله .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٠ .

(٢) وله أيضا ترجمة في : تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٠ .

(٣) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٢ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ٤٦٩ رقم ١١٦١ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦١

(٤) هو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله ، الحافظ الكبير محب الدين بن النجار البغدادي ، المتوفى سنة ٦٤٣ هـ/١٢٤٥م — فوات الوفيات جـ ٤ ص ٣٦ رقم ٤٩٤ ، العبر جـ ٥ ص ١٨٠ .

(٥) انظر هدية العارفين جـ ١ ص ٧١٢ — ٧١٣ .

(٦) هو كتاب « أخبار الزهاد ومناقب الأولياء والأفراد » — هدية العارفين جـ ١ ص ٧١٢ .

فصلٌ فيما وقع من الحوادث
فى السَّنة الخامسة والسّبعين بعد السّتمائة (*)

استهلّت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

والسلطان الملك الظاهر بيبرس رحمه الله فى الكرك ، وتوجّه منها إلى دمشق ، فدخلها فى الثالث عشر من المحرم منها (١) ، ولما وصلها بلغه وصول الأمراء الروميّين المهاجرين إلى أبوابه ، فسار من دمشق إلى حلب ، فوصل بَنْجار الرومىّ (٢) ، وبهادُر ولده ، وأحمد بن بهادر ، واثنى عشر من أمراء الروم بأولادهم وأهليهم ، من جملتهم : قُرْمِشى وسُكْتاى ابنا قرا جين بن جيغان نُوين وَنَفَرهما (٣) من قبيلته بَيْسُون وجيغان جدُّهما كان سلحدار جنكزخان ملك التتار هو وبَيْجُو ، وكان قرمشى وسُكتاى المذكوران قد أقاما بالروم عند البَرْواناه ، وتزوج البَرْوَاناه بممتهما ، فطلبا إلى الأُرْدُو فامتنعا ، وقتلا الذى جاء فى أثرهما ، وقتلا كلَّ مَنْ معه ، ولحقا بَنْجار المذكور وحضرا معه ، ولما حضروا إلى خدمة السلطان أحسَن إليهم ، وتلقاهم بالقبول ، وجهَّزهم وحريمهم إلى الديار المصريّة ، وأجرى عليهم الأرزاق .

(*) يوافق أولها الاثنين ١٥ يونية ١٢٧٦ م .

(١) « فدخلها فى رابع المحرم من هذه السنة ، وقيل وصل إلى دمشق فى رابع عشر المحرم الشهر المذكور » تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٦٥ .

(٢) « بينجار » فى السلوك ج ١ ص ٦٢٥ ، و « حسام الدين بيجار » فى تاريخ ابن الفرات ج ٧ ص ٦٦ ، وفى كنز الدرر ج ٨ ص ١٩٠ .

(٣) النَّفر : من ثلاثة إلى عشرة من الرِّجال ، ويقال : هم نفر فلان أى نفره — والجمع من الناس ج

ولما أفضت السلطنة إلى الملك المنصور قلاون تزوّج ببنت سُكتاى المذكور على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ثم وصل بعدهم سيف الدين جَنْدربك صاحب الأبلُستين (١) ، والأمير مبارز الدين أمير شكار (٢) ، وبلغ السلطان أن التتار وصلوا إلى كُوكْ صُو (٣) مع تُوقُو وتُدَاوُن ، فعاد السلطان إلى الديار المصريّة لمهمات كانت بين يَدَيْه منها دخول الملك السعيد ولده بَيْتَه .

ذكرُ عَوْد السُلطان من حلب إلى الدّيار المصريّة :

عاد السلطان من حلب بعد مجئ الأمراء المذكورين وهم فى خدمته ، فوصل إلى مصر ودخلها فى ثانى عشر شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وجهّز حاله وحالَ عساكرَه وأمرهم بالتأهب والتجهز لما [٦٠٨] سمع من وصول التتار إلى القرب من أعماله الحلبيّة .

ذكر دخول الملك السعّيد بن السلطان الظاهر بابنة سيف الدين قلاون :

وفى خامس جمادى الأولى (٤) من هذه السنة عمل عُرس الملك السعيد على ابنة قلاون الألفى ، واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وركب الجيش خمسة أيام

(١) الأبلستين : مدينة ببلاد الروم قريبة من إفسوس — معجم البلدان .

(٢) الأمير شكار : شكار لفظ فارسى بمعنى الصيد ، والمقصود الأمير الذى يتحدث على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها وعلى سائر أمور الصيد — صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٢ ، جـ ٥ ص ١٤٦ .

(٣) كوك صو = النهر الأزرق — انظر ما سبق .

(٤) « وكان الدخول خامس ربيع الأول » فى الجوهر الثمين ص ٢٩١ .

فى الميدان يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم على بعض ، وقد لبسوا أكمل العُدَد ، ورتب لهم السلطان لعب القبق [(١)] ، فلعب السلطان بالميدان الأسود [(٢)] تحت القلعة ، ولبس جوشنا وخـوذة ، وتقلد تُرْسا ، وألبس فرسه العدَّة الكاملة من البركستوان والوجه والرقبة ، وساق تحت القبق ، ورماه باليد اليُسْرى فأصابه ، وأخطأ غيره باليُمنى بغير لُبْس ، وأنعم على كلّ من أصاب من الأمراء بفرس بسرجه ولجامه وزينته من المراوات الفضة ، ومن أصاب من المماليك والأجناد خُلع عليه ، وبقى هذا المهم ثلاثة أيام متوالية والناس فى أفراح وسرور ، وشاهد النـاس منه ومن ولده الأسد وشبله ما يحار الناظرون ويدهش المتفرجون ، ثم فى اليوم الرابع خلع على الأمراء وجميع أكابر الدولة وأرباب المناصب من القضاة والوزراء والكُتاب والمقـدمين والمتعممين ، فكان بلغ ما خلع ألفـا وثلاثمـائة خلعة ، وراحت مراسيمهما إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومُدّ فى ذلك اليوم سماط عظيم لا يوصف ، حضره الشارِد والوارِدُ ، والخاصّ والعامّ ، وجلس رمل التتار

(١) القبق : لفظ تركى معناه نبات القرعة العسلية ، وقد أطلق فى العربية على الهدف الذى كان مستعملا فى ملعب الرماية المعروف باسم القبق أيضا ، وقد وصف المقريزى لعب القبق فقال : « والقبق عبارة عن خشبة عالية جدا تنصب فى براح من الأرض ويعمل بأعلاها دائرة من خشب ، وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهام جوف الدائرة لكى تمر من داخلها إلى غرض هناك ، تمرينا لهم على إحكام الرمى » — انظر المواعظ والإعتبار ج ٢ ص ١١١ .

(٢) الميدان الأسود : هو الميدان الخاص برمى القبق ، خارج القاهرة فيما بين النقرة التى ينزل من قلعة الجبل إليها وبين قبة النصر ، ويسمى أيضا ميدان الصيد ، والميدان الأخضر ، وميدان السباق ، وهو ميدان السلطان الملك الظاهر بيبرس — المواعظ والإعتبار ج ٢ ص ١١١ .

ورُسل الفرنج والأمراء و [جميع أكابر] (١) الدولة ، وعليهم كلهم الخلع المائلة ، وكان وقتا مشهودا ، وحمل صاحب حماة هدايا عظيمة ، وركب إلى مصر للتهنئة ، ودخل الملك السعيد بيتَه (٢) ، وقدمت له التقادم فقبل منها القليل ، وانقضى الوقت على الوجه الجميل .

ذكر مسير السُلطان إلى الشام لغزو التتار :

ولما قوى خبر هجوم التتار على البلاد الشامية واشتد عزمهم على ذلك خرج [٦٠٩] السلطان الملك الظاهر بيبرس من الديار المصرية يوم الخميس العشرين من رمضان من هذه السنة ، ومعه العساكر والجنود ، وسار معهم ، فدخل دمشق فى سابع عشر شوال منها ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار ومعه العساكر حتى دخل حلب مستهل ذى القعدة وأقام بها يوما ، ورسم لنائب حلب (٣) أن يقيم بعسكر حلب على الفرات يحفظ المعابر ، وسار السلطان ، ولما وصل إلى كُوكُصو وهو النهر الأزرق تحرك تُوقُو وتُدَاوُن ومن معهما من عسكر (٤) التتار الذين انتقاهم أبغا واختارهم ، فجهز السلطان الجاليش ومقدمة العساكر صحبة الأمير شمس

---

(١) [ ] إضافة مما سبق يقتضيها السياق .

(٢) « وحضرت التقادم ، فقبل السلطان منها اليسير » فى السلوك جـ ١ ص ٦٢٧ ، وانظر أيضا الروض الزاهر ص ٤٥٢ .

(٣) وهو نور الدين على بن مجلى — السلوك جـ ١ ص ٦٢٨ .

(٤) ابتداء ما وجد من كتاب زبدة الفكرة جـ ٩ — بعد الخرم — بين فيها الورقة ٨٢ ب ، ٨٣ أ .

الدين سنقر الأشقر ، فوقع على ألف فارس من التتار مقدمهم كراى ، فانهزموا بين أيديهم وتيقنوا أن الدائرة عليهم (١) .

وقال ابن كثير : وقع سنقر الأشقر فى أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغل فهزمهم يوم الخميس تاسع ذى القعدة من هذه السنة (٢) .

ذكر ملاقاة السلطان مع التتار وانتصاره عليهم :

ثم إن السلطان الملك الظاهر قطع الدربند (٣) فى نصف يوم ، وصعد مع العسكر الجبال ، فأشرفوا على صحراء الأبلستين ، فرأوا التتار قد رتبوا عسكرهم ، وهم اثنا عشر طُلْبا ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخامرتهم ، وكانوا فى طلب واحد وحدهم ، فلما تراءت الجمعان ورأى بعضهم بعضا بالعيان حملت ميسرة التتار ، فصدمت سناجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم ، فشقوها ، وساقت إلى الميمنة ، فلما رأى السلطان ذلك أردف المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة ، فرأى الميسرة قد كادت أن تتحطم ، فأمر جماعةً من الأمراء بإردافها ، وقاتلت التتار مع المسلمين قتالا شديدا ، وصبر المسلمون صبرا عظيما ، فأنزل الله نصره على المسلمين وبأسه على الملحدين ، فأحاطت بهم العساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقتل من المسلمين أيضا جماعة .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٣ أ .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧١ .

(٣) الدربند = المنافذ والممرات الجبلية فى جنوب شرق آسيا الصغرى ، بينها وبين بلاد الشام ، وهى غير الدربند أو باب الأبواب على بحر طبرستان ــ معجم البلدان .

وكان ممن قتل من سادات الأمراء الأمير الكبير ضياء الدين بن الخطير ، وسيف الدين قزان(١) [٦١٠] العلائى ، وسيف الدين قبجق(٢) الجاشنكير ، وعز الدين أيبك الشقيفى(٣) ، وأسر جماعة من أمراء المغول ومن أمراء الروم جماعة أيضا ، فمن المغول أسير زيرك(٤) وهو صهر أبغا ، وصرطق وهو من أقاربه ، وجوديه ، وبردكيه ، وتمادية ، ومن الروميين علاء الدين بكلاربكى(٥) بن البرواناه حاكم الروم ، وابن أخته وهو ولد خواجا يونس ، ونور الدين بن جاجا . وسراج الدين أخوه ، وقطب الدين أخو الأتابك ، وسيف الدين سنقرجاه السيواسى(٦) ، ونصرة الدين صاحب سيواس ، وكمال الدين عارض الجيش بالروم ، وحسام الدين كياوك(٧) قرابة البرواناه ، وسيف الدين بن على شير التركمانى ، وحضر فى الإحسان سيف الدين جاليش أمير دار وهو أمير العدل والمظالم ، وميكائيل صاحب سنوب ، وظهير الدين متوج مشرف الممالك ، ونظام الدين أوحد بن شرف الدين ابن الخطير وإخوته ، وقاضى قضاة الروم حسام الدين الحنفى ، ومظفر الدين جحاف ، وأولاد ضياء الدين بن الخطير ، وسيف الدين كجكنا الجاشنكير .

---

(١) « قيماز » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧١ .

(٢) « بنجور » فى البداية والنهاية .

(٣) « الثقفى » فى البداية والنهاية .

(٤) « بريزك » فى الروض الزاهر ص ٤٦٢ .

(٥) بكلاربكى = أمير الأمراء .

(٦) « الزوباشى » فى الروض الزاهر ص ٤٦٢ .

(٧) « نوكسارل » فى الروض الزاهر ص ٤٦٢ .

ونور الدين المنجنيق ، وأولاد رشيد الدين صاحب ملطية كمال الدين و إخوته ، وأمير على صاحب كركر ، فما منهم إلا من أحسن السلطان (١) إليه وأفاض إنعامه عليه (٢) .

وأما تُوقُو وتُدَاوُن فإنهما قتلا فى المعركة ، وأما البَرْوَاناه فإنه كان مع جماعته وعسكر الروم فى طلب واحد وحده منفرد عن أطلاب التتار كما ذكرناه ، ولما رأى انهزام التتار بادر بالهروب هو وأصحابه وولّوا الأدبار ، وأخذ البَرْوَاناه معه السلطان غياث الدين وفخر الدين الوزير ومَنْ كان بقيسارية وتوجّه بهم إلى تُوقات ، وكانت إقطاعا له .

وقال بيبرس فى تاريخه : وفى هذه الوقعة أخذ سيف الدين قلاون الألفى : سيف الدين جاوَرْشى ، وسيف الدين قفجاق ، واشترى سيف الدين سلّارَ ، لولده علاء الدين [٦١١] على المنقب عند سلطنته بالملك الصالح ، [فكان ذلك فى طالع طلعة سعوده وغربت نحوسه ، فإن المشار إليه ترقت به السعادة إلى ما سنذكره فى موضعه إن شاء الله] (٣) واسم أبيه طغرل ، وكان البَرْوَاناه قد قرّبه وأدناه وصيّره أمير شكار .

ذكر دخول السلطان قيسارية وجلوسه على كرسى المملكة الرومية :

ثم أن السلطان الملك الظاهر رحل من مكان المعركة يوم السبت حادى عشر الشهر ونزل قريب الكهف والرّقيم ، وعبر على خان قرطاى ، وهو خان مبنيّ

(١) « السلطان » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٣ ب .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٢ ب ، ٨٤ أ .

بالجحر الأحمر ، وله مغلات متسعة ودواوين متفرقة ومجتمعة ، ونزل بالقرب من عسيب (١) ، وهى التى يقول فيها امرئ القيس بن حجر الكندى :

أجارتنا (٢) إن الخطوب تنوب ... وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هٰهنا (٣) ... وكل غريب للغريب نسيب

وهو مدفون هناك (٤) .

ولما وصل إلى وطاق (٥) كيخسرو خرج أهل قيسارية كافة لتلقيه ، وكان دهليز السلطان غياث الدين مضروبا هناك ، فنزله .

وأقام على قيسارية سبعة أيام ينتظر حضور البرواناه إليه ليقرر معه قاعدة ينتظم بها مصالح الإسلام بتلك البلاد ، وتجرى بها أمورهم على السداد ، وأرسل إليه مملوكا له ، كان قد حصل فى الأسر مع ولده ، وكتب إليه كتابا على يده يحثه على الحضور ، ويوضح له ما يترتب على حضوره من مصالح أمر الجمهور ، فأبى إلا النفار لما جرت به من دنو أجله الأقدار ، فلما أيس

(١) عسيب : بفتح أوله وكسر ثانيه ، وواضح من النص أنها بآسيا الصغرى — أما عسيب التى وردت فى شعر امرئ القيس فيرى ياقوت أنها جبل بعالية نجد ، وأنه كان يقال : لا أفعل ذلك ماأقام عسيب ، ثم استشهد بالبيتين التاليين — معجم البلدان .

(٢) « أجيرتنا » فى الروض الزاهر ص ٤٦٥ .

(٣) « أجيرتنا إنا مقيان هاهنا » فى الروض الزاهر ص ٤٦٥ .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٤ أ .

(٥) « وطأة » فى زبدة الفكرة .

السلطان من أمره رحل عن قيسارية عائداً ، ورتب فيها سيف الدين جاليش نائبا ، وكتب إلى أولاد قرمان يحرضهم على الحضور ، وركب يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة وعلى رأسه الجتر (١) ، وشاهد الناس منه صاحب القبة والسبع (٢) ، وخطب له فى جوامع قيسارية وهى سبعة ، وقيل فى ذلك أبيات :

وما كان هذا التخت (٣) من حين نصبه ... لغير المليك الظاهر البدر يصلح
مليك على اسم الله ما فتحت له ... صوارمه البيض المواضى ويفتح (٤)
أتته وفود الروم والكل قائل ... رأيناك تعفو عن كثير وتصفح
فأوسعهم حلماً ، وأولاهم ندى ... فأمسوا على أمن ومن فأصبحوا (٥)

[٦١٢]

وقال الأمير ناصر الدين محمد بن الحلى من أبيات فى وقعة أبلستين :

عزمنا على اسم الله والله ربنا ... نروم العدى قهراً بكل مضمر
نروم بنى قافان جمعاً لأنهم ... بغوا وطغوا عن قسوة وتجبر
لنا فيهم الثارات تارات من مضى ... جدود لنا فاقوا بأطيب عنصر

(١) « ونصب جتر بنى سلجوق على رأسه » — السلوك جـ ١ ص ٦٣٢ هامش (١) .

(٢) « وهى تخت بنى سلجوق بجلوسه » — السلوك جـ ١ ص ٦٣٢ هامش (١) ؛ انظر أيضا الروض الزاهر ص ٤٦٦ .

(٣) « الندب » فى الروض الزاهر ص ٤٦٦ ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٤ ب .

(٤) « وتفتح » فى الروض الزاهر ، زبدة الفكرة .

(٥) « وأمسوا على من وأمن وأصبحوا » فى الروض الزاهر .

ونحنُ جلبنا الخيلَ فى كل غارةٍ إلى مُعْلِهـا والروم فاسأل تُخبَرِ
مع الفارس الكرار فى حومة الوغا أبى الفتح بيبرس الهمام الغَضَنْفَرِ
عليـه سلام الله منى تحيَّـةً إلى أنْ الاقى الله فى يوم مَحْشَرِ (١)

ذكر نزول السُّلطان بمَرج حَارِم :

لما رحل السلطان من قيسارِيَّة فى التاريخ المذكور آنفا نزل فى صحراء قراجا قريب بَازَارْيُكُو (٢) ، ثم رحل منها إلى أن انتهى إلى مرج حارم وصحبته علاء الدين على بن البَرْواناه ، ومن أخذ من الروم أسيراً ، ومن جاء بالطاعة مستجيرا .

وأقام السلطان على مَرْج حارم شهرا ، وقد ربَعَتْ خُيولُ العساكر فى المروج وأخذت الأعُين حقها من منظرها البَهِيج (٣) ، واستراحت العساكر هناك وهم آمِنُون سالمون وعلى أعدائهم منصورون مؤيَّدُون .

ذكر مجىء أبغا إلى موضع المعركة :

ولما بلغ خبر هذه الوقعة إلى أبْغا بن هلاون ملك التتار ، وتحقق عنده ما حلَّ بعسكره من الكسرة ، نهض وجاءَ حتى شاهد بنفسه مكان المعركة ومَنْ فيها من

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٤ ب

(٢) « بازار بلو » فى الروض الزاهر ص ٤٦٩ .

« وهذا البازار هو الذى كانت الخلائق تجتمع إليـه من أقطار الأرض ، ويباع فيه كل شىء يجلب من الأقاليم » — الروض الزاهر ص ٤٦٩

(٣) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٤ ب .

قَتلى المغول ، فأعظم ذلك وحنق على البَرْواناه ، إذْ لم يعلمْهُ بجليةِ الحال ، وأضمر ذلك في نفسه ، ثم جاء إليه البَرْواناه وتلقاه ، وسار في خدمته ، واتفق في ذلك الوقت أن أيبك الشيخ قفز من عسكر السلطان وتوجَّه إلى أبغا ، لأن السلطان كان قد ضربه ، فوجد في نفسه من ذلك ، وحضر عنده ، وأطلعه على أمر البَرْواناه ، وأنه كان الباعث للملك الظاهر على الحضور إلى بلاد الروم بتكرار كتبه وتواتر رسله ، فازداد غيظ أبغا عليه ولا سيَّما لما شاهد قتلى [٦١٣] المغول الأكابر ، وأن القتلى جميعا من عسكر التتار وليس فيهم أحد من الروميِّين ، وتحقق عنده مخامرة البَرْوَاناة وتخاذل عسكر الروم ، فعند ذلك أمر بنَهْب بلاد الروم من قيسارية إلى أرزنجان ، وقتل المسلمين الذين بها ، فتفرقت عساكره تنهب وتقتل ، وقتلوا من المسلمين خلقا لا يُحْصَون كثرةً ، وكان من جملة من قتل القاضي جلال الدين بن الحبيب ، ولم يتعرضوا إلى نصارى البلاد ، وامتدت غاراتهم مسافة سبعة أيام .

ووكل أبغا بالبَرْواناه من حيث لم يظهر ذلك له ، واستصحب معه السلطان غياث الدين ، والصاحب بن خواجا على ، ورجع ، فلما عبر على قلعة كغونية أمر أبغا البَرْواناه أن يسلّمها إلى نوابه ، فنادى البرواناه نائبه الذى بها ليُسَلِّمَها إلى أبغا ، فأبى وامتنع بهـا ، فرحل أبْغا وسار إلى أرزنجان(١) فاشتراها له ملكا واعتدَّ بثمنها عن الإتاوة المقرَّرة له على بلاد الروم ، وسار إلى قلعة كَمَاخ فأمر

(١) « أرزنكان » في زبدة الفكرة .

البرواناه أن يخرجوا إلى خدمة أبغا ، فأبوا وقالوا : نحن تحت طاعة القان إذا رحل عنا خرجنا ، فإنا نخاف سطوته ؛ فطلع إليها الصاحب شمس الدين الجُوَيني وأعرض حواصلها ، وحمل ما بها من القماش والمال لأبغا ، وساق إليه ما كان فيها من الخيل .

ثم سار إلى قلعة بابِرْت ، فخرج إليه شيخ منها وقال : أريد من القان الأمان لأتكلم بين يديه كلمتين فقال : قل ولك الأمان . قال : يا ملك البسيطة عدوك حضر إلى بلادك وما تعرض للرعيّة ولا أسال لهم محجمة دم ، وأنت قصدت العدُوّ وجئت في طلبه ، فلما فاتك أنخت على رعيتك ، فقتلتهم ونَهَبْتَ بلادهم وخرّبتها ، فمن هو من الخانات الذين تقدّموا من أسلافك مَنْ هذه السُّنة واعتمد هذه الياساق ، فاغتاظ أبغا لذلك وعطف على الأمراء الذين أشاروا عليه بنهب البلاد ، فأهانهم ، وأطلق كلّ من كان قد أخذ أسيرًا ، فكانت عدّتهم أربعمائة [٦١٤] ألف نفر ، وسار إلى الأُرْدُو(١) ، وقتل البَرْواناه .

ذكر مقتل البَرْوَاناه :

واسمه سليمان(٢) بن علي بن محمد بن حسن ، ولُقبه علاء الدين البَرْواناه ، ومعناه الحاجب بالعجمي .

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٥ أ ، ب .

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٧١ رقم ١٧٨ ، السلوك جـ ١ ص ٦٢١ وما بعدها ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٢ ، العبر جـ ٥ ص ٣١٠ .

وكان رجلا شجاعا ، حازما ، كريما ، جوادا ، عارفا بتدبير المملكة ، ذا مكر ودُهاء .

وذكر في بعض التواريخ : أن أصله من الديلم ، وأن أباه كان يلقب بمهذّب الدين ، وكان رجلا جميلا وسيماً من طلبة العلم ، وكان حضر إلى سَعْد الدين المستوفي بالروم في أيام السلطان علاء الدين كيقباذ ، فسأله أن يجري عليه شيئا من بعض المدارس ليقتات به فيكون درهما كل يوم ، فمال إليه المستوفي لما رأى من حسْن سَمْته وسَمْتِه فقال له : أريد أن أُصَيِّرك مني مكان الولد وأجودُ لك بما أجد ، ثم قرّبه وأدناه وأحبّه ، وزوّجه ابنته ، واتفق وفاة المستوفي بعد ذلك ، فوُصِفَ مهذّب الدين للسلطان علاء الدين كيقباذ بالفضيلة والمعرفة والكفاية والأهلية للمناصب ، فرشحه لوزارته وألقى إليه مقاليد دولته ، فرزق مهذّب الدين معين الدين سليمان الملقب بالبَرْواناه ، ثم آل أمرُ البَرْواناه إلى أن هلاون لما أخذ بلاد الروم قال للسلطان ركن الدين : مَنِ الآن يصلح للتردد في الأشغال ؟ قال : ما يصلح أحد لذلك سوى البرواناه ، فترقت منزلته من ذلك اليوم حتى صار فيما بعد حاكما على ممالك الروم إلى أن جرى عليه ما نذكره الآن من أبغا ملك التتار .

وهو أن أبغا لما توجه من الروم إلى الأُرْدُو ، وأخذ معه البَرْواناه كما ذكرناه ، استشار الأمراءَ في أمره ، فقوم أشاروا عليه بقتله ، وقوم أشاروا بإبقائه وإعادته إلى البلاد ليحفظ نظامها ويحمل خراجها ، فترجح عنده إبقاؤه فأطلقه من التوكيل على أنه يعود ، فسمع نساء أمراء المغول الذين قتلوا في المعركة كزوجة تُوقُو وتُدَاوُون وغيرهما أن أبغا رسم بإطلاقهما لبَرْواناه ، فاجتمعن [٦١٥] جميعا

عصر النهار، وأقمن مأتماً وصِحْن ونُحْنَ، فسمع أبغا ضجيجهن فقال : ما هذا؟ فقيل له : إن الخواتين سمعن بأن أبغا قد خلَّى سبيلَ البَرْوَاناه وأطلق سراحه ليعود إلى الروم سالماً، فبكين وأعولن على أزواجهن، فأمر أبغا لأمير من الأمراء الذين يُشَتُّون ببلاد سيس اسمه كُوبَجَا بهادر (١) أن يأخذ معه مائتي فارس ويسير بالبَرْواناه إلى موضع عَيَّنَهُ له فيقتله، فاستدعى كوبجا بهادر البَرْواناه وقال له : إن أبغا يُريد يركب ورسم لك أن تركب أنت وأصحابك معه، فركب هو ومعه اثنان وثلاثون نفسا من مماليكه وألزامه، فتوجه معه، فأخذ به نحو البر، فعلم أن ذلك الأمر لاخير له فيه، فأحاط به وبأصحابه التتار كما يحيط بالزند السوار، وكتَّفوا أصحابه، فسأل أن يمهلوه رَيْثما يتوضأُ ويصلي، فأمهلوه، فلما فرغ من صلاته قتلوه ومَن معه .

وكان أبغا نازلا بمقام الأطاغ، ولما سمع مماليك البَرواناه بقتله وهم : علم الدين سنجر البَرْوَانىّ، وبدر الدين بكتوت أميرآخور، فاجتمعا ومن معهم من كبارهم فى مخيمهم وأَوْتَرُوا قِسيَّهم، ونكَّبُوا نشابهم بين أيديهم وقالوا : ما نموت إلا مقاتلين، فاضطر الذين نُدبوا إلى قتالهم إلى أن شاوروا أبغا، فلما شاوروه على ذلك استحسن هذا الأمر منهم، وقال : هؤلاء مماليك نافعون، نخلُّوا عنهم، فأطلقوا سبيلَهم وأُعطوا دستورا إلى بلادهم .

---

(١) « كركجي » فى زبدة الفكرة .

وكان مقتل البرواناه فى آخر ذى الحجة[1] من سنة خمس وسبعين وستمائة[2] .

وقال ابن كثير : وكان مقتله فى العشر الأول من محرم سنة ست وسبعين وستمائة[3] .

وقال النويرى : وكان مقتله على منزل الأَطَاغ ، وقتل معه نيف وثلاثون نفسا من مماليكه وخواصه .

وقال بيبرس فى تاريخه : وكان مقتل البَرْوَاناه فى آخر صفر من سنة ست[4] وسبعين وستمائة[5] .

ذكر رحيل السلطان الملك الظاهر الى ناحية دمشق :

قد [٦١٦] ذكرنا أن السلطان قد أقام فى مرج حارم شهرا لإراحة عساكره وتربيع خيولهم ، ثم رحل عند انقضاء هذه السنة ، أعنى سنة خمس وسبعين وستمائة إلى دمشق ، ودخلها فى خامس المحرم من سنة ست وسبعين وستمائة على ما نذكره إن شاء الله .

---

(١) « فى آخر صفر » فى زبد الفكرة .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٥ب ، ٨٦ أ .

(٣) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٤ ،

(٤) « خمس » فى زبدة الفكرة

(٥) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ أ .

وفيها : جهز يعقوب المرينى إلى محمد بن الأحمر نجدة من بنى مرين صحبة محمد وعامر ابنى إدريس ، فانجدوه على الفرنج واتفقوا معهم على شريش مدينة من مدائن الأندلس ، فهزموهم هزيمة عظيمة ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأرسل إلى يعقوب يشكره ويثنى عليه على إنجاده له وإمداده إياه .

وفيها : « ... ... »[1] .

وفيها : حج بالناس « ... ... »[2] .

(١) ، (٢) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الشيخ أبو الفضل عيسى(١) بن الشيخ عبد الله بن عبد الخالق الدمشقى .

مات فى هذه السنة ، ودفن بالقرب من الشيخ رسلان ، وكان مولده سنة أربع وستين وخمسمائة .

الشيخ المحدّث شمس الدين أبو العباس أحمد(٢) بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر الموصلى ، ثم الدمشقىّ الصوفىّ .

سمع الكثير ، وكتب الكتب الكبار بخط رفيع جيّد واضح ، وجاوز السبعين ، مات فى هذه السنة ، ودفن بباب الفراديس ، رحمه الله .

الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد(٣) بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيبانى التلّعفرى(٤) .

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب ، الوافى جـ ٥ ص ٢٥٥ رقم ٢٣٣٧ ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ٦٢ رقم ٥٠٥ ، السلوك جـ ١ ص ٦٣٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٦ وما بعدها .

(٤) التلعفرى : نسبة إلى تل يعفر المعروف أيضا باسم تل أعفر ، قلعة بين سنجار والموصل ، واسم بلدة من نواحى الجزيرة — معجم البلدان .

صاحب ديوان الشعر، جاوز الثمانين، وكانت وفاته بحماة في هذه السنة، وكان الشعراء معترفين بفضيلته وتقدمه في هذا الفن.

القاضي شمس الدين على بن محمود بن على بن عاصم الشهرزوري، ثم الدمشقي.(١)

مدرس القيمرية(٢)، شرط واقفها له ولذريته من بعده، وقد سافر مع ابن العديم إلى بغداد، فسمع بها، مات في هذه السنة، ودفن في مقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح.

الشيخ الصالح العالم الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله(٣) بن جماعة بن على ابن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الحموي.

له معرفة بالفقه [٦١٧] والحديث، ولد سنة ست وتسعين بحماة، وكانت وفاته بالقدس الشريف، ودفن بماملا، وسمع من الفخر بن عساكر، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة(٤).

---

(١) وله أيضا ترجمة في: المنهل الصافي، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥٧، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢.

(٢) المدرسة القيمرية بدمشق: أنشأها الأمير حسين بن على القيمري، ناصر الدين، المتوفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م — الدارس جـ ١ ص ٤٤١.

(٣) وله أيضا ترجمة في: المنهل الصافي جـ ١ ص ٦٤ رقم ٢٧، الوافي جـ ٥ ص ٣٠٢ رقم ٢٤٢٩، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٨ ص ١١٥، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٣، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥١، درة الأسلاك ص ٥٣، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٦٩ — ٧٠.

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، بدر الدين، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م — المنهل الصافي.

الشيخ الصالح جندل(١) بن محمد المنينى .

كانت له عبادة وزهد، وكان الناس يترددون لزيارته بمنين، وكان من أهل الطريق، وعلماء التحقيق، وتوفى فى رمضان من هذه السنة وعمره خمس وتسعون سنة، ودفن فى زاويته المشهورة به بقرية منين(٢)، رحمه الله .

محمد(٣) بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن الفُوَيْرة السُلمى الحنفى .

اشتغل على الصدر سليمان، وابن عطاء، وفى النحو على ابن مالك، وحصَّل، وبرع، ونظم، ونثر، ودرَّس بالشبلية(٤)، والقصّاعين(٥)، وطلب لنيابة القضاء فامتنع، وكتب الكتابة المنسوبة، رآه بعض أصحابه فى المنام بعد وفاته فقال: ما فعل الله بك ؟

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى، وفيه توفى سنة ٦٥٧ هـ — ولعله تحريف، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٧، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧١ .

(٢) منين : بالفتح ثم الكسر ثم ياء مثناة، ونون أخرى، وله معان كثيرة، والمقصود هنا : قرية فى جبل سنير من أعمال دمشق — معجم البلدان .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥٣، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٧، السلوك جـ ١ ص ٦٣٤، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٣، العبر جـ ٥ ص ٣٠٦، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٤ .

(٤) المدرسة الشبلية بدمشق : بسفح قاسيون، أنشأها شبل الدولة كافور الحسامى الرومى المتوفى سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م — الدارس جـ ١ ص ٥٣٠، خطط الشام جـ ٦ ص ٩٣ .

(٥) مدرسة القصاعين بدمشق — المدرسة القصاعية : بحارة القصاعين، أنشأتها فاطمة بنت الأمير كوكبا سنة ٥٩٣ هـ / ١١٩٦ م — الدارس جـ ١ ص ٥٦٥ .

فأنشأ يقول :

ماكان لى من شافع عنده غير اعتقادى أنه واحدُ

وكانت وفاته فى جمادى [الآخرة][1] منها ، ودفن بظاهر دمشق .

محمد[2] بن عبد الوهاب بن منصور بن شمس الدين أبو عبد الله الحرانى الحنبلى .

تلميذ الشيخ مجد الدين بن تيمية[3] ، وهو أول من حكم بالديار المصرية من الحنابلة نيابة عن القاضى تاج الدين بن بنت الأعز ، ثم لما ولى شمس الدين ابن العماد القضاء مستقلا استنابه ، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشتغل ويفتى ويناظر إلى أن توفى وقد نيف على الستين .

الشيخ رشيد الدين أبو محمد عبد الله[4] بن نصر بن سعيد القوصى النحوى .

توفى فيها بمصر ، وكان متصدرا لإقراء العربية ، رحمه الله .

الشيخ أبو المعالى أحمد[5] بن أبى العباس بن عصرون التميمى الشافعى .

---

(١) [ ] إضافة للتوضيح من البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٣ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الوافى جـ ٤ ص ٧٥ رقم ١٥٣٢ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٢٨ رقم ٤٧٨ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٤ .

(٣) هو عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد الحرانى الحنبلى ، مجد الدين بن تيمية شيخ الإسلام ، أبو البركات ، المتوفى سنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م — المنهل الصافى .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧١ .

(٥) هو أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبى سعد بن أبى عصرون التميمى الشافعى .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٣٧ رقم ١٨٥ ، الوافى جـ ٧ ص ٦٠ رقم ٢٩٩٥ ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٠ ، السلوك جـ ١ ص ٦٣٤ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٢ .

وبيته مشهور بالعلم والتقدم ، توفى فى هذه السنة بحلب(١) .

الفاضى الفقيه أبو إسحاق إبراهيم(٢) بن محمد بن على البوشى المالكى .

وكان صالحا ، تولى قضاء الإسكندرية ، وتوفى فى هذه السنة بمصر ، رحمه الله .

الشيخ [٦١٨] نجيب الدين أبو الفضل محمد(٣) بن على بن الحسين بن حمزة الخلاطى .

تولى الإعادة بالمدرسة السرورية بالقاهرة ، وذكر أنه شرح الوجيز فى عدة مجلدات ، وتوفى فيها بالقاهرة .

الأمير أبو عبد الله محمد(٤) بن الأمير أبى زكريا يحيى بن أبى محمد عبد الواحد ابن أبى حفص عمر صاحب تونس .

مات فى هذه السنة .

الأمير الطواشى يمن(٥) الحبشى ، شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوى .

توفى فى هذه السنة ، وكان دينا عادلا ، صادق اللهجة ، وكان فى عشر السبعين ، رحمه الله .

---

(١) ورد فى المنهل الصافى أنه توفى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م ، بينما اتفقت مصادر الترجمة على أنه توفى فى هذه السنة (٦٧٥ هـ) .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٩ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٦ ب ، الوافى جـ ٥ ص ٢٠٢ رقم ٢٢٦٤ ، السلوك جـ ١ ص ٦٣٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٤٩ ، العبر جـ ٥ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٧٩ .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٢ .

فصلٌ فيما وقع من الحوادث

في السنة السّادسة والسّبعين بعد السّتمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله .

والسلطان الملك الظاهر قد دخل دمشق بعد رجوعه من بلاد الروم وكسره التتار على الأُبُلُسْتَين ، و إقامته بعد ذلك على مرج حَارم شهرا كما ذكرنا ، في اليوم الخامس (١) من محرم هذه السنة ، فنزل بالقصر الأبلق الذى بناه غربىّ دمشق بين الميادين الخُضْر ، وتواترت الأخبار بأن أبْغا بن هلاون قد عزم على قصد بلاد الشام ، فأمر عند ذلك بجمع الأمراء وضرب الدهليز منشورا ، ثم جاء الخبر بأنّ أَبْغَا عاد إلى بلاده ، فرسم بردّ الدهليز ، وأقام في القصر الأبلق يجتمع عنده الأمراءُ ، والدولة في أسرّ حال ، معتقدا أن الدنيا قد حصلت في يده ، والأقدار تخدمه في بلوغ مقصده ، و إذا بالعافية قد شمَّرت الذيل ، والصِحَّةُ قد انجابت كما ينجاب ضوءُ النهار من سُدْفة الليل ، وأمرُ الله قد أدركه فلم تغن الحيلة ولا الحيل .

ذكر وفاة السُلطان الملك الظاهر أبو الفتح الأسد الضّارى رُكن الدّين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى :

تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، والكلام فيه على أنواع :

(*) يوافق أولها الجمعة ٤ يونية ١٢٧٧ م .

(١) « السابع » في الأصل ، والتصحيح من الروض الزاهر ص ٤٢٧ ، السلوك جـ ١ ص ٦٧٥ ، وما سبق ص ١٦٧ .

الأول في ترجمته[1] : هو بيبرس بن عبد الله، قفجاقي [٦١٩] الجنس، وقيل هو من برج أغلى قبيلة من الترك، حضر هو ومملوك آخر مع تاجر إلى مدينة حماة، فاستحضرهما الملك المنصور محمد صاحب حماة يشتريهما فلم يعجبه أحد منهما، وكان أيدكين البندقداري الصالحي مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل صاحب مصر قد غضب عليه الصالح المذكور، وكان قد توجه أيدكين المذكور إلى جهة حماة، فأرسل الملك الصالح من يقبض عليه واعتقاله بقلعة حماة، فتركه المنصور صاحب حماة في جامع قلعة حماة، واتفق ذلك عند حضور الملك الظاهر صحبة التاجر، فلما قلبه المنصور صاحب حماة فلم يشتره أرسل أيدكين البندقدار وهو معتقل، فاشتراه ليخدمه، وبقي عنده، ثم أفرج الملك الصالح عن أيدكين البندقدار، فسار من حماة وصحبته الملك الظاهر، وبقي مع أستاذه المذكور مدة، ثم أخذه الملك الصالح نجم الدين أيوب من أيدكين المذكور، فانتسب الملك الظاهر إلى الملك الصالح دون أستاذه، وكان يخطب له، وينقش على الدنانير والدراهم بيبرس الصالحي .

الثاني في صفته : كان الملك الظاهر أسمر، أزرق العينين، جهوري الصوت، عليه مهابة وجلالة، وكان إلى الطول أقرب .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ٣ ص ٤٤٧ رقم ٧١٧، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٩٤ — ٢٠٠، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٠، كنز الدرر جـ ٨ ص ٤٩ وما بعدها، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٨١ وما بعدها .

الثالث في سيرته : كان شهما ، شجاعا ، سخيًّا ، عالى الهمّة ، بعيد الغور ، مقداما ، جسورًا ، مُعْتنياً بأمر السلطنة ، متحلّيا بها ، له قصد صالح في نصرة الإسلام وأهله ، وإقامة شعائر الملك .

وفي تاريخ النويري : وكان ملكا جليلا ، شجاعا ، مهيبا ، حسن السياسة ، كثير التحيُّل ، وكان عسوفا جبّارا ، كثير المصادرات للرعية والدواوين خصوصا لأهل دمشق ، وكان مُتنبِّها ، شهما ، لا يفتر ليلا ولا نهارا عن مناجزة الأعداء ونصرة الإسلام ، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه ، وكذلك جيشه .

وقد جمع له كاتبه محيي الدين بن عبد الظاهر سيرة مطوّلة [1] ، وكذلك ابن شداد أيضا [2] ، وهو الذي أنشأ [٦٢٠] الدولة العباسيّة بعد بقاء الناس بلا خليفة نحوا من ثلاث سنين ، وهو الذي جدّد من كل مذهب قاضي قضاة مستقلا من غير مشاركة .

الرابع في فتوحاته : فتح في أيامه فتوحات كثيرة وهي : قيسارية التي على على الساحل ، وأَرْسُوف ، ويافا ، والشقيف ، وأنطاكية ، وبُغْراس ، وطبريّة ، والقُصَير ، وحصن الأكراد ، وحصن عُكّار ، وحصن عكا ، والقُرَيْن ، وصافيثا ،

---

(١) هي « الروض الزاهرة في سيرة الملك الظاهر » — حققها ونشرها عبد العزيز الخويطر — الرياض ١٩٧٦ .

(٢) هي « الملك الظاهر بيبرس » — مخطوط بادرنه — المسجد السليماني رقم ٢٣٠٦ ، والتي كتبها محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد ، الشيخ عز الدين ، والمتوفى سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م — انظر ما يلي في وفيات سنة ٦٨٤هـ

وغير ذلك من الحصون المنيعة التي بأيدي الفرنج ، ولم يُبْقِ مع الإسماعيلية شيئاً من الحصون ، وناصَفَ الفرنج على : المرقب ، وبلنياس ، وبلاد انطرسوس ، وسائر ما بقى بأيديهم من البلاد والحصون ، وأخذ قيسارية الروم على ما ذكرنا ، وخطب له فيها ، واستعاد (١) من صاحب سيس بلادا كثيرة ، واستردَّ أيضا من المتغلِّبين من المسلمين : بعلبك ، وبُصْرى ، وصرخد ، وعجلون ، وحمص ، والصلت ، وتدمر ، والرحبة ، وتلّ باشر ، والكرك ، والشوبك ، وأخذ بلادا كثيرةً من التتار منها : البيرة ، وغيرها ، وفتح بلاد النوبة بكمالها ، واتسعت مملكته من الفُرات إلى أقصى بلاد النوبة .

وقال النويري : وأول فتوحاته قيساريّة الشام بالسواحل ، وآخر فتوحاته قيساريّة الروم ، وأما عدّة فتوحاته فكانت تزيد على أربعين حصناً ، وكان بيده بمصر والشام سنة وأربعون قلعة (٢) .

الخامسُ في عمائره : قال ابن كثير : وعمر شيئاً كثيرا من الحصون ، والمعاقل ، والجسور ، والقناطر على الأنهار في بلاد الشام ومصر (٣) ، وبنى بقلعة الجبل دار الذهب ، وبنى قبةً على إثنى عشر عمودا مُلَوَّنةً مُذهبةً ، وصوَّر فيها صُوَر خاصكيته وأشكالهم ، وحفر أنهارا كبارا (٤) وخلجانات ببلاد مصر منها :

---

(١) « واستعد » في الأصل .

(٢) عن غزوات السلطان وفتوحاته انظر نهاية الأرب مخطوط جـ ٢٨ ورقة ١٦٠ — ٢٦٦ .

(٣) « على الأنهار الكبار » في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٥ .

(٤) « أنهار كثيرة » في البداية والنهاية .

بحر السردوس (١) ، وبنى جوامع كثيرة ومشاهد عديدة (٢) ، وجدد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أحرق (٣) ، ووضع الدرابزينات [٦٢١] حول الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وعمل فيه منبرا وسقفه بالذهب ، وجدد المارستان (٤) بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد فى رواتبه وما يصرف إلى المقيمين ، وبنى على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبلى أريحا (٥) ، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة (٦) ، ورمم شعث الصخرة وغيرها ، وبنى خانا هائلا بالقدس ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين [من مصر] (٧) ، وعمل فيه طاحونا وفرنا وبستانا ، وجعل للواردين أشياء تصرف إليهم نفقة وإصلاح الأمتعة ، وبنى على قبر أبى عبيدة رضى الله عنه بالقرب من عمتنا مشهدا وأوقف عليه شيئا للواردين ، وجدد جسر فامية (٨) ، وجدد عمارة (٩) جعفر الطيار رضى الله عنه بالكرك ، وأوقف على الزائرين شيئا [كثيرا] (١٠) ، وجدد

(١) « نهر السرداس » فى البداية والنهاية .

(٢) « ومساجد عديدة » فى البداية والنهاية .

(٣) « احترق » فى البداية والنهاية .

(٤) « زاويته » فى البداية والنهاية ، وهو تحريف .

(٥) « ريحا » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٦) « سقف » فى البداية والنهاية .

(٧) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٨) « دامية » فى البداية والنهاية .

(٩) « وجدد قبر » فى البداية والنهاية .

(١٠) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

قلعة صفد[1] وجامعها ، وجدّد جامع الرملة وغـيرها فى كثير من البلاد التى كانت الفرنج قـد عدت عليها[2] ، وبنى بحلب دارا هائلة ، وبدمشق : القصر الأبلق ، والمدرسة الظاهرية[3] قبالة العادلية ، وبنى بالقاهرة أيضا : المدرسة الظاهرية[4] ، وبنى جامعا هائلا بالحسينية[5] ، وله من الآثار والأماكن ما لم يبن فى زمن الخلفاء وبنى أيوب[6] .

السادس فى وفاته : قال بيبرس — رحمه الله — : وكان القمر قد كسف كسوفا كاملا أظلم له الجو ، وتأول ذلك المتأولون بموت رجل جليل القدر نبيه الذكر ، فقيل : إن السلطان لما بلغه هـذا الإرجاف حذر على نفسه وخاف ، وقصد أن يصرف[7] التأويل إلى غيره لعله يسلم من شره ، وكان بدمشق رجل من أولاد الملوك الأيوبيـة يسمّى الملك القاهر « بهـاء الدين عبد المـلك من ولد المـلك الناصر داود بن المـلك المعظم عيسى بن السلطان المـلك العادل أبى بكر ابن نجم الدين أيوب ، وكان يسكن البرّ ، وتزوج من العرب ، وأقام بينهم ، يسير

---

(١) « صفت » فى البداية والنهاية ، وهو تحريف .

(٢) « التى كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها » — البداية والنهاية .

(٣) « المدرسة ، الظاهرية وغيرها » فى البداية والنهاية .

(٤) وعن المـدرسة الظاهرية بالقاهرة : بخط بين القصرين — انظر المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

(٥) عن جامع الظاهر بالحسينية بالقاهرة : انظر المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ .

(٦) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٥ — ٢٨٦ .

(٧) « يخص » فى زبدة الفكرة .

معهم حيث ما ساروا، وإذا غزوا غزا معهم، لخضر من الغزاة إلى دمشق»[(١)]، فأراد على ما قيل اغتياله، فأحضره فى مجلس شرابه، فأمر الساقىَ أن يَسْقِيه [٦٢٢] كأسَ قد كان مَمْزُوجاً فيما يُقال بسُمّ، فسقاه السّاقى ذلك الكأسَ، فأحسّ منه بالباس، لخرج من المقام وعلقت به مخاليبُ الحمام، وغلط الساقى لإصابة المقدور، وملأً على أثره الكأس المذكور وأداره، والدائراتُ تدور، فوقع فى نوبة السلطان، فشربه ولم يشعر حتى أحسّ بالنيران، فكتم أمره عن الأطبّاء، وأخفى حاله عن الأحبّاء، ومكث أياماً يشكو الليل والنهار من توقُّد وهج النار، ثم اضطر إلى اطلاع الطبيب بعد استحكام دائه، طمعا فى دوائه، فلم ينجع العلاج، ولا نهضت قدرة الإساءة لإصلاح المزاج[(٢)].

وأما القاهر فإنه حمل إلى منزله وهو مغلوب، فمات من ليلته ليلة السبت خامس عشر المحرم من هذه السنة.

وتمرض السلطان بعده أياما حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد صلاة الظهر السابع والعشرين[(٣)] من المحرم بالقصر الأبلق، فكان ذلك يوما عظيما على الأمراء.

وقال بيبرس فى تاريخه: توفى فى اليوم المذكور وقت الزوال، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيدمر وكبار الأمراء والدولة، فصلوا عليه سراً، وجعلوه فى تابوت، ورفعوه إلى القلعة فى بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته تجاه

(١) « » ساقط من زبدة الفكرة فى هذا الموضع ، ثم وردت بعض الجمل بعد ذلك مما أدى إلى اضطراب النص فى زبدة الفكرة .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٧ أ ، ب .

(٣) « فى ثامن عشرين المحرم » — الجوهر الثمين ص ٢٨٣ .

العادلية الكبيرة ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة، وكتم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى كان العشر الأخير من ربيع الأول ، وجاءت البيعة للملك السعيد من مصر ، فحزن الناس عليه وترحموا ، وكان يوماً شديدا على الناس (١) ، وجددت البيعة ، وجاء تقليد النيابة مجددا لعز الدين أيدمر .

وقال بيبرس : فكتم الأمير بدر الدين بيليك الخزندار نائبه موته عن العساكر ، وأظهر أنه مستمر المرض ، ورتب حضور الأطباء وعمل الأدوية والأشربة على العادة ، وحمل جسده إلى قلعة دمشق ، فبقى فيها مصبرًا إلى أن بنيت له التربة المذكورة (٢) ، ثم إن الأمير بدر الدين الخزندار رحل بالعساكر المنصورة [والخزائن مصونة موفورة ، والأطلاب مرتبة منتظمة] (٣) والمحفة محمولة فى الموكب [محترمة] (٤) كأن السلطان فيها مريض ولا يجسر أحد يتفوه [٦٢٣] بموته ، [إلا أن الظنون ترجمت ، والأفكار فى أمره تقسمت ، وغلب الناس أمر وفاته على مرضه وحياته ، ولم تزل الحال مرتبة فى النزول والترحال إلى أن وصلوا إلى القاهرة المحروسة ، وحصلت الخزائن ، والبيوتات والخيول والاسطبلات فى قلعة الجبل] (٥) فأشيع مماته ، وأظهرت للناس وفاته ، واستقر ولده الملك السعيد مكانه (٦) .

---

(١) لم يرد هذا النص فى نسخة زبدة الفكرة التى بين أيدينا ، ولكن توجد بعض عبارات هذا النص فيما أورده ابن كثير — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٥ .

(٢) « المعروفة به بدمشق ، فنقل إليها فيما بعد » — زبدة الفكرة .

(٣) ، (٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) [ ] إضافة من زبدة الفكرة ، ويوجد بدلا منها فى الأصل « فوصلوا إلى القاهرة » .

(٦) « وجلس ولده السعيد » فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٧ ب .

وقال المؤيد في تاريخه : وفي سنة ستّ وسبعين يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم توفي السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي بدمشق ، وقت الزوال ، عقيب وصوله من جهة بلاد الروم إلى دمشق ، وقد ذكرنا أنه دخل دمشق في اليوم الخامس[1] من محرم هذه السنة ، ومات في السابع والعشرين منه ، فتكون مدة إقامته بدمشق من بعد دخوله ثلاثة وعشرين يوما .

السابع في مدّة سلطنته[2] : قال بيبرس : مدة مملكته ثمانية عشرة سنة وشهرين [وعشرة أيام][3] .

وقال النويري : وكانت مدّة الملك الظاهر نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام لأنه ملك في سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وتوفي السابع والعشرين من محرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وكذا قال المؤيد في تاريخه .

الثامن في أولاده وما رُثي به : قال النُويري : وخلّف من الأولاد : الملك السعيد ناصر الدين بركة خان ، ونجم الدين أمير خضر ، وبدر الدين سلامش ، وثلاث بنات[4] .

وقال غيره : خلف من الأولاد عشرةً ، ثلاثة ذكور وهم المذكورون وسبع بنات[5] .

(١) « السابع » في الأصل ، والتصحيح يتفق و باقي العبارة ، وانظر ما سبق ص ١٦٧ ، ص ١٧٤ .

(٢) « ستة » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٧ ب .

(٤) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٧ ب .

(٥) انظر أيضا الجوهر الثمين ص ٢٨٣ .

وما رُثى به ما قاله محيي الدين بن عبد الظاهر يرثى به الملك الظاهر :

أبدًا عليك تحيّةٌ وسلامُ ... يا قبرُ مَنْ خُتِمَتْ به الإسلامُ (١)

يا تُرْبةً لولا الحياءُ من الحيا ... أمسى سجالُ الدمْع فيك سجامُ

يا دمْعُ عينى مثل دمع سحابةٍ ... هيهات بين الدمعتين زِحامُ

فسبقت كل سحابة هطّالةٍ ... يثنى عليها منـدلٌّ وبشامُ

تنهل منك نوالُ ما كنت الذى ... من كفّه فوق السماح يُسامُ

الظاهرُ السلطان من بعُصابه ... هُدَّ الهدى وتضعضع الإسلام

وغدتْ دِمَشْقُ بقبره وحُلوله ... فيها تتيهُ على الوجود شامْ

[٦٢٤]

قبرٌ به تتضاعف الأقسامُ مِنْ ... بركاته وتُوكّد الأقسامُ

قبرٌ به تتوسّلُ الآمالُ فى ... حاجاتها وتُصرَّف الأحكامُ

قبر الذى لو أنصفته قلوبُنا ... ما أصبحت لمسرّة تَسْتامُ

قبر الذى قلعَ القلاع ... سُكّانُها وله الحصون خيامُ

قبر الذى قهر التتار فأصبحوا ... ولهم إذا ناح الحَمامُ حِمامُ (٢)

وقال بيبرس : قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يرثيه أبياتا أوّلُها :

ما مثْلُ هذا الرُزْءِ قلبٌ يحمِلُ ... كلا ولا صبرٌ جميلٌ يجمُلُ

اللهُ أكبر إنها لمصيبةٌ ... منها الرواسى خيفةً تتقلقلُ

---

(١) « الأبيات » فى كنز الدرر جـ ٨ ص ٢١٨ .

(٢) انظر أيضا كنز الدرر جـ ٨ ص ٢١٨ :

ما للرماح تخولتها رعـــدة [ألتركها أن ليس تعقل تعقل](١)

لهفى على الملك الذى كانت به الدنيا تطيب وكل(٢) قفر منزل

الظاهر السلطان من كانت له منن على كل الورى وتطول

لهـــفى على آرائه تلك التى مثل السهام إلى المصالح توصل

لهفى على تلك العزائم كيف قد غفلت وكانت قبل ذا لا تغفل

سهم أصاب وما رئى من قبلة سهم له فى كل قلب مقتل

أنا إن بكيت فإن عذرى واضح ولئن صـــبرت فإننى أتمثل

خلف السعيد لنـــا الشهيـــد فأدمع منهلة فى أوجه تتهلل(٣)

(١) [... ...] بياض بالأصل ، والإضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « فكل » فى زبدة الفكرة .

(٣) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٨ أ .

وانظر نص القصـــيدة فى كنز الدرر جـ ٨ ص ٢١٥ — ٢١٧ ، وانظر أيضا تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٩٠ — ٩٢ ، كما وردت بعض الأبيات فى بدائع الزهور جـ ١ ق ١ ص ٣٣٩ ، وفى هذه المصادر اختلاف فى بعض الألفاظ عما ورد بالمتن .

ذكر سلطنة السلطان الملك السعيد

ناصر الدين بركة خان

استقر في السلطنة بعد وفاة والده الملك الظاهر ، وكان استقراره في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وستمائة ، وذلك أن الأمير بدر الدين بيليك الخزندار لما وصل بالعساكر إلى الديار المصرية ألقى المقاليد إليه ، ووقف بين يديه ، واستمر على مناصحته وطاعته كما كان مع أبيه .

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر صفر خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد .

وفي منتصف ربيع الأول ركب [٦٢٥] السلطان الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه ، وبين يديه الجيش بكماله الشامي والمصري حتى وصل إلى الجبل الأحمر ، وفرح الناس به فرحا شديدا ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبهة الملك ، ورئاسة السلطنة ، واستقر الأمير بدر الدين بيليك الخزندار في نيابة السلطنة على ما كان عليه مع والده ، فلم تطل أيامه ومات بعد ذلك ، كما سنذكره في الوفيات إن شاء الله تعالى .

وتولى عوضه النيابة شمس الدين الفارقاني الظاهري أستاذ الدار ، وكان يباشر نيابة السلطنة بالديار المصرية عند سفر أستاذه إلى البلاد الشامية ، وكان حادا حازما ، فلما استتب له حديث النيابة ، والتقدم على تلك العصابة ، ضم

إليه أقواما كان الملك الظاهر ألزمهم بتبيع نفوسهم له على الكبر ، فلم يمكنهم مخالفته ما أمر ، فاشتراهم زعم من ورثة مواليهم ومن ادعى أن له النظر عليهم ، فكان ممن التف بأصحابه ، وانحاز إلى جنابه شمس الدين أقوش، و(١) قطليجا الرومى وسيف الدين قايج(٢) البغدادى ، وسيف الدين بيجق(٣) البغدادى ، وعلم الدين سنجر طردج ، وأسد الدين قراصقل ، وعز الدين مغان(٤) أمير شكار ، وسيف الدين بكتمر السلحدار ، وأمثالهم(٥) .

ثم أن الملك السعيد مالت به الأهواء وتقلبت به الآراء ، وقدّم الأصاغر على الأكابر ، وأقصى الأكابر بقرب الأصاغر ، وكان يميل إلى أقرانه ومعاصرى أسنانه ، فأمسك الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير بدر الدين بيسرى ، وهما من أكابر الأمراء ، وكانا جناحىْ والده .

فلما قبض عليهما دخل الأمير بدر الدين محمد بن بركه إلى أخته أم الملك ، الملك السعيد ، وقال لها : إن ولدك هذا قد أساء التدبير ، واعتمد أسباب التدمير ، وأمسك مثل هؤلاء ، وعوّل على الصغار الناقصى الآراء ، والمصلحة أن تردّيه إلى الصواب لئلا يفسد نظامه وتقصر أيامه(٦) ، فبلغ السلطان كلام خاله ، فبادر باعتقاله ، فقامت والدته عليه وعنّفته [٦٢٦] على سوء فعله ، حتى أفرج عن الأمراء

(١) « و » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) « قلج » فى السلوك جـ ١ ص ٦٤٣ .

(٣) « بيجر » فى السلوك جـ ١ ص ٦٤٣ .

(٤) « ميغان » فى السلوك جـ ١ ص ٦٤٤ .

(٥) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٨ ب

(٦) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٩ أ ، السلوك جـ ١ ص ٦٤٥ .

المذكورين، وقد تمكنت العداوة فى قلوبهم وسكنت البغضاء فى صدورهم، فاجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم . فقال بعضهم : نخرج إلى الشام ونخلى له البلاد، وقال بعضهم : بل نتحدث معه ونصدُّه عن هذه الفعال الذميمة، فاجتمعوا ليلة الخميس على ذلك، وطلعوا بكرة الخميس إلى القلعة فى مماليكهم وألزامهم ومن انضمَّ إليهم من الأمراء والعسكر، فامتلأ بهم الإيوان والرحبة، وأرسلوا إليه يقولون : إنك قد أفسدت الخواطر، وغيَّرت عليك الضمائر، وتعرضت إلى الأمراء الأكابر، فإما أن ترجع عن ذلك وإلا كان لنا ولك شأن (١)، فلاطفهم وأخذ خواطرهم، وتقرَّر الصلح، وسكن ثائر الشـــر (٢) .

وقال بيبرس : فلاطفهم وتنصَّل لهم من كل مايكرهون، وأرسل لهم أربع تشريفات جليلة إلى الأمراء الأربعة الكبار، فأبوا أن يلبسوها وقالـوا : نحن ما تكلمنا لأجل أنفسنا، بل لأجل العسكر كله، فكيف نلبس نحن دونهم وخواطرهم مغلية ؟ فأعاد جوابهم بما طمأن قلوبهم، وتقرَّر الصلح، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سُوءاً ولا يبغى لهم شرا ؛ وتولى أخذ اليمين منه الأمير بدر الدين الأيدمرى، فرضى الأمراء بذلك وانصرفوا، واستقر الحال هُنيهة (٣) .

ذكرُ وقوع الاختلاف البـاعث إلى التلاف :

ثم إن الخاصكية الجوانية ومماليك بدر الدين الخزندار لكراهتهم للأمير

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٩ أ .

(٢) انظر السلوك جـ ١ ص ٦٤٦ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٩ أ .

شمس الدين آقسنقر الفارقانى [وظنهم أنه عمل على أستاذهم وأخذ منصبه] (١) اتفقوا على إمساكه ، [وأءتمروا على إهلاكه] (٢) وحسنوا ذلك للسلطان ، وبعثوه عليه ، واستعانوا بسيف الدين كُونَدك الساقى ، وكان الملك السعيد قد قدَّمه وعظَّمه ، لأنه رُبى معه فى المكتب ، فامتدَّت أطماعه إلى أن يكون عوضا عن الفارقانى فى المنصب ، فأمسكوا الأمير شمس الدين المذكور وهو قاعد على باب القُلَّة (٣) ، وسحبوه إلى داخل ، وبالغوا فى ضربه وأذيَّته ، ونتف لحيته ، والإكثار من إهانته (٤) لما فى أنفسهم من كراهيته ، واعتقل بالقلعة ، فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى مات ، وسُلِّم إلى ألزامه ليدفنوه ، [٦٢٧] واستقر بعده فى النيابة عن السلطنة الأمير شمس الدين سنقر الألفى المظفرى ، فلم يرضه الخاصكيَّة فإنه ليس من الظاهرية ، واتفق أنه ولَّى خشداشا له يسمَّى علم الدين سنجر الحموى ويعرف بأبى خُرص الأعمال الصفديَّة وزاده نواحى من خاص الديوان السلطانى على إقطاعه وهى أريحا وكفر تمرين ، فأوهموا السلطان منه ، وزعموا أنه يقصد إقامة المظفَّرية ولا يؤمن غائلته (٥) ، فعزله عن قريب وولى سيف الدين

---

(١) ، (٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) باب القلة : أحد الأبواب الصغرى بداخل قلعة الجبل ، ويتوصل إليه من باب المدرج ، وكانت بين البابين ساحة مستطيلة تؤدى إلى دركاه واسعة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢٠٤ ، ٢١٢ ، صبح الأعشى جـ ٣ ص ٣٧٢ .

(٤) « اهنته » فى الأصل .

(٥) « وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بخشداشيته مماليك الملك المظفر قطز » — السلوك جـ ١ ص ٦٤٤ .

كُوَندك الساقى ، فمال إلى جانب الأمير[١] سيف الدين قلاون الألفى ، واتفق أنه كان تحت حجره أخت لزوجته ، وهى بنت كرمون التترى الذى ذكرنا وفوده إلى الديار المصريّة فى سنة إحدى وستين وستمائة ، وذلك أن كرمون وصل معه ثلاث بنات له مستحسنات ، فتزوج إحداهن الأمير[٢] سيف الدين قلاون المذكور ، ورزق منها ولده الأكبر علاء الدين على الملقب فى سلطنته بالملك الصالح ، وواحدة كانت متزوجة بواحد من التتار الوافدين ، وبقيت الثالثة بكرا ومات أبوها ، فأخذها الأمير قلاون[٣] عنده ، وصارت مع أختها ، فخطبها الملك الظاهر ودخل بها ، ثم أبانها وأعادها إلى مكانها فخطبها سيف الدين كُوَندك حين صار نائب السلطنة ، فجهّزها إليه وزفّها عليه ، فتمكّنت قربته ، وتأكّدت صحبته[٤] .

وتقدّم فى ذلك الوقت شخص من المماليك السلطانيـة اسمه لاجين الزيتى ، وتميز على أمثاله ، وغلب[٥] على الملك السعيد فى أكثر أحواله ، وضم إليه جماعة من الخاصكية واستمالهم بالخُشْداشية ، فأخذ لهم الإقطاعات ، واستنجز لهم الصلات ، فكان كلما انحل بديوان الجيش المنصور اقطاع لها صورة يسارع إلى أخذها لَمَنْ يختار ويحب[٦] ، ويُنافِس النائب المذكور فى الإيراد والإصدار ،

---

(١) ، (٢) « الأمير المخدوم » فى زبدة الفكرة ، حيث ينقل العينى نص بيبرس الدوادار .

(٣) « المخدوم » فى زبدة الفكرة .

(٤) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٨٩ أ — ٩٠أ .

(٥) « وعلى » فى الأصل ، والتصحيح يتفق والسياق وما ورد فى السلوك جـ ١ ص ٦٤٥ .

(٦) « يسارع إلى أخذه لمن يختار » فى زبدة الفكرة .

فتوغّرت منهما الصدور ، ودبّتْ بينهما عقاربُ الشرور ، [وبغى كل منهما لصاحبه الغوائل ، ونصب أحدهما للآخر الحبائل](١) ، وضم إليه كُونْدك جماعة من أهل السَمع له والطاعة ، وجعل الأمراء الكبار عُمْدتَه واتخذهم عُدّته ، فبقى القوم حِزْبًا له وحِزْبًا عليه ، فكان هذا [٦٢٨] الاختلاف موجبا للفساد والتلاف ، ولقد أحسن القائل حيث يقول :

كُنْ آلفا لهمُ ومالوفا لهم ... تقوى وبالتقوى تكون أَأُوفا
إن السهامَ إذا انفردن فكسرُها سَهْلٌ ويصعبُ إن جمعنَ أُلوفَا(٢)

ذكر بقيّة الحوادث فى هذه السنة :

منها : أنه عمّ النيل البلاد فى هذه السنة ، ورخُصَت الغلال رُخْصا لم يُرَ مثلُه فى الدولة التركية حتى بيع الأردبّ من القمح بخمسة دراهم ، والأردبُّ من الشعير بثلاثة دراهم ، ومن بقيّة الحبوب بدرهمين ، حتى حكى بعض التجار أنه أحضر إلى مصر ثلاثمائة أردب فول ، فأبيعت بخمسمائة درهم نقرة ، فأصرف منها أجرة المراكب والحقوق التى عليها ، وبقى له خمسة وثمانون درهما .

ومنها : أن فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى بالقاهرة ، بحارة الوزيريّة ، على مذهب الحنفية ، وعمل فيها مشيخَة حديث ، وقارئ .

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٠ أ

وبعده بيوم عُقِد عقد ابن الخليفة المستمسك بالله بن الحاكم بأمر الله على ابنة الخليفة المستنصر بن الظاهر ، وحضر والده والسلطان ووجوه المملكة وكان يوما مشهودا .

ومنها : أن في يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع في بناء الدار التي كانت تعرف بدار العقيق ليعمل مدرسة وتربةً للسلطان الملك الظاهر ، واستقر أساس التربة في خامس جمادى الآخرة .

ومنها : أن في رمضان طلعت سحابة بمدينة صفد ، فلمع منها برق شديد ، وسطع منها لسان نار ، وسمع صوت شديد هائل ، ووقع على منارة صفد صاعقة شقتها من أعلاها إلى أسفلها شقًّا يدخل فيه الكفُّ .

ومنها : أن في صفر وصلت الهدايا من النَفْش[1] مع رسله إلى الديار المصريّة ، فوجدوا السلطان قد توفي ، ووجدوا ولده الملك السعيد قد أقيم مقامه والدولة ما تغيّرت ، والمعرفة بعدما تنكّرت ، ولكن فُقِدَ أسَدُها ، بل أشدُّها وأسَدُّها الذي كلما انفتحت ثغرةٌ من سور الإسلام [٦٢٩] سَدَّها ، وكلّما انحلَّت عقدةٌ من عُرى العزائم شدَّها ، وكلما رامت فرقة من طوائف الطغاة أن يَلِجَ إلى حوزة الإسلام صدّها[2] .

(١) هكذا بالأصل ، و « الفونش » في السلوك جـ ١ ص ٦٦٦ .
ويذكر القلقشندى أن هذا الاسم كان يطلق اصطلاحا على كل ملوك الفرنج بطليطلة وبرشلونة من أسبانيا حتى ولو كان المقصود يحمل اسما غير ذلك الاسم الشائع في تاريخ أسبانيا المسيحية ، ويذكر القلقشندى أن الصيغة المثبتة عامية ، والصحيح في المصطلح « أدفونش » — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٤ .

(٢) « رصدها » في الأصل .

ومنها : أن أبا يوسف يعقوب المَرينى دخل إلى الأندلس منجدا لابن الأحمر، فتلقاه وبادر إلى خدمته وقدَّم له حِصْنَيْن من حصونه أحدهما : يسمى طريف على البحر ، والآخر : يسمى الجزيرة ، فتسلمهما منه، ورتّب فيهما جماعة من أصحابه ، وبلغ ملوك الفرنج حضوره إليه واجتماعهما معا ، فحشدوا حشدا عظيما وخرجوا بفارسهم وراجلهم لقصدهما ، وكان فيهم من أكابرهم : دَوالَنْتُو ، وبَدَر قرمان ، والتقوا فكانت الكسرة على الفرنج ، فقتل منهم ألوف كثيرة ، فجمع المسلمون رُءُوسهم وجعلوها تلّا ، فكانت أربعة وعشرين ألف رأس ، وصعد المؤذن عليها وأقام الأذان فوقها ، ورجع يعقوب إلى بلاده وترك فى بلاد ابن الأحمر ولده قنديل بن يعقوب ، وعنده تقدير أربعة آلاف فارس .(١)

وفيها : « ... ... » .(٢)

وفيها : حج بالناس « ... ... » .(٣)

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٩٠ أ .

(٢) ، (٣) « ... ... » بياض بالأصل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد[1] بن الشيخ عماد الدين بن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علىّ بن سرور المقدسىّ .

أول من ولى قضاء القضاة للحنابلة بمصر، سمع الحديث حضورا على ابن الطبرزد، وغيره ، ورحل إلى بغداد ، واشتغل بالفقه ، وتفنن فى علوم كثيرة ، وتولى مشيخة سعيد السعداء[2] ، وكان شيخا مهيبا ، حسن الشيبة ، كثير التواضع والبرّ والصدقة، وقد اشترط فى قبول الولاية أن لا يكون له عليه جامكية ، وقد عزله السلطان عن القضاء قبل موته بسنة سبعين ، واعتقله بسبب الودائع التى كانت عنده، ثم أطلقه بعد سنين، فلزم منزله واستقر فى تدريس الصالحيّة إلى أن توفى فى أواخر المحرم ، ودفن عند عمه الحافظ عبد الغنى[3] بسفح جبل المقطّم ، وقد أجاز للحافظ البرزالى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الوافى جـ ٢ ص ٩ رقم ٢٦٢ ، السلوك جـ ١ ص ٦٤٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٧ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٤ .

(٢) المقصود خانقاة سعيد السعداء التى أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبى برسم الفقراء الصوفية — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٤١٥ .

(٣) « عند عم الحافظ عبد الغنى » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٧ .

الشيخ محيي الدين النووى (١) الإمام العالم العلامة أبو زكريا يحيى بن شرف [٦٣٠] بن مرى بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحزامى النووى ، ثم الدمشق ، الشافعى .

شيخ المذهب وكبير الفقهاء فى زمانه ، ومن حاز قصب السبق دون أقرانه ، وُلد سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى ، وقدم دمشق سنة تسع وأربعين ، وقد حفظ القرآن ، فشرع فى قراءة التنبيه (٢) . يُقال : إنه قرأه فى أربعة أشهر ونصف ، وقرأ ربع العبادات من المذهب فى بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحا وشرحا ، فكان يقرأ كل يوم عشر دروس على المشايخ ، ثم عنى بالتصنيف ، فخرج أشياء كثيرة منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله ، فما كمله : شرح صحيح مسلم ، والروضة ، والمنهاج ، ورياض الصالحين ، والأذكار ، والتبيان ، وتحرير التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء ، واللغات ، وطبقات الفقهاء ، وغير ذلك ، ومما لم يتممه : شرحه للمهذب الذى سماه المجموع وصل فيه إلى كتاب الربو ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وقد كان من الزهادة والعباد والتحرى والورع والانجماع عن الناس والتخلى لطلب العلم والتحلى به على جانب عظيم لا يقدر عليه غيره ، وقد كان يصوم الدهر ولا

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ٢٦٤ رقم ٥٦٨ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٧٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٨ ، طبقات الشافعية الكبرى جـ ٨ ص ٣٩٥ رقم ١٢٨٨ ، السلوك جـ ١ ص ٦٤٨ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٤ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٠ رقم ١١٦٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٠٨ .

(٢) هو كتاب « التنبيه فى فروع الشافعية » للشيخ إبراهيم بن على الفقيه الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م — كشف الظنون جـ ١ ص ٤٨٩ .

نجم بن أذانين ، وغالب قوته ما يحمله أبوه إليه من حوران ، وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن القاضي شمس الدين بن خلكان ، وكذلك في الفلكية ، والركنية ، وكان لا يُضَيّعُ شيئا من أوقاته ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم ، وكانت وفاته في ليلة الرابع والعشرين من شهر رجب من هذه السنة بنوى ودفن فيها .

علي بن علي بن اصفنديار نجم الدين[(١)] .

الواعظ بجامع دمشق أيام السُبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخانقاة المجاهدية[(٢)] ، وبها توفى في هذه السنة ، وكان فاضلا بارعا ، وكان جدُّه يكتب الإنشاء للخليفة الناصر ، وأصلهم من بوشنج ، ومن شعرِ نجم الدين هذا :

إذا زار بالجثمان غيرى فإننى أزور مع الساعات ربعك بالقلب
وما كل ناءٍ عن ديار بنازحٍ ولا كل دانٍ في الحقيقة ذو قُرْب

[٦٣١] الشيخ الفخر أبو عبد الله محمد الفارسي[(٣)] .

توفى ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة منها بالقاهرة ، رحمة الله .

الشيخ عماد الدين عبد الرحمن بن داود ضاحى المعروف بالسِمِرْبائى[(٤)] .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٩ ، العبر جـ ٥ ص ٣١١ ، السلوك جـ ١ ص ٦٤٨ ، تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٧٤ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٠٧ ، الدارس جـ ٢ ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) الخانقاة المجاهدية بدمشق : تنسب إلى إبراهيم بن أرتنا ، الأمير مجاهد الدين أمير جندار الملك الصالح نجم الدين أيوب ، والمتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م — الدارس جـ ٢ ص ١٦٩ .

(٣) وله أيضا ترجمة في : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٠ ب ، ابن تاريخ الفرات جـ٧ ص ١٠٨ .

(٤) وله أيضا ترجمة في : زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ٩٠ ب ، تاريخ ابن الفرات جـ٧ ص ١٠٧ .

كان فاضلا ، وله نظم حسن ، ومن شعره :

اجعل لربك ماتأتى وما تذر تفز لديه بما لا تبلغ الفكر
وبادر الوقت بالخيرات مجتهدًا إن النفيس لخوف الفوت(١) يبتدر
ولا تضع لاهيًا عمرًا شرفت به فالعمر عقد له ساعاته درر
لله كل الورى ملك فطاعته أحق ما اكتسبته(٢) البدو والحضر
فى الله فى كل(٣) شىء فائت عوض إذا المعانى تجلت غابت الصور
ومن يدم شغله بالله كان له سمعًا رعينًا كذاك الخبر والخبر

الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك(٤) بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم ابن الملك العادل بن أيوب .

توفى يوم السبت خامس عشر المحرم من هذه السنة مسقيًا كما ذكرنا عن أربع وستين سنة ، وكان رجلا جيدًا ، سليم الصدر كريم الأخلاق ، لين الكلمة ، كثير التواضع ، يعانى ملابس العرب ومراكبهم ، وهو معظم فى الدول ، وكان كريما شجاعا مقداما ، وكان يسكن البر ، وتزوج فى العرب ، وأقام بينهم ، يسير معهم حيث ساروا ، وإذا غزوا غزا معهم ، لحضر من الغزاه إلى دمشق ، فشرب من كأس الظاهر الذى فيه حمامه كما ذكرنا .

(١) « الموت » فى تاريخ ابن الفرات .
(٢) « ما ادخرته » فى تاريخ ابن الفرات .
(٣) « عن كل » فى زبدة الفكرة ، وتاريخ ابن الفرات .
(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٧٧ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٤ ، تاريخ ابن الفرات جـ٧ ص ١٠٤ .

الأمير الكبير بدر الدين بيليك(١) بن عبد الله الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر.

وكان خيّرا جوادا ممدّحا، له إلمام ومعرفة بأيام الناس والتواريخ، وقد وقف دروسا بالجامع الأزهر بالقاهرة على الشافعيّة، ويقال: إنه سُمّ فمات، وذلك بعد أيام يسيرة من موت السلطان الملك الظاهر. ويقال: إنه مات حتف أنفه والله أعلم، وانتقض بعده حبل الملك السعيد واضطربت أموره.

الأمير شمس الدين آقسنقر(٢) بن عبد الله الفارقاني الظاهري، أستاذ الدار.

وكان يباشر [٦٣٢] نيابة السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان الملك الظاهر، مات في هذه السنة معتقلا في القلعة بعد وفاة الأمير بدر الدين بيليك بأيام قليلة، رحمه الله.

وممن توفي في هذه السنة من الأمراء الأمير جمال الدين أقوش المحمدي، والأمير عز الدين الدمياطي، والأمير بلطا البيري، والأمير بدر الدين الوزيري، والأمير سنقر الرومي.

---

(١) وله أيضا ترجمة في: المنهل الصافي جـ ٣ ص ٥١٢ رقم ٧٤٩. النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٢٧٦، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥١، الوافي جـ ١٠ ص ٣٦٥، ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ٣٦٧، السلوك جـ ١ ص ٦٤٣، ٦٤٨، الجوهر الثمين ص ٢٨٧.

(٢) وله أيضا ترجمة في: المنهل الصافي جـ٢ ص ٤٩٤ رقم ٥٠٠، الوافي جـ٩ ص ٣١٠ رقم ٤٢٤٥، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٨٠، السلوك جـ ١ ص ٦٤٤، العبر جـ ٥ ص ٣١٤، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٠١.

فصل فيما وقع من الحوادث

فى السّنة السّابعة والسبعين بعد السّتمائة (*)

استهلت هذه السنة وأولها يوم الأربعاء ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

وسلطان الديار المصريّة والشامية والحلبيّة : الملك السعيد بن الملك الظاهر بيبرس . ونائبُه بدمشق عز الدين أيدمر الظاهرى ، وبحلب الأمير نور الدين على المكارى .

وصاحب حماة : الملك المنصور .

وسلطان بلاد الروم : غياث الدين بن ركن الدين قليج أرسلان ، وهو سلطان إسمًا ، والحكم للتتار .

وصاحب العراق وأذربيجان وغيرهما من تلك البلاد : أبغا بن هلاون .

وصاحب اليمن : الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر .

وصاحب مكة : الشريف نجم الدين بن أبى نمى الحسّنى .

وصاحب المدينة : عز الدين جماز بن سالم الحُسَيْنى .

وفى أوائل المحرم جاء الخبر إلى دمشق بأن شمس الدين بن خلكان ، تولى قضاءَ القضاة الشافعيّة بدمشق ، عَودًا على بَدْء ، وذلك بعد أن عزل من قضاء

(*) يوافق أولها الأربعاء ٢٥ مايو ١٢٧٨ م .

دمشق مدة سبع سنين ، فلما جاء الخبر بذلك امتنع قاضى القضاة عز الدين ابن الصائغ عن الحكم ، وقد كان منصب القضاء بينهما دولا ، ثم وصل ابن خلكان إلى دمشق ، فدخلها يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، فخرج نائب السلطنة الأمير عز الدين أيدمر ، ومعه جميع الأمراء والموكب لتلقيه ، وفرح الناس به فرحا شديدا ، ومنهم من تلقاه إلى الرملة ، ومدحه الشعراء ، فكان فيمن أنشد الفقيه شمس الدين محمد بن جَعْفَران :

لما تولَّى قضاءَ الشام حاكمُهُ ... قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم

[٦٣٣]

من بعد سبع شداد قال خادمهُ ... ذا العامُ فيه يغاثُ الناسُ بالنعم (١)

وفى يوم الأربعاء ثالث صفر ذكر ابن خلكان الدرس بالظاهرية التى بُنِيَتْ موضع دار العقيقى بدمشق ، ولم تكن المدرسة تكاملت بعدُ ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيدمر وبقيَّة القضاة والأعيان ، وكان مدرس الشافعية رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقى (٢) ، ومدرّس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفى (٣) .

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٧٩ ،
وأورد ابن حبيب لعمر بن إسماعيل الفارقى :

أنت فى الشام مثل يوسف ... فى مصر وعندى أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السبع ... عام فيه يغاث الناس

تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٣٣ .

(٢) توفى سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م — المنهل الصافى ، العبر جـ ٥ ص ٣٦٣ ، درة الأسلاك ص ١٠١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٣٢ .

(٣) انظر ما يلى فى وفيات هذه السنة .

وفى جمادى الأولى : باشر قضاء الحنفيّة بدمشق الشيخ صـدر الدين سليمان المذكور ، عوضا عن القاضى مجد الدين بن العديم بحكم وفاته ، ثم توفى صدر الدين المذكور فى رمضان من هـذه السنة ، وتولى عوضه القاضى حسام الدين أبو الفضائل الحسن (١) بن القاضى تاج الدين أحمد بن القاضى جلال الدين الحسن ابن أبى شروان الفرازيى (٢) الذى كان قاضيا بملطية قبل هذا .

وفى العشر الأواخر من ذى القعـدة : فتحت المدرسـة النجيبيّة (٣) ، وحضر تدريسها القاضى شمس الدين بن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى (٤) ، وفتحت الخانقاة النجيبيّة ، وكانتا وأوقافهما تحت الحوطة إلى الآن .

ذكر سفر السلطان الملك السعيد بن الملك الظاهر من مصر إلى دمشق :

وفى أواخر هـذه السنة : عزم السلطان الملك السعيد على السفر إلى الشـام ليتفرّج فى الممالك ويتنزّه فى المروج والمسالك ، فتجهّز وسار بالعساكر ، فوصـل إلى دمشق ودخلها يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة من هـذه السنة ، وطلع قلعتها ، ونزل بقصر والده الظاهر ، وقد زُيّنت له البـلد ، وعملت له قبابٌ ظاهرة ،

(١) توفى سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م — المنهـل الصافى ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٦٤ رقم ٦٥ ، درة الأسلاك ص ١٤١ ، ١٤٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٢٢٧ ، العبر جـ ٥ ص ٣٩٧ ، وانظر عقد الجمان وفيات ٦٩٩ هـ .

(٢) هكذا بالأصل ، و « الرازى » فى مصادر الترجمة .

(٣) المدرسة النجيبية بدمشق ، أنشأها النجيبى جمال الدين أقوش الصالحى النجمى — الدارس جـ ١ ص ٤٦٨ .

(٤) هو موسى بن أحمد بن محمد البرمكى ، كمال الدين ، المتوفى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م — الدرر.

وخرج أهل البلد لتلقيه ، وفرحوا به فرحا شديدا لمحبتهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان الأخضر ، وعمل العيد بالقلعة ، واستوزر بدمشق الصاحب فتح الدين عبد الله بن القيسرانى ، وبالديار المصرية بعد موت بهاء بن الحنا الصاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى .

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذى الحجة منها : [٦٣٤] جلس السلطان الملك السعيد بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان جدده والده على بَساتين أهل دمشق ، فتضاعفت الأدعية له وأحبوه لذلك حبًّا شديدا ، فإنه كان قد أجحف بكثير من أرباب الأملاك ، وود كثير منهم أن لو تخلص من ملكه بسبب ما عليه .

وقال بيبرس فى تاريخه : وكان السلطان اهتم ببناء تربة على والده ، فاشترى دارا تعرف بالعقيق وبناها تربَةً ونقل والده إليها . فقال فى ذلك القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر أبياتا من جملتها :

صَاحِ : هذا ضريحُه بينَ جفنى فزوروا من كل فج عميق
وكيف لا وهو من عقيق دموعى دفنوه منها بدار العقيق (١)

ذكر تفريق السُّلطان عَساكرهُ :

ولما استقرّ ركابه بدمشق فرق العساكر فى أواخر ذى الحجة من هذه السنة ، فسيّر فرقةً صحبة الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى إلى جهة قلعة الروم ، وفرقة صحبة الأمير سيف الدين قلاون الألفى الصالحى إلى بلاد سيس ، وسير معه خزانة برسم

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٠ ب ، ٩١ أ .

نفقات العساكر، فأنفق فيهم بحلب، ثم ساروا إلى سيس، وسار بدر الدين بيسرى إلى قلعة الروم، وكان القصد بتفريقهم التمكن من التدبير عليهم، فلما أبعدوهم إلى هذه الجهات وفرقوهم بحجة الغارات قرّروا مع الملك السعيد القبض عليهم عند عودهم، وأخذ إقطاعاتهم وموجودهم، وعيَّنوا خبز كل واحد منهم لواحد منهم، هذا والأمير سيف الدين كُونْدُك مطَّلعٌ عليهم، فلما اتفقت العودةُ من الغارة اجتمع الأمراءُ بالمرج ليدخلوا دمشق بالأطلاب والترتيب على العادة، فأرسل سيف الدين كُونُدك إلى الأميرين المذكورين وهما بدرالدين بيسرى وسيف الدين قلاون سرًّا، وعرَّفهما بما اتفقت الخاصكيَّة عليه، وما انتهى الحال إليه، فأسرَّا ذلك في أنفسهما، ثم خرج الأمير سيف الدين كُونَدُك لتلقيهما، وأعلمهما الأمر مشافهةً، فتحققا الخبر ولم يشكَّا فيه، [٦٣٥] لعلمهما بانفعال السلطان وميله إلى آراء الصبيان .

فأقاموا بالمرج ولم يدخلوا دمشق، وأرسلوا إلى الملك السعيد يقولون له : إنا مقيمون بالمرج وإن سيف الدين كوندك شكى إلينا من لاجين الزيني شكاوى كثيرة، ولابدَّ لنا من الكشف عنها فيُسيِّره السلطان [إلينا] لنسمع كلام كل منهما وننصف بينهما .

فلم يعبأ بقولهم ولم يُسيِّر لاجين الزيني إليهم، وكتب الى الأمراء الظاهريَّة الذين معهم بأن يفارقوهم ويعبروا دمشق، فأرسل الكتب إليهم مع قاصد، فوقع به

(١) « وأما » في الأصل، والتصحيح يتفق مع السياق .

(٢) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ٩١أ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « بأن يفارقوا » في الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة .

أصحاب كُونْدُك ، فأحضروه إليه ، فأحضره إلى الأمراء ، فوقفوا على ما معه من الكتب ، فتحققوا سوء رأيه فيهم ، فرحلوا من وقتهم ونزلوا على الجُسُورة من ناحية داريا ، وأظهروا الأمور الدالّة على الخلاف ، وتجريد صوارم الهجر من الغلاف .(١)

وتبين للسلطان أنه فرط وأسرف فى سوء التدبير ، فبادر بإرسال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير شمس الدين سنقر التكريتى الظاهرى أستاذ الدار إلى نحوهم ملتمسا منهم الرجوع ، ومتلطفا لهم بأنواع الخشوع والخضوع ، وفاوضاهم فى ذلك ، وبالغا فيه ، فما ازدادوا إلا نفارا وإباءً ، وقالوا : لا سبيل إلى المراجعة إليه ، وقد انصدعت القلوب ، وجرت هذه الخطوب ، فعادا الأميران المذكوران إليه ، وأعادا القول عليه ، فخامره القلق وخالطه الفرق ، فقالت والدته : أنا أتوجه بنفسى إليهم لعلهم يرون للحُرَم ويرعون مالهم من الحُرَم ، فأذن لها فى ذلك ، فحضرت إليهم ، ودخلت عليهم وهم على منزلة الكسوة ظاهر دمشق ، فسألتهم إخماد الثوائر ، واستعطفتهم بكل ما تستمال به الخواطر ، فما مالوا إليها ولا عاجوا عليها ، فرجعت آيبة ، ومما أمّلته خائبة .(٢)

ثم رحلت الأمراء من الكسوة وجدّوا فى المسير من غير تقصير حتى وصلوا إلى الديار المصرية فى أوائل السنة الآتية ، وسنذكر ما جرى بعد ذلك إن شاء الله .

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ٩١ أ ، ب .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩١ ب ، ٩٢ أ .

وفيها : طُلب من أهل بغداد خمسون ألف دينار ، وضربت على أملاكهم أجرة مدّة شهرين وَجُبِيَت منهم على وجه القهر والغلبة والظلم .

وفيها : [٦٣٦] حج بالناس « . . . . . »[1] .

وفيها : « . . . . . . »[2] .

(١) ، (٢) « . . . . . » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

قاضى القُضاة صدر الدين سليمان(١) بن أبى العز وُهَيْب بن نظام أبو الفضل الأذرعى ، ثم الدمشقى الحنفى .

الإمام العالم المتبحر العارف بدقائق الفقه وغوامضه ، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر والشام ، وشيخ الحنفية فى وقته شرقا وغربا ، تفقه على الشيخ جمال الدين الحصيرى(٢) وغيره ، ثم سكن مصر ، وحكم بها ، ودرس بالصالحية ، ثم رجع إلى دمشق فاتفق موت قاضى القضاة مجد الدين بن العديم ، فولى القضاء عوضا عنه ، فلم يبق فيه إلا ثلاث شهور حتى مات ليلة الجمعة سادس شعبان من هذه السنة ودفن من الغد بعد الصلاة بدار بسفح قاسيون ، وله ثلاث وثمانون سنةً ، وولى القضاء بعده بدمشق حسام الدين الرومى ، وكان الملك الظاهر بيبرس يحبُّه ويبالغ فى احترامه ، وأذن له أن يحكم حيث حل وكان لا يكاد يفارقه فى غزواته ، وحج معه ، ولم يخلف بعده مثله فى المذهب ، وله شعر حسن ومنه ما قالَهُ فى مملوك حسن الصور من مماليك الملك المعظم بن العادل زوّجه بجارية من جواريه موصوفة بالحُسن :

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، العبر جـ ٥ ص ٣١٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٧ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١١٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨١ ، السلوك جـ ١ ص ٦٥١ .

(٢) هو محمود بن أحمد بن عبد السيد البخارى ، جمال الدين الحصيرى ، نسبة إلى حصير — بفتح الحاء — قرية من أعمال بخارى ، والمتوفى سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م — العبر جـ ٥ ص ١٥٢ .

يا صاحبيّ قفا(١) وانظرا عجبا أتى بنا(٢) الدهر فينا من عجائبه
البدرُ أصبح فوق الشمس منزلةً وما العلوُّ عليها من مراتبه
أضحى يُماثلها حسنا وصار لها(٣) كفوا وسار إليها فى مواكبه(٤)
فاشكل الفرقُ لولا وشْىُ نمنمةٍ بصُدغه واخضرارٌ فوق شاربه

قاضى القُضاة مجد الدين عبد الرحمن(٥) بن كمال الدين(٦) عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبى ، ثم الدمشقى الحنفىّ .

ولى قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق ، وكان رئيسًا ابن رئيس ، له فضل ومكارم أخلاق ، وقد ولى الخطابة بجامع القاهرة الكبير ، وهو أول حنفىّ وليَه ، وكانت وفاته بجوسقه فى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بالتربة التى أنشأ عند زاوية الحريرى على الشرف القبلى غربىّ الزيتون .

الشيخ جمال(٧) الدين عبد الرحمن(٨) بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله ابن الحسن بن عثمان بن الشيخ نجم الدين البادرَآئى البغدادى ، ثم الدمشقى .

(١) « قفا لى » فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨١ .
(٢) « به » فى البداية والنهاية .
(٣) « وشاركها » فى البداية والنهاية .
(٤) انظر أيضا تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢٠ .
(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٨١ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ . السلوك جـ ١ ص ٦٥١ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٨ ، العبر جـ ٥ ص ٣١٥ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢١ .
(٦) « جمال الدين » فى البداية والنهاية .
(٧) « نجم » فى أصل المتن ، ومصححة فى الهامش .
ووردت أيضا « نجم الدين » فى تاريخ ابن الفرات .
(٨) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢٢ .

[٦٣٧] درس بمدرسة أبيه من بعده إلى حين وفاته يوم الأربعاء سادس رجب ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان رئيسا حسن الأخلاق ، جاوز خمسين سنة .

جمال الدين [طه بن] إبراهيم(١) بن أبي بكر الهمداني الأربلي .

كان أديبا ، فاضلا ، شاعرا ، له قُدْرةٌ في تصنيف دو بَيْت ، وقدم القاهرة حتى كانت وفاته بها في جمادى الأولى من هذه السنة ، اجتمع مرةً بالملك الصالح نجم الدين ، بجعل أيّوب يتكلم في علم النجوم ، فأنشده على البديهة :

دَعِ النجومَ لطُرقيّ يعيشُ بها ... وبالعزيمة فانهض أيها الملك(٢)

إن النبيَّ وأصحابَ النبي نَهَوْا ... عن النجوم فقد أبصَرت مَاملَكوا(٣)

وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يَستزيرُه بعد رَمَدٍ أصابه وبرأ منه :

يقول لي الكحَّالُ عينكَ قد هَدَتْ ... فلا تشغلَن قلبا عليها وطِبْ نَفْسَا(٤)

ولي مدةٌ يا شمس لم أركم بها ... وآيَةُ بُرءِ العين أن تُبصرَ الشمسَا

الوزير بهاءُ الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سُليم المعروف بابن حنا المصري(٥) .

(١) [ ] إضافة من مصادر الترجمة ، فهو :

طه بن إبراهيم بن أبي بكر ، كمال الدين الهمداني ، في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ ، السلوك جـ ١ ص ٦٥١ ، الوافي جـ ١٦ ص ٤١٣ رقم ٤٥٢ ، العبر جـ ٥ ص ٣١٦ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٧ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢٠ .

(٢) « وانهض بعزم صحيح أيها الملك » — الوافي جـ ١٦ ص ٤١٤ .

(٣) « وقد عاينت ما ملكوا » — الوافي جـ ١٦ ص ٤١٤ .

(٤) « وطب بها نفسا » في البداية والنهاية .

(٥) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، فوات الوفيات جـ ٣ ص ٧٦ رقم ٣٥٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ ، السلوك جـ ١ ص ٦٥٤ ، الوافي جـ ٢٢ ص ٣٠ رقم ٤ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢٥ .

وُزِّر للملك الظاهر ، ثم لولده الملك السعيد إلى أن توفى فى سلخ ذى القعدة منها، وكان ذا رأى وحزم وتدبير، وكان قد تمكن فى الدولة الظاهرية ،لا تمضى الأمور إلا عن رأيه وأمره ، وله مكارم على الأمراء وغيرهم ، وقد امتدحه الشعراء ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصحبة وقد صودر فى الدولة السعيدية .

وقال النُويرى : لما توفى الصاحب بهاء الدين بن حنًّا احتاطوا على ابنه تاج الدين وأخيه زين الدين وعلى ابن عمه عز الدين بن محيي الدين، وأخذ خط كل واحد منهم بمائة ألف دينار بدمشق، وصُيّروا الجميع تحت الحوطة إلى مصر، وتولى الوزارة بعد موت بهاء الدين المذكور الصاحب برهان الدين السنجارى .

وقال النجم بن النجيب يهجو الصاحب بهاء الدين بن الحنَّا المذكور :

خربَتْ ديارك يا بن حنًّا وانقضى زمنٌ به أسرفتَ فى الطغيان
ونُقلت من دار النعيم إلى لظى بفضاضة ملأت فضا النيران
وتركت رهطك فى العذاب فلم يُفِدْ ما نِلْتَ من عزٍّ بذا الخُسْرَانِ
كم ذا تُزَخْرِفُ باطلا لبطالة قام الدليلُ عليه بالبُرْهَانِ

[٦٢٨] ابنُ الظُّهير الدُّهرِي الحنفى (١) محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبى شاكر مجد الدين أبو عبد الله الأربلى الحنفى المعروف بابن الظهير .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى، الوافى جـ ٢ ص ١٢٣ رقم ٤٧١ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٢ ، فوات الوفيات جـ ٣ ص ٣٠١ رقم ٤٣٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٩ ، العبر جـ ٥ ص ٣١٦ ، السلوك جـ ١ ص ٦٥١ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٢٧ .

وُلد بأربل سنة إثنتين وستمائة، ثم أقام بدمشق، ودرّس بالقيمازية(١) وأقام بها حتى توفى فيها ليلة الثاني عشر من ربيع الأول منها، ودفن بمقابر الصوفية، وكان بارعا في النحو واللغة، وكانت له اليد الطولى في النظم، وله ديوان مشهور وشعر رائقٌ حسنٌ قويٌّ، سمع الكثير من أصحاب أبي الوقت(٢) وغيره، قدم القاهرة فسمع بها وحدّث، وسمع ببغداد وبدمشق، روى عنه الحافظ الدمياطي(٣)، وتفقه في مذهب أبي حنيفة على عبد الرحمن بن الفقيه محمد البغدادي. ومن شعره:

طرفي وقلبي ذا يسيلُ دمًا وذا ... دونَ الورى أنت العليمُ بقُرحِهِ(٤)

وهُمَا بحُبّك شاهدَانِ وإنما ... تعديلُ كلّ منهما في جَرْحِهِ

نجم الدين أبو المعالي محمّد(٥) بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل ابن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الشيباني الدمشقي.

---

(١) المدرسة القيمازية بدمشق: داخل بابي النصر والفرج، أنشأها قايماز النجمي، صارم الدين، من أكابر الدولة الصلاحية، والمتوفى سنة ٥٩٦ هـ/١١٩٩م — الدارس جـ١ ص٥٧٢ وما بعدها.

(٢) هو عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي، نسبة إلى سجستان، أبو الوقت، المتوفى سنة ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨ م — العبر جـ ٤ ص ١٥١.

(٣) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف، الدمياطي، شرف الدين، أبو محمد، المتوفى سنة ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥ م — المنهل الصافي.

(٤) « قلبي وطرفي ذا يسيل دما ... وذا بين الورى أنت العليم بقرحه »
— فوات الوفيات جـ ٣ ص ٣٠٢.

(٥) وله أيضا ترجمة في: المنهل الصافي، الوافي جـ٣ ص ١٤٣ رقم ١٠٩٢، فوات الوفيات جـ٣ ص ٣٨٢ رقم ٤٦١، البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٨٣، العبر جـ ٥ ص ٣١٦، السلوك جـ ١ ص ٦٥١، تاريخ ابن الفرات جـ٧ ص ١٣١.

ولد فى ضحى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وستمائة ، وصحب الشيخ على[1] بن أبى الحسن[2] بن منصور البُسْرى[3] الحريرى فى سنة ثمانى عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدى[4] وزعم أنه أجلسه فى ثلاث خلوات ، وكان ابن إسرائيل يذكر أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فاستوطنوا دمشق ، وكان أديبا فاضلا فى صناعة الشعر ، بارعا فى النظم الفائق الرائق ، ولكن فى كلامه ما يُشِيرُ به إلى نوع من الحُلول والإلحاد على طريقة ابن الفارض[5] وابن عربىّ ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمْره ، وكانت وفاته بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة عن أربع وسبعين سنة ، ودفن فى تربة الشيخ رسلان داخل القبّة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشُيوخ على المغَربل الذى تخرج على يديه الشيخ على الحريرى شيخ ابن إسرائيل .

---

(١) هو على بن أبى الحسن بن منصور الدمشق ، الحريرى ، المتوفى سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م — العبر جـ ٥ ص ١٨٦ ، فوات الوفيات جـ٣ ص ٦ رقم ٣٢٥ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٧٣ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٣١ .

(٢) « الحسين » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٣) نسبة إلى قرية بسر من حوران — العبر .

(٤) هو عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عموية ، شهاب الدين السهروردى ، المتوفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م — وفيات الأعيان جـ٣ ص ٤٤٦ رقم ٤٩٦ ، العبر جـ ٥ ص ١٢٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٨ .

(٥) هو عمر بن على بن مرشد ، ابن الفارض ، الحموى الأصل ، المصرى المولد والوفاة ، المتوفى سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م — وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٥٤ رقم ٥٠٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢١٦ ، العبر جـ ٥ ص ١٢٩ .

ابن العُود الرافضيّ أبو القاسم الحسين بن العُود نجيبُ الدين الأسديّ الحليّ[(١)]

[٦٣٩] شيخ الشيعة ، وإمامهم ، وعالمهم في أنفسهم .

كانت له فضيلة ، ومشاركة في علوم كثيرة ، حسن المحاضرة والمعاشرة ، لطيف النادرة ، وكان كثير التعبُّد في الليل والنهار ، وله شعر جيّد ، ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وتوفي في شعبان[(٢)] من هذه السنة عن ست وتسعين سنة .

الأميرُ الكبيرُ جمال الدين أقوش بن عبد الله النجيبي أبو سعيد الصالحيّ[(٣)] .

أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيُّوب وجعله من أكابر الأمراء ، وولاه استاداريته ، وكان يثق إليه ويعتمد عليه ، وكان مولده في سنة تسع أو عشر وستمائة ، وولاه الملك الظاهر استاداريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين فاتخذ فيها المدرسة النجيبية[(٤)] والخانقاة[(٥)] ووقف عليهما أوقافا دارّةً واسعةً ، ولكن لم يقرِّر للمستحقين قدرا يُناسب ما وقفه عليهم ، ثم عزله السلطان واستدعاه إلى الديار المصريّة ، فأقام بها

---

(١) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٧ .

(٢) « في رمضان » في البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٨٧ .

(٣) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ٣ ص ٢٤ رقم ٥١٦ ، الوافي جـ٩ ص ٣٢٣ رقم ٤٢٥٨ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٧ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٨١ ، العبر جـ٥ ص ٣١٤ ، ذيل مرآة الزمان جـ ٣ ، السلوك جـ ١ ص ٦٥٠ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١١٨ .

(٤) المدرسة النجيبية بدمشق : لصيق المدرسة النورية من جهة الشمال — الدارس جـ ١ ص ٦٨ ؛ وما بعدها .

(٥) الخانقاة النجيبية بدمشق : ويقال لها النجيبية البرانية ، وخنقاة القصر — الدارس جـ ٢ ص ١٩١ وما بعدها .

بطّالاً، ثم مرض بالفالج أربع سنين، وقد عاده فى بعضها الملك الظاهر، ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس عشر ربيع الآخر بالقاهرة بدرب مُلُوخيا، ودفن فى يوم الجمعة قبل الصلاة بتربته التى أنشأها بالقرافة الصغرى، وقد كان ابتنى لنفسه تربةً بالمدرسة النجيبيّة وفتح لها شباكين فى الطريق، فلم يقدّر دفنه فيها، وكان كثير الصدقة، محبا للعلماء محسنا إليهم، حسن الاعتقاد، شافعىّ المذهب، متغاليا فى السنة ومحبة الصحابة رضى الله عنهم، وبغض الروافض، ومن جملة أوقافه الخان الذى فى طريق الحُسُورة قبلىّ جامع كريم الدين (١) اليوم، وعليه أوقاف كثيرة، وجعل النظر فى أوقافه للقاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله.

الأمير الكبير علاء الدين أيدكين (٢) بن عبدالله الشهابى واقف الخانقاة الشهابيّة (٣).

وقد كان من أكابر الأمراء بدمشق، وقد ولى النيابة بحلب مدة، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم، وله حُسْن ظن بالفقراء والإحسان إليهم، ومات فى خامس عشر ربيع الأول منها، ودفن بتربة الشيخ عثمان الرومىّ بسفح قاسيون وهو فى عشر الخمسين، والخانقاة المذكورة داخل باب الفرج، وكان لها شباك إلى الطريق. [٦٤٠] والشهابى نسبة إلى الطواشى شهاب الدين رشيد الكبير الصالحىّ.

---

(١) هو جامع الكريمى بدمشق: أنشأه القاضى كريم الدين عبد الكريم بن المعلم هبة الله المتوفى سنة ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م — الدارس جـ ٢ ص ٤١٦ وما بعدها.

(٢) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٥٢ رقم ٥٩٠، الوافى جـ ٩ ص ٤٩١ رقم ٤٤٥٥، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨١، السلوك جـ ١ ص ٦٥٠، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١١٩.

(٣) الخانقاة الشهابية بدمشق: داخل باب الفرج، المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٥٢، وانظر ما يلى.

السلطان عز الدين كيكاوس[1] بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق .

مات في هذه السنة عند منكوتمر ملك التتار بمدينة صراى ، وكيكاوس المذكور هو الذى كان محبوسا فى قلعة من قلاع القسطنطينية كما تقدم ذكره عند القبض عليه فى سنة اثنتين وستين وستمائة[2] ، وذكر خلاصه واتصاله بملك التتار فى سنة ثمان وستين وستمائة[3] ، وخلف عز الدين المذكور ولدا اسمه مسعود وقصد منكوتمر أن يزوجه بزوجة أبيه عز الدين كيكاوس وهى أرباى خاتون ، فهرب مسعود ابن كيكاوس واتصل ببلاد الروم ، فحمل إلى أبغا ، فأحسن إليه أبغا وأعطاه سيواس وأرزن الروم وأرزنجان[4] ، واستقرت هذه البلاد لمسعود بن عز الدين المذكور ، ثم بعد ذلك جعلت سلطنة لمسعود المذكور ، وافتقر جدا وانكسر حاله ، وهو آخر من سمى سلطانا بالروم من السلجوقية .

وقال بيبرس : ولما هرب مسعود من عند منكوتمر استصحب معه ولدين كانا له أحدهما اسمه ملك والآخر قرامرد ، وعدى البحر المحيط ، وجاء[5] إلى قيسارية ، فحمل إلى أبغا كما ذكرنا ، وأما امرأة أبيه فإنها لم تصبر على فراقه ، فجمعت أموالها

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، السلوك جـ ١ ص ٦٥٠ .

(٢) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٨٧ .

(٣) انظر ما سبق بهذا الجزء .

(٤) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٢ ب

(٥) « وحضر » فى زبدة الفكرة .

وسارت فى إثره وعدّت البحر ووصلت إلى الروم ، فصادفتها كُرْسالية الفرنج فى البحر ، فقطعوا عليها الطريق وأخذوا أموالها ، وخرجت إلى ساحل صَمْصُون (١) ، ثم جاءت إلى أماسية ، فصادفت بها زوجة سيف الدين طرنطاى ، فأحسنت إليها وأنزلتها فى منزلها وأضافتها مدة شهر ، وبلغ أَبْغا وصُولها ، فأمر بأن تُحمل إلى الأُرْدُو مكرّمةً ، فلما وصلت إلى قريب الأُرْدُو خرجت الخواتين ونساء أَبْغا لتلقّيها ، وسألها أبغا عما اتفق لها ومَنْ مِنْ أهل الروم أكرمها أوخدمها ، فأخبرته بإكرام كُرجى خاتون زوجة طرنطاى لها وما عاملتها به من الخير ، وكانت كُرجى خاتون قد أعلمتها [٦٤١] بحال سنان الدين الرُومىّ ولدها وأنه معتقل بالديار المصريّة ، وأنها تختار أن تتحيّل له فى الخلاص ، وتخشى من أَبْغا أن تسيّر رسولا إلى مصر أو هدية أو غير ذلك ، فأجرت أُرْباى خاتون الحديث مع أبغا ، فأمر بأن يكتب مرسوم إلى صَمْغارْ نائبه فى الروم أن يُقطع انطالية — باللام — لوالدة سنان الدين الرومىّ لتكون بها قريبة من ولدها ، وأن يُؤْذن لها فى التحيُّل على خلاصة بما تختاره من الرسُل وغيرهم إما ظاهرا و إما سرًّا ، فتوجه الأمير سيف الدين طرنطاى وزوجته من أماسية إلى انطاليّه وجهّزا رسولا وهدية إلى الديار المصريّة بسبب ولدهما ، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى (٢) .

---

(١) « سامسون » فى زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٢ ب ، ٩٣ أ .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة الثامنة والسبعين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة، وأولها يوم الأحد والخليفة هو: الحاكم بأمر الله العباسي.

والسلطان الملك السعيد بن الملك الظاهر بدمشق، والعساكر الذين خامروا عليه الذين كانوا بالمرج، ثم رحلوا إلى الكسوة هناك، وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة من وقوع الخلف بين الممالك كلها، قد اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا، فقتل منهم خلق كثير، واختلفت الفرنج الذين في الساحل وقتل بعضهم بعضا، وكذلك الفرنج الذين هم في البحر اختلفوا واقتتلوا، واقتتلت قبائل الأعراب بعضهم في بعض قتالا شديدا، وكذلك وقع [الخلف] (١) بين العشير من الحوارنة بعضهم على بعض وقامت الحرب بينهم على ساق، وهكذا وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية كما ذكرنا في العام الماضي (٢).

ذكر وصول الأمراء إلى الديار المصرية:

وهم الذين خرجوا عن طاعة الملك السعيد، وصلوا إلى القاهرة في ربيع الأول من هذه السنة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر (٣)، فاتصل بالأمراء المقيمين في

(*) يوافق أولها الأحد ١٤ مايو ١٢٧٩ م.

(١) [ ] إضافة من البداية والنهاية.

(٢) انظر البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٨٧.

(٣) الجبل الأحمر: يطل على القاهرة من الشمال الشرقي، ويعرف باليحموم — المواعظ والاعتبار جـ١ ص ١٢٥.

القلعة قدومهم ، وكان بها الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى أمير جاندار ، والأمير علاء الدين أقطوان الساقى ، والأمير سيف الدين بلبان الزُرَيْقى أستاذ الدار ، فتقدموا إلى متولى القاهرة بغلق أبوابها فأغلقت ، وبنى خلف [٦٤٢] أكثرها حيطانا .

فراسلهم الأمراء فى فتح أبواب المدينة ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويبصروا أولادهم ، فإنَّ عهدهم بَعُدَ بهم .

فنزل الأمير عز الدين الأفرم والأمير علاء الدين أقطوان الساقى إلى الأمراء ليجتمعا بهم ويبصرا أحوالهم ، فبادر سيف الدين كوندك بالقبض عليهما وعلى الحُسام لاجين البَركنجاني ، فإنه حضر صحبتهما .

وأرسل الأمراء ففتحوا أبواب المدينة ، ودخل الناس إلى بيوتهم بأثقالهم ، وحمل هؤلاء الأمراء الثلاثة المقبوض عليهم إلى الدار السلطانية التى كانت سكن الأمير سيف الدين قلاون المعروفة بالأمير فخر الدين عثمان بن قزل ، فعوّقوا بها ، وأما الأمير سيف الدين الزُرَيقى أستاذ الدار ، فإنه استوثق من أبواب القلعة وأغلقها ، فتقدّم الأمراءُ لحصارها (١) .

ذكر أسماء الأمراء الأعيان الذين توافقوا على ذلك واجتمعوا هنالك :

الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى (٢) .

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٣ أ ، ب .

(٢) أضافت بعض المصادر بعد الأمير بيسرى الشمسى اسم الأمير قلاون — السلوك جـ ١ ص ٦٥٤ ، الجوهر الثمين ص ٢٨٩ .

الأمير سيف الدين أيتمش السَّعْدي .

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار .

الأمير بدر الدين بَكْتاش الفخري .

الأمير بدر الدين بَيليك الأيدَمُري .

الأمير شمس الدين سنقر البكتُوتي .

الأمير علم الدين سنجر طردج .

الأمير سيف الدين بلبان الحُبيشي (١) .

الأمير بدر الدين بكتاش النجمي .

الأمير علاء الدين كُشْتُغْدي الشمسي .

الأمير سيف الدين بلبان الهاروني .

الأمير بدر الدين بَجْكا العلائي .

الأمير ركن الدين بيبرس الرشيدي .

الأمير بدر الدين كُندُغدي الوزيري .

الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزوري .

الأمير سيف الدين أيتمش بن أطْلس خان .

الأمير سيف الدين بَيْدغان الركني .

الأمير بدر الدين بَكْتُوت بن الأتابك .

الأمير علاء الدين كندغدي أمير مجلس .

(١) « وسنجر طرطج الحبشي » في الجوهر الثمين ص ٢٨٩ ، وهو تحريف ضم اسم الأمير سنجر طردج ، مع اسم الأمير بلبان الحبيشي .

الأمير سيف الدين بكتوت جرمك .

الأمير ركن الدين بيبرس طُقُصُوا .

الأمير سيف الدين كُوَنْدُك .

الأمير عز الدين أيبك الحموى .

الأمير شمس الدين سنقر الألفى .

الأمير سيف الدين سنقُرجاه الظاهرى .

الأمير سيف الدين شاطَلُمُش .

الأمير سيف الدين قَلَنجق الظاهرى .

الأمير سيف [٦٤٣] الدين بُجُعَار الحموى .

ومن سواهم من الامراء الصغار ، ومقدمى الحلقة ، وأعيان المفاردة والبحرية ، وأحاطوا بالقلعة ، ومنعوا عمن بها الماء والميرة ، وضيقوا عليهم (١) .

ذكر قدوم السلطان الملك السعيد إلى الديار المصرية :

ولما رأى الملك السعيد نفارَ الأمراء والعساكر عنه ومسيرهم نحو الديار المصرية دونه جمع من كان بدمشق مَنْ بقايا العسكر المصرية ومن حَوْنه من العساكر الشامية ، واستدعى العُربان ومن ينضم إليهم من الفرسان ، وأنفق فيهم بدمشق ، وخرج منها وسار إلى الديار المصرية ، فلما وصل إلى غزة تسلّل أكثر

(١) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ٩٣ب ؛ ٩٤أ .

العربان وتفرقوا ، فلما وصل إلى بلبيس لم يبق من العساكر إلا صُبَابَة لا ترجى بها إصابة ، ورأى أنه لا ينتفع بهم ، فأعطى الشاميين منهم دستورا (١) ، فعادوا من هناك صحبة الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام (٢) .

ولما وصل المذكور دمشق وحصل فيها اجتمع الأمير جمال الدين أقوش الشمسي والأمراء الذين بدمشق وقبضوا عليه ، وأرسلوه إلى الديار المصرية مقيدًا .

وأما الملك السعيد فلم يبق في صحبته إلَّا نفر يسير من مماليكه منهم : لاجين الزيني ، ومغلطاي الدمشقي ، ومغلطاي الجاكي ، وسنقر التكريتي ، وأيدُغدي الحراني ، والْبَكي الساقي ، وبكتوت الحمصيّ ، وصلاح الدين يوسف بن بَركَنْجان ، وعلاء الدين على بن بَرْكَنْجان ، ومن يجرى مجراهم .

ومن الأمراء الكبار : شمس الدين سنقر الأشقر خاصةً ، ولما وصلوا إلى قرب المطريَّة فارقه واعتزل عنه ولم يلِمّ بالأمراء ؛ بل أقام في مكان إلى أن كان منهم ما كان (٣) .

وبلغ الأمراء رحيل السلطان من بلبيس وقيل لهم : إنه يجئ من خلف الجبل الأحمر ، ويطلع القلعة ، فركبوا وتوجهوا إلى الجبل الأحمر ليَحولوا بينه وبين القلعة لئلا يستفق بها فتصير له منعةٌ (٤) [و] تتسع عند العساكر السُّمعة (٥) .

---

(١) « وأما السلطان فإنه لما نزل بلبيس ، وبلغه خبر الأمراء ، خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه في بلبيس » — السلوك جـ ١ ص ٦٥٣ .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٤ ب ، ٩٥ أ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٤ ب .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٥) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٤ ب .

وكان يوما قد ترادف سحابُه، وتراكم ضبابُه، وحجب وجه الشمس نِقَابُه، فكان الإنسانُ لا يبصر رفيقه وهو يُسايره، ولا ينظر زميله وهو يُسامره، وكان ذلك لطفا من الله تعالى بالمسلمين وحقنا لدمائهم، فإنه لو تراءى الجمعان ووقع العيان على العيان لكان بينهم سفك دماء كثيرة[(١)].

فاستتر [٦٤٤] الملك السعيد عن العيون، ونجا من يد المنون، وطلع القلعة، ففتح له مماليكه الأبواب، فبلغ ذلك الأمراء، فشدُّوا عليه الحصار، فوقع التشاجر بين الخاصكيَّة والزَّرْدَكاش، وأسمعه لاجين الزيني غليظ الكلام، ولامه أعظم الملام، ونسبه إلى التقصير وسُوء التدبير؛ فتوغر خاطره، وساءت ضمائره، وترك القلعة، ونزل إلى الأمراء مخامرًا، وتسلَّل بعده المماليك واحدا بعد واحد[(٢)].

وكان الأمير علم الدين سنجر الحلبي معتقلا بالقلعة، فأخرجه [السلطان][(٣)] واستشاره فى أمره، فقال: أرى أن تعطيني هؤلاء المماليك الذين عندك، فأنزل بهم عليهم وأهجم عليهم وأفرق شملهم، فلم يوافقه على ذلك.

وتمادى الأمر أسبوعا وهو محصور، فأرسل إلى الأمراء مستعتباً فما أعتبوا، واستمرُّوا على مضايقته، فقال لهم: أنا أعطيكم جميع الشام [ولا تنقضوا هذا النظام][(٤)]،

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٤ أ.

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ أ.

(٣) [ ] إضافة للتوضيح.

(٤) إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ أ.

فأبوا إلا خلع نفسه من السلطنة [والتخلى عن المملكة[1]] ، فأرسل إلى الأمير سيف الدين قلاون ، والأمير بدر الدين بَيْسرى يلتمس منهما الكرك ، فأجابوه إلى سؤاله[2] ، وأنزلوه من القلعة على حاله ، وحلفوا له أنهم لا يؤذونه فى نفسه ، ولا يغيّرون عليه مغيّرا ، وأحلفوه أنه لا يتطرّق إلى غير الكرك ، ولا يكاتب أحدا من النواب ، ولا يستميل [إلى جهته[3]] أحدا من الجند ، ولا من الأعراب ، وسفّروه لوقته[4] .

ذكر تسفير الملك السعيد إلى الكرك :

ولما جرى ما ذكرنا نزل من القلعة[5] ، وسافر إلى الكرك صحبة الأمير سيف الدين بَيْدغان الركنى وجماعة يُوصلونه إلى الكرك ، فوصلها ، وتسلمها من

---

(١) إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ أ .

(٢) أورد المقريزى رواية أخرى فقال : « ولما طال الحصار بعث السلطان الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد يقول : يا أمراء إيش غرضكم ؟ فقالوا : يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ونعطيه الكرك ، فأذعن السعيد لذلك » — السلوك جـ ١ ص ٦٥٥ ، وانظر أيضا الجوهر الثمين ص ٢٩٢ .

وذكر ابن كثير : « ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى — وهو المشار إليه حينئذ — أن يترك الملك السعيد الملك ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون فى صحبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى جهة أخيه الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابكه » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٨ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ ب .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ أ ، ب .

(٥) « فى سابع عشر الشهر ، وهو ربيع الآخر » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٨ ، انظر ما يلى بالمتن .

النائب الذى هو بها وهو علاءُ الدين أيدكين الفخرى ، وتسلَّم ما بها من الأموال والذخائر والغلال .

وكان خروجه من المملكة فى [سابع](١) شهر ربيع الأول من هذه السنة ، أعنى سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وكانت مدة سلطنته من حين وفاة أبيه الملك الظاهر سنتين وشهرا وأياماً(٢) .

ذكر استقرار سيف الدين قلاون متحدِّثاً فى القلعة فى مصالح الناس :

ولما جرى ما ذكرنا طلع الأمير سيف الدين القلعة، ومعه الأمراء، وتصرف فى التدبير فى أمر المملكة من الأمر والنهى والأخذ والعطاء ، ولم يُسْفك [٦٤٥] فى هذه الحركة إلا دم رجل واحد وهو سيف الدين بكتُوت الحمصىّ فإنه كان بينه وبين الأمير شمس الدين سُنْقُرجَاه الظاهرى مشاجرة ، فلما طلع مع الملك السعيد إلى القلعة يوم وصوله صادفه سنقرجاه، وكان من حزب الأمراء، فطعنه فى حلقه، فحمل إلى قبة القلندرية(٣)، فمات من يومه ، ودفن بها ، ولم يُجْر شىءٌ سوى ذلك ، ولم يغن عن الملك السعيد كثرة ماله و كثرة مماليك أبيه ؛ بل كانوا وبالاً عليه .

(١) [ ] إضافة للتوضيح — السلوك جـ ١ ص ٦٥٥ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٥ ب .

« سنتين وشهرين وثمانية أيام » — السلوك جـ ١ ص ٦٥٥ .

(٣) زاوية القلندرية : خارج باب النصر من الجهة التى فيها الترب والمقابر بالقاهرة ، أنشأها الشيخ حسن القلندرى الجوالقى ، أحد فقراء العجم القلندرية ، والذين ينسبون إلى مؤسس هذه الفرقة الصوفية وهو قلندر يوسف — انظر وصف المقريزى لطائفة القلندرية فى المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٤٣٢ — ٤٣٤ ؛

ذكر سلطنة الملك العادل

بدر الدين سلامش بن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى

ولما تم خلع السلطان الملك السعيد وإرساله إلى الكرك ، عرضت السلطنة على الأمير سيف الدين قلاون ، وقال له الأمراء الأكابر الذين ذكرناهم : أنت أولى بتدبيرها ، وأحق بتقليد أمورها ، فأبى وقال : أنا لم أخلع الملك السعيد شَرِها إلى السلطنة وحرصا على المملكة ؛ لكن حفظا للنظام وأنفةً لجيوش الإسلام أن يتقدم عليهم الأصاغر ، [ويمتهنوا منهم الأعيان والأكابر](1) ، ويضيعوا مصالح العسكر ، والأولى أن لا يخرج الأمر من ذرية الملك الظاهر ، فأقام الأمير بدر الدين سلامش المذكور وله من العمر سبع سنين وشهور ، وأجلس فى السلطنة ، وخطب له على المنابر فى الأمصار ، [وذكر اسمه فى الأقطار](2) ، وضربت السكة باسمه ، وذلك فى شهر ربيع الأول(3) من هذه السنة ، واستقر الأمير سيف الدين قلاون الألفى فى الأتابكية ، واستوزر الصاحب برهان الدين الخضر أبى الحسن السنجارى لمعرفته به وبأخيه بدر الدين قاضى القضاة من الأيام الصالحية ، وذلك لأن الصاحب بهاء الدين على بن محمد كان قد توفى فى أوائل هذا العام والملك السعيد بالشام ، وكانت وزارته له ولأبيه من قبله تقدير تسع عشرة سنة(4) .

---

(1) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(2) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(3) « يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر » — النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٨٦ .

(4) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٩٦أ .

ذكر تولية سُنقُر الأشقر فى نيابة دمشق :

وقد ذكرنا أن نائب الشام عز الدين أيدمر الظاهرى قد قبض عليه وحبس فى قلعة القاهرة ، وكانت شاغرة من النائب ، فنهض سيف الدين قلاون وولى الأمير سنقر الأشقر نائبا بها ، وكان الذى يتولى أمر دمشق الى [٦٤٦] هذا الوقت بعد مسك نائبه المذكور الأمير أقوش الشمسى ، فلما قدم النائب الجديد وهو سنقر الأشقر إلى دمشق[1] فوض إلى أقوش الشمسى نيابة السلطنة بحلب ، فسار وتولاها ، واستمر الحال على ذلك مدة يسيرة .

وقال ابن كثير : وعزل قضاة مصر الثلاثة : الشافعى والحنفى والمالكى ، وولى القاضى صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز ، عوضا عن تقى الدين بن رزين ، « وكأنهم إنما عزلوا لكونهم توقفوا فى قضية الملك السعيد ، والله أعلم[2] » .

---

(١) « فى ثامن جمادى الآخرة » — السلوك جـ ١ ص ٦٥٧ .

(٢) « وكأنهم إنما عزلوه لأنه توقف فى خلع الملك السعيد ، والله أعلم » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٨ .

وقد أعيد قاضى القضاة معز الدين النعمان الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى ، وقاضى القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبو السعادات أحمد بن شكر المالكى — السلوك جـ ١ ص ٦٥٧ .

ذِكْر سلطنة الملك المنصور قلاون الألفي الصالحي

ولما حكم قلاون في أتابكيته أحضر من كان من البحرية الصالحية منسيًا، وقرّب مَنْ كان منهم مُبْعَدًا مقصيًا، فأعطاهم الإقطاعات، وأمّرهم بالطبلخانات، وأرسل بعضهم إلى الجهـات الشامية، واستنابهم في القـلاع، وأحسن إليهم ما استطاع، ومنهم من عيّن له جامكية، ومنهم من رتّب له جراية، وجازى المماليك الظاهرية بسُوءِ أفعالهم، وأذاقهم وبالَ أمرهـم، وأمر وبالِهم، وقبض على أعيانهم الذين سعوا في تخريب بيت مخدومهم وبيوتهم، وأرسلهم إلى الثغور، فأودعوا السجون، ومع ذلك لم يقطع عنهم برًّا، ثم أفرج عنهم واحدا بعد واحد على أحسن حال، وأعاد على بعضهم إمْرته[1].

ولما أحكم تدبير الأمور، وأحسن سياسة الجمهور، اجتمع أكابر الأمراء وأماثل ذوى الآراءِ على أنه لا فائدة في بقاءِ ذلك الصبي الصغير لانتشار السمعة في البلاد[2]، وامتهان الحرمة في أنفس الحواضر والبواد، وأن الرأى جلوس المخدوم في الدست استقلالا ليزداد الملك بهجة وجلالا.

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٦ب.

(٢) يذكر المقريزى رواية أخرى فيقول: «ثم جمع قلاون الأمراء في العشرين من رجب، وتحدث معهم في صغر سن الملك العادل» وقال لهم: قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك». السلوك جـ ١ ص ٦٥٨.

فأجابهم بالاستبداد بالأمور ، ولقب الملك المنصور ، وخلع سلامش من السلطنة ، فكانت مدته مائة يوم (١) .

وجلس سيف الدين قلاون على تخت السلطنة فى الطالع الأسعد ، والوقت الأحمد ، يوم الأحد ، وكان طالع جلوسه بالأسد الثانى والعشرين من رجب (٢) الفرد سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وخطب له على المنابر ، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق [٦٤٧] الأمراء وحلفوا ، ويذكر أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر النائب لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع ، وكأنه داخله حسد من المنصور ، وخطب للمنصور على المنابر المصرية والشامية والحلبية ، وضربت السكة باسمه ، وجرت الأمور فى البلدان بمقتضى رأيه وحكمه ، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجارى وولى مكانه مجد الدين بن لقمان (٣) كاتب السر وصاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٦ ب ، ٩٧ أ .

« خمسة شهور وأياما » الجوهر الثمين ص ٢٩٤ .

« ثلاثة أشهر وستة أيام » النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٨٨ .

(٢) « يوم الأحد ثانى عشر رجب الفرد » — الجوهر الثمين ص ٢٩٥ .

« يوم الأحد العشرين من رجب » — السلوك جـ١ ص ٦٦٣ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٣١ .

وما جاء فى السلوك يوافق حسابات التوفيقات الإلهامية حيث أن أول شهر رجب ٦٧٨هـ يوافق يوم ثلاثاء ، وعلى ذلك فالعشرين من رجب يوافق يوم أحد ، وقد أجمعت المصادر على أن توليه قلاوون كانت يوم أحد .

(٣) « فخر الدين » فى تذكرة النبيه جـ١ ص ٥١ .

وهو إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م — المنهل الصافى جـ ١ ص ١٢٦ رقم ٦٣ ، الوافى جـ ٦ ص ٩٧ رقم ٢٥٢٧ ، وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٩٣ م (٥) .

قال بيبرس مملوكه : لما تولى سيف الدين قلاون السلطنة رفع قدر عتقائه وألزامه، وصيرهم ولاة الأمور وقادة للعساكر، ونوابا فى الممالك[(1)] .

ذكر أسماء مماليكه الذين كانوا فى خدمته فى زمن الإمرة :

الأمير حسام الدين طرنطاى .

الأمير زين الدين كتبغا .

الأمير حسام الدين لاجين .

الأمير شمس الدين قراسنقر .

الأمير عز الدين أيبك الخزندار .

الأمير سيف الدين الطباخى .

الأمير علم الدين سنجر الشجاعى .

الأمير سيف الدين قطز .

الأمير ركن الدين الصيرفى .

الأمير علاء الدين أيدغدى الساقى .

الأمير علاء الدين علق .

الأمير عز الدين الجلدكى .

---

(1) لم يقصد بيبرس الدوادار هذا المعنى الذى أورده العينى ، فقد ذكر بيبرس أثناء كلامه عن صفات قلاون « وكان حليما ، عفيفا عن سفك الدماء ، مقتصدا فى العقاب ، كارها للأذى ، لا جرم أن الله جازاه فى ذريته وحاشيته بالحسنى ورفع قدر عتقائه ... الخ » .
زبدة الفكرة جـ ٩ ، ورقة ٩٨ أ .

الأمير علم الدين سنجر المعصري .

الأمير علم الدين سنجر أرجواش .

الأمير سيف الدين طغريل المشرف .

الأمير سيف الدين بجقار .

« الأمير عز الدين أيبك الموصلي » (١) .

الأمير بدر الدين بيليك الطيار .

الأمير سيف الدين تازي .

الأمير سيف الدين طَيْبغا الرومي .

الأمير سيف الدين كاوَرْكا .

الأمير سيف الدين طاجار .

الأمير سيف الدين بليان الرومي .

الأمير عز الدين أيبك الطويل (٢) .

الأمير جمال الدين أقوش بُرْناق .

الأمير بدر الدين بكتوت البخلاق .

الأمير سيف الدين سلّار .

الأمير بدر الدين بَيْدَرا .

---

(١) « » ساقط من زبدة الفكرة .

(٢) اسم هذا الأمير مكرر في الأصل قبل ذلك بثلاثة أسماء ، وأبقينا عليه في هذا الموضع ليتفق مع ما ورد في زبدة الفكرة .

الأمير سيف قبجاق .

الأمير سيف الدين جاورشى .

الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة .

الأمير جمال الدين أقوش الأسدى .

الأمير علم الدين سنجر أمير آخور .

الأمير عز الدين أيدمر الزردكاش .

الأمير علاء الدين طيبرس .

علاء الدين الطبرس .

بدر الدين كيكلدى الشحنة .

بدر الدين بيليك الشحنة .

بيبرس الدوادار صاحب التاريخ (١) .

فمنهم من ارتقى [٦٤٨] إلى المملكة وجلس على كرسى السلطنة ، ومنهم من تولى النيابة بالممالك الشامية والحصون الإسلامية ، ومنهم من تقدم إلى تقدمة الألوف (٢) .

ومن أجناده أيضا وخدامه من ارتقى إلى الإمرة بالطبلخاناة وهم : الأمير عز الدين أيدمر الجناحى ، والأمير سيف الدين ألدق (٣) الخوارزمى ، والأمير

(١) « وناقل هذه الآثار ، بيبرس الدوادار » فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٩ أ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٨ ب ، ٩٩ أ .

(٣) « الدق » فى زبدة الفكرة .

عز الدين الكورانى ، والأمير علم الدين الأصبهانى ، والأمير شمس الدين الدكز أمير آخور[(١)] ، وعلاء الدين النقيب ، والطواشى شهاب الدين مرشد .

وأما من حوت[(٢)] يده بعد السلطنة من المماليك المنصورية الذين اشتراهم بأنفس الأثمان ، فإنهم انتهوا فى آخر دولته إلى ما ينيف على ستة آلاف مملوك أرباب إقطاعات ، وأصحاب جامكيات ، وأمراء طبلخانات[(٣)] .

وافتتح دولته النيرة وأيامه الزاهرة بما أصلح به دار الدنيا وعمر به دار الآخرة بإبطاله زكاة الدولبة[(٤)] ، وقد كانت أجحفت بالرعية ، فأبطل حكمها ، وعفى رسمها ، ورسم بأن يوضع ارتفاعها من وجوه الأملاك ، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال[(٥)] .

ولما استقر فى السلطنة أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ورتبه فى نيابة السلطنة ، فباشرها مدة يسيرة ، ثم سأل الإعفاء منها فأعفاه ورتب الأمير حسام الدين طرنطاى مملوكه نائبا ، وكان شهما شجاعا ، ذا همة عالية ، وكفاية كافية ، وكان لا يحسن الخط ولا القراءة ، لكن كان يستعين بذكائه .

(١) « الجيراخور » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « حوته » فى زبدة الفكرة .

(٣) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٨ ب ، ٩٩ أ .

(٤) زكاة الدولبة : هى مال كان يؤخذ من أصحاب الأموال ولو عدم المال ، وإن مات من فقر أخذ ذلك من ورثته — المواعظ والإعتبار جـ ١ ص ١٠٦ .

وانظر أيضا نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ص ٢٦٨ ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٩ ب ، السلوك جـ ١ ص ٦٦٤

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ٩٩ ب .

فأحسن التدبير وحفظ النظام ومكّن الله مهابته فى قلوب الخاصة والعوام ، وقام بأمر نيابة السلطنة أحسن قيام(١) .

ذكر تجريد السلطان الملك المنصور الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى إلى الشوبك وصحبته عسكر من الديار المصرية :

وذلك لأن الملك السعيد كان قد شرط السلطان عليه شروطا لما طلب الرواح إلى الكرك ، منها : أنه لا يكاتب أحدا من النواب ، ولا يستفسد أحدا من العساكر ويستحفظى القلاع ، وأخذ عليه بذلك العهود والأيمان ، فلما صار بالكرك لعب بعقله من كان معه من المماليك ، وحسّنوا له [أن](٢) يُسيِّرهم ليأخذوا الشوبك(٣) وبلاد الشام أولا فأولا ، ثم بعد ذلك يقصدون الديار المصرية ، فمال إلى موافقتهم ، وحسنوا له أن يكاتب النواب ويراسلهم ، ففعل ذلك ، وبلغ الملك المنصور ذلك ، فكاتبه وعذله ، فلم يغن [٦٤٩] ذلك شيئاً ، وسيّر حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية إلى الشوبك ، فأقام فيها وتغلّب عليها ، ثم جرّد السلطان الأمير بدر الدين المذكور ، فنزل عليها بمن معه وضايق أهلها ، فتسلّمها فى العاشر من ذى القعدة من هذه السنة ، ورتب فيها نائبا عز الدين الموصلى وعاد عنها(٤) .

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٠ أ .

(٢) [ ] إضافة تتفق مع سياق الكلام .

(٣) الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة القلزم ، قرب الكرك — معجم البلدان .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٠ أ ب ، ١٠١ أ .

ذكر وفاة السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان[1] أبي المعالي بن السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي البندقداري :

قد ذكرنا أن أباه بايع له الأمراء في حياته ، فلما توفى أبوه بويع له بالملك وله تسع عشرة سنة ، ومشت الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم أنه غلبت عليه الخاصكية ، فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فربما جاءت النوبة عليه ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك ، وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب به الغلمان ، فراسلوه ليرجع عن ذلك ، فلم يقبل ، فخلعوه كما ذكرنا ، وولوا أخاه الملك العادل ، ثم خلعوه كما ذكرنا ، ثم ولوا الملك المنصور قلاون ، وأرسلوا الملك السعيد إلى الكرك كما ذكرنا ، ثم كانت وفاته بالكرك يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة ، وسبب ذلك أنه لعب بالأكرة في ميدان الكرك ، فتقنطر به فرسه ومرض أياما ومات ، وحمل إلى دمشق ، فدفن في تربة أبيه الملك الظاهر ، وعمل عزاه بمصر في الثاني والعشرين من ذى القعدة.

وقال ابن كثير : ويقال إنه سُمّ ، والله أعلم ، فدفن أولا عند قبر جعفر الطيار وأصحابه رضى الله عنهم بمؤته، ثم نقل إلى تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة[2] .

وقال بيبرس[3] : بقى مُصَبَّرًا في تابوت مدة ، ثم حمل إلى تربة أبيه .

(١) وله أيضا ترجمة في : درة الأسلاك ص ٦٠ ، المنهل الصافي ، زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ أ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٥٣ ، الوافي جـ ٢ ص ٢٧٤ رقم ٦٩٧ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٥٩ ، السلوك جـ ١ ص ٦٦٩ ، ٦٧٤ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٠ ، العبر جـ ٥ ص ٣٢١ ، الجوهر الثمين ص ٢٩٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٦٥ .

(٢) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٠ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ أ .

ذكر قيام نجم الدين خضر مقام أخيه الملك السعيد :

ولما مات الملك السعيد كان نائبه في الكرك علاء الدين أيدغدى الحرانى الظاهرى ، فاتفق هو ومن معه وأقاموا أخاه نجم الدين خضر مقامه ، ولقبوه بالملك المسعود ، وشرع المماليك الذى حوله فى سوء التدبير وفرط التقرير ، فأنفقوا الأموال ، واستخدموا على زعمهم الرجال طمعا فى استرجاع الفائت واستدراك الفارط . هيهات ، وقد أراد الله تعالى نقض القواعد الظاهرية بإظهار الدولة المنصورية ، وتوجه منهم جماعة إلى الصلت ، فأخذوها وأرسلوا [٦٥٠] إلى صرخد ، فلم يقدروا عليها ، وكاتبوا شمس الدين سنقر وراسلوه فى الاتفاق ، ودبّت بينهم عقارب النفاق ، وكان سنقر الأشقر قد خرج عن الطاعة .

ذكر سلطنة سُنْقر الأشقر فى دمشق :

ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى القعدة[1] من هذه السنة ركب الأمير سنقر من دار السعادة بعد صلاة العصر ، وبين يديه جماعة من الأمراء والجند مشاة ، وقصد باب القلعة الذى يلى المدينة ، فهجم منه ودخلها ، واستدعى بالأمراء ، فبايعهم له ، وتسلطن وتلقب بالملك الكامل ، وأقام بها ، ونادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والأعيان والعلماء ورؤساء البلد وأكابر الدولة إلى مسجد أبى الدرداء رضى الله عنه ، فحلّفهم وحلف لهم ، وحلف له أيضا بقية الأمراء والعسكر ، وأرسل عسكرا إلى غزّة لحفظ الأطراف وأخذ الغلات .

(١) « ذي الحجة » في تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٦٢ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٣٤ .

وقال بيبرس : أوهم الأمير شمس الدين سنقر المذكور أمراء الشام وأكابرها أن السلطان الملك المنصور قد قتل على القمز ، واستحلفهم لنفسه ، معتقدين عدم السلطان ، وركب بشعار السلطنة[1] .

ولما تولى نيابة دمشق واستقربها فى شهر جمادى الآخرة من هذه السنة شرع فى تسلّم القلاع من يد النواب الظاهرية ، وترتيب النواب المنصوريّة ، فسولت له نفسه الاستبداد بالسلطنة فى الشام وأعماله ، وخطر هذا الأمر بباله ، فعند ذلك جمع الأمراء وجرى منه ما ذكرناه الآن .

ذكر تجريد السُلْطان الملك المنصور الأمير عز الدين الأفرم أمير جاندار إلى الشام وصحبته بعض العسكر لينازل الكرك على طريق الإرهاب :

فتوجّه فى آخر ذى الحجة من الديار المصريّة سالكا على طريق الكفرين وغمرين وأريحا ، ولما بلغ ذلك شمس الدين سنقر الأشقر توهّم أنه واصل لحربه وأخذه ، فكتب إليه كتابا ينهاه عن المسير ويثبّطه عن المصير مضمونه :

إنى مهدّتُ الشام ، وفتحت القلاع ، وبذلت فى خدمة السلطان مالم يبذله أحد ، وكان شرطى معه أن أكون حاكما من الفرات إلى العريش ، فاستناب [٦٥١] أقوش الشمسى بحلب ، وعلاء الدين الكبكى بصفد ، وسيف الطباخى بحصن

(١) هذا النص لا يوجد فى نسخة زبدة الفكرة جـ ٩ التى بين أيدينا ، حيث يوجد فيها اضطراب فى النص .

الأكراد ، وآخر الحال يُسيِّر إليَّ من يُمْسكني ، فلا تقطع العقبة ، ولا تَدْنُ من البلاد ، وإن غررت فقد عيَّنا لك الضيافة ، واتبع كتابه بتجريد يَزَكْ إلى أُربُدَ لحفظ الطريق (١) .

فأرسل الأمير عز الدين الأفرم كتابه هذا إلى السلطان طي مطالعته ، فكتب السلطان إلى شمس الدين سنقر الأشقر من جهته ومن جهة خُوشْداشِيَّته يُقَبِّحون عليه هذا الفعل الذى يفرِّق الكلمة ، ويوهن الأُمَّة ، وأرسل إليه الكُتُبَ صحبة البريد ، ثم جُهِّز إليه الأمير سيف الدين بلبان الكريمى العلائى خُوشداشه ليسترجعه عما هو عليه ، فلم يسمع منه ولا أصغى إليه (٢) .

وأما الأمير عز الدين الأفرم فإنه عند ورود كتاب سنقر الأشقر إليه رجع إلى غزة ، إذ لم يكن معه جمع يُقابل عسكر الشام ، فلما وصلها وافى الأمير بدر الدين الأيدمرى عائدا من الشوبك بعد أخذها بمن معه من العسكر ، فاجتمع كلاهما على غزة ، فجمع سنقر الأشقر العساكر من حلب وحماة وحمص ، واستدعى الكبكى من صفد ، والعربان من البلاد ، وجهز من عسكر الشام جماعة وقدّم عليهم الأمير قراسنقر المُعِزى ، فساروا إلى غزة ، والتقوا مع الأميرين عز الدين الأفرم وبدر الدين الأيدُمرى على غزة ، وكانت الكسرة على العسكر الشامى ، فاستظهر العسكر المصرى عليهم وأسروا منهم جماعةً فيهم من الأعيان : بدر الدين كِنجك الخوارزمى ، وبهاء الدين يملك الناصرى ، وناصر الدين باشقرد الناصرى ،

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٢ أ .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٢ أ .

وبدر الدين بَيْليك الحلبى[1] ، وعلم الدين سنجر البدرى ، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون ، وسُيِّروا إلى الأبواب السلطانيَّة ، فأحسن السلطان إليهم وخلع عليهم ولم يعنِّفهم على ما جرى منهم[2] .

ولما عادَ قلَ عسكر الشام إليه وأخبروه بمن أسر منهم شرع فى تجريد الإهتمام ، واجتهد فى الإستخدام ، وخرج بنفسه[3] ، وذلك كله فى السنة الآتية على ما نذكره إن شاء الله تعالى ، وإنما ذكرنا هذا المقدار فى هذه السنة ليتم الكلام على نسَقه ولا ينقطع .

ذكر بقيَّة الحوادث فى هذه السنة :

منها : أن فتح الدين بن القيسرانى [٦٥٢] عزل عن الوزارة بدمشق ووليها تقى الدين التوبةَ التكريتى[4] .

ومنها : أن الملك أبغا بن هلاون ملك قلعتى نايَروان وأُوشُلوان[5] من يد الكرج ، وكانتا فى يد السلطان علاء الدين صاحب الروم ، فلما استولت التتار على الممالك الروميَّة وضعت الكرج أيديهم عليهما وعلى قلعة بَابَرْت وأعمالها ، فاسترجعهم أبغا وسلَّمهم إلى النائب بالروم[6] .

---

(١) « بن » فى الأصل ، وفى زبدة الفكرة والتصحيح من السلوك جـ ١ ص ٦٧٥ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٢ أ ، ب .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٢ ب .

(٤) هو توبة بن على بن مهاجر بن شجاع بن توبة ، الصاحب تقى الدين أبو البقاء الربعى التكريتى ، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م — المنهل الصافى جـ ٤ ص ١٧٩ رقم ٨٠٢ .

(٥) « بابروان وواشلوان » فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب .

(٦) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب .

ومنها : أن السلطان الملك المنصور رتّب علم الدين سنجر الشجاعى أحد مماليكه فى شدّ الدواوين ، والحديث مع الوزير ، واستخراج الأموال ، فكوتب من الولاة بشادّ الدولة الشريفة (١) .

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب .

ذكر مَنْ تُوفى فيها من الأعيان

عبد السلام[(١)] بن أحمد بن غانم بن على بن إبراهيم بن عساكر بن حسين، عز الدين أبو محمد الأنصارى المقدسى، الواعظ المُطيق المُفلق، الشاعر الفصيح الذى ينسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله.

وقع من موضع مرتفع فتوجع قليلا، ومات يوم الأربعاء الثامن عشر من شوال من هذه السنة بالقاهرة، ودفن بمقابر باب النصر، ولم يبلغ خمسين سنة، وله تصانيف كثيرة منها: تفسير القرآن فى مجلد، وتلبيس إبليس وغيرهما، وكان له قبول من الناس، وقد تكلم مرة تجاه الكعبة المعظمة وفى الحضرة الشيخ تاج الدين الفزارى والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وابن العُجَيل من اليمن وغيرهم من سادات العبّاد والعلماء، فأجادوا وأفادوا، وخطب فأبلغ، وأحسن نقل هذا المجلس بحروفه الشيخ شرف الدين الفزارى، وأنه كان سنة خمس وسبعين وستمائة.

الشيخ عمر[(٢)] بن مزاحم.

والشيخ أبو الفضل على[(٣)] بن رضوان العدوى.

---

(١) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٥٠، مرآة الجنان جـ ٤ ص ١٩٠، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٢، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٨٩، العبر جـ ٥ ص ٣٢١، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٦٦.

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب.

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب.

وصاين الدين عبد الله(١) الخوارزمى أحد الصوفية بخانقاة سعيد السعداء .

والشيخ الكبير قدوة المشايخ الروزبهارى الكازرونى .

والشيخ الصالح مبارك الحبشى خادم الشيخ أبى السعود ، ماتوا كلهم فى هذه السنة .

الأمير نور الدين على بن عمر(٢) بن مُجلى(٣) الهكارى .

ولى نيابة السلطنة بحلب وأعمالها من سنة تسع وخمسين وستمائة إلى هذه السنة ، وعزل عنها قبل موته بالأمير علاء الدين [٦٥٣] أيدغدى الكبكى ، وتوفى بعد عزله بأيام قليلة فى هذه السنة بحلب ودفن بها ، و كان حسن السيرة، كثير التواضع للعلماء والفقراء ، وكان والده الأمير عز الدين من أكابر الأمراء بحلب .

الأمير جمال الدين أقوش(٤) الركنى المعروف بالبطاح .

أحد أمراء دمشق ، كان مجردا مع العسكر فى سيس، فلما عاد مرض بحلب ومات بها ، ونقل إلى حمص ودفن بمقبرة خالد بن الوليد رضى الله عنه .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠١ ب .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٦١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٥٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٩٠ ، السلوك جـ ١ ص ٦٧٤ .

(٣) « عثمان » فى الأصل ، والتصحيح من مصادر الترجمة .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢٢ رقم ٥١٤ ، الوافى جـ ٩ ص ٣٢٤ رقم ٤٢٦٠ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٨٩ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٦٤ .

ويرد فى المنهل أنه توفى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م ، ويبدو أنه تحريف .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السنة التاسعة والسبعين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة أولها يوم الخميس ثالث أيار ، والخليفة هو: الحاكم بأمر الله العباسي .

وسلطان الديار المصرية : الملك المنصور سيف الدين قلاون الألفي الصالحي ، وبيده بعض بلاد الشام أيضا .

وأما دمشق وأعمالها فقد استحوذ عليها الملك الكامل شمس الدين سنقر الأشقر .

وصاحب الكرك : الملك المسعود نجم الدين خضر بن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري .

وصاحب حماة : الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود .

وفي صفد : علاء الدين الكبكي .

وفي حلب : أقوش الشمسي .

وصاحب بلاد الروم : السلطان غياث الدين بن السلطان ركن الدين قليج أرسلان ، ولكن لاحكم له سوى الاسم ، والحاكم عليها التتار .

(*) يوافق أولها الخميس ٣ مايو ١٢٨٠ م .

وبلاد العراق ، وخرسان ، والجزيرة ، والموصل ، وأربل ، وأذربيجان ، وديار بكر ، وأخلاط ، وغيرها بأيدى التتار وكبيرهم أبغا بن هلاون .

وصاحب اليمن : الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول .

وصاحب مكة : الشريف نجم الدين بن أبى نمى الحسنى .

وصاحب المدينة : عز الدين جماز بن سالم الحسينى .

ففى مستهل هذه السنة ركب سنقر الأشقر الذى تسلطن فى دمشق وتلقب بالملك الكامل من القلعة إلى الميدان الأخضر، وبين يديه الأمراء ومقدمو الحلقة رجالة يحملون الغاشية وعليهم الخلع ، والقضاة والأعيان راكبون بالخلع، فسير فى الميدان ساعة ، ثم رجع إلى القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا ملك العرب، فقبل [٦٥٤] الأرض بين يديه، وجلس إلى جانبه وهو على السماط ، وقام له الكامل ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك أعراب الحجاز ، وأمر الكامل أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضى شمس الدين بن خلكان رحمه الله ، وولاه تدريس الأمينية(١) وانتزعها من يد نجم الدين بن سنى الدولة ، فدرس بها ابن خلكان(٢) .

(١) المدرسة الأمينية بدمشق ، أنشأها أمين الدولة كمشتكين بن عبد الله الطغتكينى ، المتوفى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م — الدارس جـ ١ ص ١٧٨ ، خطط الشام جـ ٦ ص ٨٧ .

(٢) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٠ .

ولما بلغ السلطان الملك المنصور ذلك أرسل إليه جيشا كثيفا على ما نذكره عن قريب، وقد ذكرنا فى السنة الماضية أن المنصور قد أرسل الأمير عز الدين الأفرم فى عسكر ليُرهبَ بذلك الجماعة الذين بالكرك، وأن سنقر الأشقر أرسل أيضا طائفة من العسكر وتقاتلوا على غزّة، فانكسر عسكر الشام ورجعوا منهزمين إلى سنقر الأشقر، ثم أن سنقر الأشقر تجهّز وخرج بنفسه[1].

ذكر خروج شمس الدين سُنقر الأشقر الملقب بالملك الكامل من دمشق بعسكره لقتال العسكر الذين خرجوا من مصر من عند السلطان الملك المنصور قلاون :

ولما تجهّز الكامل خرج من دمشق، ونزل بظاهرها، وكاتب الأمراء الذين بغزة يستميلهم إليه، وأعطى كلا منهم قلعةً من القلاع، ووعدهم وعودا تمتدّ إلى مثلها الأطماع، وأنفق فى العسكر الذين معه.

وأما السلطان الملك المنصور فإنه جرّد من الديار المصريّة الأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، ومعهما عسكر، فوصلا إلى غزّة واجتمعا بالأميرين اللذين بغزّة وهما الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمرى، وتكاثر العسكر وتعاضدوا، وسار الأمير علم الدين الحلبي بهم طالبا دمشق، فوصل إلى الكسوة ورتّب الأطلاب وتقدّم،

(١) انظر ما سبق ص ٢٣٤ — ٢٣٦.

فوجد شمس الدين سنقر الأشقر فى عساكر الشام مُطَلِّبًا وافقاعلى الجُسُورَة ، فالتقى الجمعان والتحم القتال ، فساق الأمير علم الدين الحلبى على سنقر الأشقر ، فلما صدمه هزمه ، فتوجه طالبا [طريق](1) الرحبة ومعه شرف الدين عيسى بن مُهَنّى وكانت هذه الكسرة فى تاسع عشر صفر من هذه السنة .

ونزل الأمير علم الدين الحلبى [٦٥٥] ظاهر دمشق ، وتسلمها ، وأنزل الأمير علاء الدين كُشْتُغدى الشمسى فى قلعتها ، وكان السلطان الملك المنصور لما فوض نيابة الشام إلى سنقر الأشقر فوض أيضا نيابة قلعة دمشق إلى حسام الدين لاجين السلحدار أحد مماليكه ، فلما جلس سنقر الأشقر فى السلطنة قبض عليه واعتقله ، واعتقل معه الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ، لأنه لم يحلف له فيمن حلف من عسكر الشام ، فأفرج عنهما بعد كسرته ، واستقر الأمير حسام الدين لاجين المنصورى نائب السلطنة بدمشق ، وكتب الأمير علم الدين الحلبى إلى السلطان بالنصر ، وأرسل إليه مَنْ حصل من الأمراء فى الأسْر ، فعاملهم السلطان بالعفو الجميل ، وأعطاهم الحوائص الذهب ، والخيول العربية ، وتعابى القماش الملوكية حتى لقد حمدوا عاقبة نفاقهم لأنه كان سببا لصلة أرزاقهم ، فكانوا كما قيل :

وسعتْ عواطفُك الجُناة بأسرهم	وأقلْتَ كلًّا منهم عثراتِه
وجزيت مرتكب الإساءة منهم	الحسنى فأصبح شاكرا زَلّاتِه

(١) [ ] إضافة للتوضيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٣ أ .

وأعاد من كان إقطاعُه بدمشق إلى ما كان عليه ، وعفا عفـوا لم يسبقه أحـد إليه[(1)] .

وقال بيبرس فى تاريخه : أخبرنى من حضر هذه الوقعة أن سنقر الأشقر لمـا التقى مع علم الدين الحلبىّ دبّر حيلةً أراد بها التمكُّن والاستظهار ، فاحترز الحلبىُّ منها وأخذ الحِذارَ لأنه كان قد مارس الخطوب وباشر الحروب وشهد المواقف وخاض المتالف ، فلم تتم عليه الحيلة ، ولا نشب فيما نصب خصمُه من الأُحْبُولَة ، وهى أنه قرَّر مع العربان الذين جمعهم أن يقاطعوا ساعة الملتقى على العساكر المصرية ويجيئوهم من ورائهم ويحطوا أيديهـم فى نهب الأثقال والغلمان والجمال ليثنوا إليهم عنانهم ، فيركَبَ أكتافَهم ، ففعل العرب ما أوصاهم وجاءُوا من ورائهم وشرعوا فى النهب .

فقال له العسكر : إن العرب قد نهبت الأثقال والقماش والأحمال . فقال : لا تلتفتوا إليهم ولا تعرِّجوا عليهم ، وشأنكم ومن قدامكم ، فإنا إذا هزمناهم استرجعنا الذى [٦٥٦] لنا ، وغنمنا الذى لهم ، فأطاعوه وتقدموا ، فاستظهروا وغنموا ، وهذا تدبير ينبغى لمن يتقدَّم على الجيوش أن يُحكِمَهُ ، ولِمَنْ يمارِسُ الحـروب أن يفهمَه[(2)] .

وقال ابن كثير : ولمـا استقرَّ ركاب علم الدين الحلبي فى دمشق بعد انتصاره على سنقر الأشقر جاء إليه قاضى القضاة شمس الدين بن خلّكان ليسلّم عليه ، فقبض

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٣ أ ، ب .

(٢) زبدة الفكر جـ٩ ورقة ١٠٣ ب .

عليه واعتقله فى الخانقاة النجيبيّة ، وكان ذلك فى يوم الخميس العشرين من صفر من هـذه السنة ، ورسم للقاضى نجم الدين بن سنىّ الدولة بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريديّة ومعهم كتاب من الملك المنصور بالعفو عنهم كلهم (١) ، فتضاعفت الأدعية للسلطان ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين السلاحدار المنصورى ، فدخل معـه علم الدين سنجر الحلبى إلى دار السعادة ، ورسم الحلبى للقاضى شمس الدين بن خلكان أن يتحول من المدرسة العادلية الكبـيرة ليسكنها قاضي القضاة نجم الدين بن سنىّ الدولة وألحّ عليه فى ذلك ، فاستدعى جمالا لينقل أهله ونقله عليها إلى الصالحية ، فجاء البريدُ بكتاب من السلطان فيه تقرير قاضى القضاة ابن خلكان على القضاء والعفو عنه وشكره والثناء عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، و[معه] (٢) خلعة سنيّة [له] (٣) ، فلبسها وصلى بها الجمعة ، وسَلّم على الأمراء فأكرموه وعظموه ، وفرح الناس كلهم بما وقع من الصفح عنهم (٤) وأمنهم فى أوطانهم (٥) .

ذكرُ ما جرى على سُنقر الأشقر بعد انهزامه :

قد ذكرنا أنه لمـا انهزم توجه إلى الرحبة مع العرب ، وتفرق عنه أصحابه ، ومَنْ كان معه ، وتركوه ، وتراجع أكثرهم إلى السلطان لمـا علموا أنه أغمد سيف الانتقام ، وأنشأ سحب الحـلم والإنعام ، ورأى سـنقر الأشقر نفسَهُ وحيـدًا ،

(١) « بالعتب على طوائف الناس ، والعفو عنه كلهم » — البداية والنهاية .

(٢) ، (٣) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٤) « عنه » فى البداية والنهاية .

(٥) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩١ .

فطالب النائب بالرحبة بتسليمها إليه ، فأبى وامتنع ، وكان يُسمّى الموفّق خضر الرحبي ، فكاتب عند ذلك أبغا بن هلاون ملك التتار يُعرّفه أن كلمة الإسلام قد تفرقت ، وحُلّة الإلتئام قد تمزقت ، ويحثّه على المسير إلى البلاد [٦٥٧] الشاميّة ليتملكها ، ويَعِدُه المناصرة عليها والمساعدة إذا جاءَ إليها ، وكتب معه شرف الدين عيسى بن مُهَنّا ملك العرب بمثل ذلك ، وجهّز إليه قُصّادا ، فكان ذلك باعثا على حضوره على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

فأرسل إليه السلطان شمس الدين سنقر الأشرفي يستميله ، ويتلطّف به ليعُود ، ويُمَنّي له الوعُود ، فأبى إلا الامتداد فى غُلواءِ جهالته ، والإشتداد فى ميدان ضلالته ، وكان عند تغلبه على الشام قد كاتب النواب الذين بالقلاع ، فنهم من لم يُطِعْه ومنهم مَنْ أطاع ، فكان ممن أطاعه : صهيون ، وبُرْزَيَه ، وبلاطُنس ، والشُغْر ، وبكاس ، وحصن عكّار ، وشيزر ، وحمص ، ولما ضاقت به رحابُ الرحبة بقى حائرا فى أمره ، وجرّد إليه السلطان جيشا صحبة الأمير حسام الدين بن أطلس خان ، فبادر هو وعيسى بن مُهنّا بالهرب إلى صهيون (١) وذلك فى جمادى الأولى من السنة المذكورة (٢) ، فعاد ابن أطلس خان ومَنْ معه ، وقد كان بصهيون أولاد شمس الدين سنقر وحواصله (٣) .

---

(١) صهيون : بكسر أوله ثم السكون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام — معجم البلدان .

(٢) ذكر ابن دقاق أن ذلك كان سنة ٦٧٨ هـ ، وهو تحريف — الجوهر الثمين ص ٢٩٦ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٤ أ ، ب .

وأما علم الدين سنجر الحلبي الذى دخل الشام بمن معه من الأمراء والعسكر بعد هروب شمس الدين سنقر الأشقر، فقد عادوا من الشام إلى الديار المصريّة، فشملتهم الخلع السلطانيّة والإنعام الجزيل.

ذكر تجريد السُلطان عزّ الدين الأفرم لحصار شيزر وبها عزّ الدين كُرجى:

ولما وصل إليها ونازلها واشتغل بحصارها جاءت الأخبار بوصول التتار على ثلاث فرق: فرقة من جهة الروم مقدمهم صُمْغَار ويَنْجى وطرنجى، وفرقة من الشرق مقدمهم بَيْدو بن طَرْغاى أخى أبغا بن هلاون وصحبته صاحب ماردين وصاحب آمد، والفرقة الثالثة وفيها معظم العسكر وشره المغول صحبة منكوتمر بن هلاون، وتواترت الأخبار بذلك وتداركت القُصاد بقربهم من بلد الروم وأن صاحب سيس خرج إليهم من طريق الدَّرْبَساك.

وكتب السلطان مُتواترةً إلى سنقر الأشقر يستميله عن سُوء رَأْيه، ويقبح عليه ما ظهر من غدره ومُناصرته الكفر على الإسلام آخر عمره.

ولما تحقق الأمير عز الدين الأفرم مقاربة [٦٥٨] التتار الفراتَ رحل عن شيزر وكتب إلى سنقر الأشقر بمثل ما أشار به السلطان إليه من التعنيف والتخويف والترهيب والترغيب، فجنح إلى سلْم الإسلام وأصاخ إلى التوبيخ والملام، ونزل من

صهيون إلى الجراص على عزم إنجاد المسلمين والرجوع إلى مظافرة الدين، وجفل عسكر حلب وحمص وحماة [(١)].

ذكر تجهيز السلطان للسفر إلى الشام :

ولما تواترت الأخبار لمجئ التتار، ومال سنقر الأشقر إلى الصلح والإنقياد والرجوع عما هو فيه، تأهب السلطان الملك المنصور للسفر إلى جهة الشام، وفوض السلطنة لولى عهده ولده الملك الصالح علاء الدين على [(٢)]، وذلك بعد أن جمع الأمراء الكبار، وعرض عليهم تفويض السلطنة إليه، والكل رضوا بذلك، وفرحوا على ذلك، واتفقت آراؤهم عليه، فعند ذلك ركب بشعار السلطنة [(٣)]، وشق المدينة، وطلع القلعة، وجلس على مرتبته، وكتب له تقليد شريف نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، [وبه أثق] [(٤)].

الحمد لله الذى شرف [سرير] [(٥)] الملك بعليه، وحاطه منه بوصيه، وعضد منصوره بولاية عهد مهديه، وأسمى حاتم جوده بمكارم حازها بسبق عديه، وأبهج

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٥ أ.

(٢) توفى فى حياة أبيه فى شعبان ٦٨٧هـ/سبتمبر ١٢٨٨م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٨٧هـ.

(٣) « فى حادى عشر شهر رجب الفرد » — كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٢٨ .

« فى شهر رجب » — الجوهر الثمين ص ٢٩٧ .

« فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الآخرة » — تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ١٨٦ .

(٤) (٥) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٥ ب .

خيرَ الآباء بخير الأبناء بمن يسمو أبيه منه تشريف الخلق أبيه (١) (٢)، وغذى روضه بمتابعة وسميّه ومسارعة وليّه، نحمده على نعمه التى جمعت إلى الزَّهْر الثَّمَرْ، وأضافت إلى نور الشمس هداية القمر، ودارکت بالبحر وباركت فى النهر، وأجملت المبتدأ وأحسنت الخبر، وجمعت فى لذاذة الأوقات وطيبها بين رقَّة (٣) الآصال ورقَّة البُكر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تَلْهَج الألسنةُ منها فى كلِّ ساعة جديدا، ونتفيأُ منها ظلًّا مديدا، ونستقرب منها من الآمال ما يراه سَرابا (٤) بعيدا، ونصلِّى على سيدنا محمد الذى طهَّر الله به هذه الأمة من الأدناس، وجعلها بهدايته زاكية الغِراس، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من فهم حُسن استخلافه (٥) بالأمر له بالصلاة بالناس، ومنهم من بنى اللهُ به قواعدَ الدين وجعله [٦٥٩] مُوَطَّدَ الأساس، ومنهم من جهَّز العُسْرة وواسى بماله حين الضرَّاء والبأس، ومنهم مَنْ قال عنه صلى الله عليه وسلَّم : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجُلاً يحبُّه الله ورسوله ويحبُّ الله ورسوله » فحسن الالتماس بذلك الاقتباس، وزاد فى شرفه بأن طهَّر أهل بيته وأذهب عنهم الأرجاس، صلاة لا تزال تُرددُ تردّد الأنفاس، ولا تبرح فى الإناء حسنة الإيناس .

---

(١) « من خير » فى زبدة الفكرة .

(٢) « أسموا به » فى الأصل والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « رونق » فى زبدة الفكرة .

(٤) « سرابا » فى زبدة الفكرة .

(٥) « خلافه » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

وبعدُ : فإن خيرَ مَنْ شَرُفَتْ مراتبُ السلطنة بحلُوله ، وفوقت مَلابسُ التحكيم لقبوله ، ومَنْ يُزهى مطالعَ الملك بإشراقه ، وتتبادَرُ الممالكُ مُذعنةً لاستحقاقه ، ومَنْ يَزدهي به مُلكُ منصوره ، نصره الله ، موطده وولى عهده ، مكنه الله بأبيه ، ومَنْ يتشرَّف إيوانُ عظمة إن غاب والدُه في مصلحة الإسلام ، فهو صدرُه ، وإن حضر فهو ثانيه ، ومَن يتحمل غابَ الإيالة منه بخير شبلٍ كفل ليثًا ، ويتكفل غوث الأمة بخيرِ وابلٍ خلفَ غيثًا ، ومَنْ أُلهِمَ الأخلاق المُلوكية وأوتى حكمها صبيًّا ، ومن خصَّصته أدعيَــة الأُبوَّة الشريفة بصالحها ولم يكن بدعائها شقيًّا ، ومَنْ ترفَّعت (١) به هَضَبَةُ المُلك حتى أمسى مكانها عليًا ، ومن هو أحقُّ بأن يُجِبَ الأملُ فيه ويَنجح ، وأولى بأن يتلى له اخلفنى في قومى وأصلح ، ومَن هــو بكل خيرٍ مَلىٌ ، ومَنْ إذا فوِّضَت إليه أمور المسلمين كان أشرَف من لأمورهم يَلِى ، ومن يتحقق من والده الماضى الغرار ومن اسمه العالى المنار أن لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عَلى .

ولما كان المقــام العالى الولدى السلطانى الملكى الصالحىّ العلائى عضَدَ الله به الدين ، وجمع إذعانَ كل مؤمن على إيجاب طاعته لمباشرة أمور المسلمين ، حتى يصبح وهو صالح المؤمنين ، هو المرجوُّ لتدبير هذه الأمور ، والمأمول لمصالح البلاد والثغور ، والمدَّخرُ من النصر لشفاء مافى الصدور ، والذى تشهد الفراسة لأبيه وله بالتحكم أليس الحاكم أبو على هو المنصور ، فلذلك اقتضت الرحمة والشفقة على الأمة أن ينصب لهم ولىَّ عَهْــدٍ يتمسكون من الفضــل بعُرْوَة كرمه ، ويسمون

(١) « رفعت » في زبدة الفكرة .

بعد التطواف بكعبة أبيه بحُرَمه، ويقتطفون أزاهرُ العَدْل [٦٦٠] وثمارَ الجُود من قلمه وكَلِمه ، وتستسعد الأئمة منه بالملك الصالح الذى تقسم الأنوار بجبينه وتقسم المبارُّ من كراماته وكرمه .

فلذلك خرج الأمرُ العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى أخدمه الله القدر ، ولازالت الممالك تتباهى منه ومن ولىّ عهده بالشمس والقمر، أن يُفوَّض إليه ولاية العهد ، وكفالة السلطنة الشريفة ، ولايةً تامةً عامةً شاملةً كاملةً جامعةً وازعةً قاطعةً ساطعةً شريفةً مُنيفةً عطوفةً رءوفةً لطيفةً عفيفةً فى سائر أقاليم[(١)] الممالك الشريفة ، وعساكرها وجُندها ، وتركمانها وأكرادها ، ونوابها وولاتها ، وأكابرها وأصاغرها ، ورعاياها ورُعاتها ، وحكامها وقضاتها وسارحها وسانحها ، بالديار المصرية وثغورها وأقاليمها وبلادها ، وما احتوت عليه ، والمملكة الحجازية وما احتوت عليه ، ومملكة النُوبة وما احتوت عليه ، والفتوحات الصفدية ، والفتوحات الإسلاميَّة الساحليّة وما احتوت عليه ، والممالك الشاميّة وحصونها وقلاعها ومدنها وأقاليمها وبلادها، والمملكة الحمصيّة،[(٢)] [والمملكة الحصنية] الإكرادية والجبليّة وفتوحاتها، والمملكة الحلبيّة وثغورها وبلادها وما احتوت عليه، والمملكة الفُراتيّة وما احتوت عليه ، وسائر القلاع الإسلامية برًّا وبحرا ، سهلا ووعرًا ، شامًا ومصرًا ، يمنا ومجازا ، شرقا وغربا ، بُعدا وقربا ، وأن يُلقى إليه

(١) « الأقاليم » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

مقاليد الأمور فى هذه الممالك الشريفة ، وأن تستخلفه سلطنة والده - خلد الله دولته - لمشاهد الأُمَّة منه فى وقت واحد سلطانا وخليفة، ولاية [و](١) استخلافا ، تُسْنِدُهما الرُّواة ، وتترنَّم بهما الحُدَاة ، وتعيهما الأسماع ، وتنطق بهما الأفواه ، وتفويضا يعلن لكافة الأمم ، ولكل ربّ سيف وقلم ، ولكل ذى علم وعلم ، بما قاله صلى الله عليه وسلّم لسَميّه ، رضى الله عنه ، حين أولاه من الفخار ما أولاه ، من كنت مولاه ، فعلىٌّ مولاه ، فلا ملك إقليم إلا وهـذا الخطاب يَصله ويُوصله ، ولا زعيم جيش إلا وهذا التفويض يسعهُ ويَشمله ، ولا إقليم إلا وكل مَنْ به يَقْبَلُه ويُقبِّله ، ويتمثّل بين يديه ويمتثلُه ، ولا مَنْبرٌ إلا وخطيبُه تتلو فرقان هذا [٦٦١] التقدُّم وتُرَتِّلُه .

وأما الوصايا فقد لقَّنا(٢) ولدنا وولىَّ عهدنا منها ما انطبع فى صفاء ذهنه وسَرَتْ تغذيتُه فى نماء غُصْنه ، ولا بدَّ من لوامع وصايا للتبرك بها فى هذا التقليد الشريف تُنير ، وجوامع يصير الخبر بها حيث تَصير ، وودائع تُنهِك بها ياولدنا ، أعزَّنا الله ببقائك ، ولا ينبئُك مثل خبير .

فاتق الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يَراك ، وانصُر الشرع فإنك إذا نصرتَه نصرك الله على عِدا الدين وعداك ، وأفض العـدل مخاطبا وكاتبا حتى تستبق إلى الإيعاز به لسانك ويُمْناك ، وأْمُرْ بالمعروف وانْه عن المنكر عالما أنه ليس يُخاطَبُ

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « فقد أمنا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

غدا بين يدى الله تعالى عن ذلك سوانا وسواك ، وأنْهُ نفسك عن الهوى حتى لا يراك حيث نهاك ، وحُطْ الرعيَّة ، ومُر النواب بحملهم على القضايا المرعيَّة ، وأقم الحدود وجنِّد الجنود ، وأبعثها برًّا وبحرًا من الغزو إلى كلّ مقام محمود ، واحفظ الثغور ، ولاحظ الأمور ، وازدَدْ بالاسترشاد بآرائنا نورا على نور ، وأمراء الإسلام الأكابر وزعماؤُه ، فهم بالجهاد والذبّ عن العباد أصفياء الله وأحبّاؤُه ، فضاعف لهم الحرمةَ والإحسان ، واعلم أن الله قد اصطفانا على العالمين وإنَّما القوم إخوان ، لاسيَّما أولى السعى الناجح ، والرأى الراجح ، ومَنْ إذا فخروا بنسبة صالحيَّة قيل لهم نعم السلف الصالح ، فشاورهم فى الأمر ، وحاورهم فى مهمات البلاد فى كل سرٍّ وجَهْر ، وكذلك غيرهم من أكابر الأمراء الذين من بقايا الدول : وذخائر الملوك الأُوَل ، أَجْرِهِم هذا المَجْرَى ، واشرَحْ لهم بالإحسان صدرا ، وجيوش الإسلام هم البنان والبنيان(١) نوال إليهم الامتنان ، واجعل محبتك فى قلوبهم بإحسانك إليهم حسنة المربّى ، وطاعتك فى عقائدهم وقد شغفتها(٢) حبًّا ليصبحوا لك بحسن نظرك إليهم طوعا ، وليُخصّك كل جنس من التقرُّب إليك بالمناصحة نوعا ، والبلاد وأهلها فهى وهم عندك الوديعة ، فاجعل أوامرك بها بصيرةً ومنهم سَمِيعةً ، وأما غير ذلك من الوصايا فسنخلك منها بما تَشامعك تَوأما ، ويُلقّك من آياتها محكما فَمُحكما ، [٦٦٢] والله تعالى يُنمى هلالك حتى بوُصله إلى درجة الإبدار ، ويُغَذِّى غُصْنَك حتى تراه قد أينَع بأحسن الأزهار وأينع الثمار ، ويرزق سعادةَ سلطاننا الذى نُعِتَّ به تبرُّكا ،

(١) « والشأن » فى الأصل والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « شغفها » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

ويلهمك الاعتضاد بشيعته والاستنان بسنته حتى تصبح لتمسكنا بذلك متمسكا ، ويجعل الرعية بك فى أمن وأمان وعدل وإحسان حتى لا تخشى سوءا ولا تخاف دركا (1) .

وقرئ هذا التقليد فى الإيوان الكاملى بالقلعة ، وأفيضت الخلع على الأمراء والمقدمين والوزراء والمتعممين ، وانقضى المجلس من قراءته والناس قد عجلوا بالدعاء الصالح للمنصور والصالح .

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده من غزة :

ولما فرغ السلطان من هذا المهم أزمع التوجه من الديار المصرية إلى البلاد الشامية ، فخرج وصحبته العساكر الإسلامية قاصدا الشام لحماية الإسلام ، ووصل إلى غزة فخيم ظاهرها ، وكان التتار قد وصلوا إلى عينتاب وبغراس والدربساك ، وتقدموا إلى حلب ، فوجدوها خالية من العسكر ، وقد أجفل أهلها منها ، فأحرقوا الجوامع والمساجد والدور والمنازل ، وعاثوا وأفسدوا ، وذلك فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فلما بلغهم وصول السلطان تفرقوا إلى مشاتيهم ، فعاد السلطان إلى الديار المصرية لاستحقاق ربيع الخيول وأمنه على الشام بانسداد الطرقات إليه بالثلوج والسيول (2) .

---

(1) انظر زبدة الفكرة (مخطوط) جـ٩ ورقة ١٠٥ ب — ١٠٨ أ .

وانظر نص التقليد أيضا فى كل من تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص١٨٧ — ١٩٠ ، صبح الأعشى جـ١٠ ص١٧٣ — ١٧٧ حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ .

(2) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٨ ب .

وجرّد عسكرا صحبة الأمير بدر الدين بَكْتَاش النجمى إلى حمص ، وعسكرا صحبة الأمير علاء الدين البُندقدار الصالحىّ إلى الساحل ، لحفظ البلاد من الفرنج بحكم أنه لم يكن بعدُ قرّر معهم هُدْنة ، لخشى أن يجدوا فى تلك الفترة الفرصة ، فيحدثوا حدثا ويثيروا فتنة (١) .

ذكرُ توجّه السُّلطان ثانيا إلى الشّام :

خرج السلطان الملك المنصور من الديار المصريّة طالبا الشام ثانى مرة ؛ وكان خروجه من القلعة فى مستهل ذى الحجة من هـذه السنة ، وخلف بها ولده الملك الصالح نور الدين علىّ ، ورتّب الأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى فى استخراج الأموال وشدّ الدولة وغير ذلك من المهمّات بالديار المصرية ، [٦٦٣] وخرجت هذه السنة والسلطان على الروحاء .

ذكرُ بقيّة الحوادث فى هـذه السنة :

منها : أن الأمراء الذين كانوا عند سنقر الأشقر قد تسللو قاصدين إلى الأبواب الشريفة ، وكان الأمير عز الدين الأفرم بحماة ، فلحقوا به ، وهم : علاءُ الدين الكَبكى ، وعز الدين الكُرجى ، وبَدْرُ الدين بَكْتُوت القطـرى ، وبقى معه علم الدين سنجر الدواداري ، والحاج عز الدين أزدمر ، وبعض قوم من الظاهرية الذين كانوا مجرّدين بالقلاع التى انحازت إليه (٢) .

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٨ ب .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٨ ب .

ومنها : أن الفرنج الذين كانوا بحصن المرقب طمعوا فى البلاد ، وذلك لما بلغهم هجوم التتار على البلاد ، وانجفال العساكر من حلب ، واعتمدوا على الفساد ، وتطرقوا إلى أذيّة المسلمين بأطراف تلك البلاد ، فأرسل الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى ، وهو حينئذ نائب السلطنة بحصن الأكراد وما معه يستأذن السلطان فى غزوهم لقرب المرقب إليهم واستطالته عليه ، وهوّن على السلطان أمر من به من الخيالة وذكر له قلة مَن فيه من الرجالة ، فأذن له فى ذلك ، فسار ومعه الجيش من الحصون وأمراء التركمان ورجّالة تلك النواحى ، واستصحب المجانيق والآلات ، وتقدّم إلى أن وقف قريبا من الحصن ، وهو حصن عالى المرام ، لا يصله من أسفله السهام ، وأخفى أهله أمرهم ولم يتحركوا فى فى مبدأ الحال ، فازداد العسكر فيهم طمعا وإليهم تقدّما ، فلما صاروا بحيث تبلغ إليهم السهام أرسلوا عليهم الجروخ فنالت منهم النصال ، وأنكت فيهم النبال ، فاضطرب مَنْ كان معه من الجنود ، وتململ من كان صحبه من الحشود ، فلما رأى اضطرابهم استشار بعض مَنْ عنده من الأمراء فى التأخر شيئا يسيرا بحيث يمتنع وصول النشاب إليهم ، ثم تأخر راجعا وثنى عنانه للرجعة مسارعا ، والناس لا يعلمون أن ذلك التأخر برأى وتدبير ، فظنوها الهزيمة ، فولوا الأدبار وأسرعوا الفرار ، ورأى الفرنج ما كان ، ففتحوا أبواب الحصن وجاءوا من كل مكان ، وتبادر الرجالة ، وتبعهم الفرسان ، ونالوا من المسلمين ، وجرحوا منهم جماعة ، ونهبوا ما أمكنهم ، وأسروا من الرجالة جماعةً ، وبلغ السلطان ذلك فأنكره وأكبره ،

وأزمع حينئذ سفره ليتدارك هذه الأحوال، وينظر [٦٦٤] فى المصالح التى لا يسع فيها الإهمال، وتوجّه إلى الشام ثانى مرة كما ذكرناه الآن.(١)

ومنها : أن الفرنج خافوا من السلطان لما خرج من مصر ونزل بالروحاء، وهى بالقرب من عكار، وراسلوه فى طلب تجديد الهدنة، فإنه كان قد انتهى أَمَدُ ما قبلها، وكانت الهُدنة فى أوائل السنة الآتية فلنذكرها إن شاء الله.

ومنها : أن فى جمادى الأولى أعيد برهان الدين السنجارى إلى وزارة الديار المصريّة، ورجع فخر الدين بن لقمان إلى كتابة الإنشاء على عادته.

ومنها : أن آخر رمضان أُعيد إلى القضاء تقى الدين بن رزين، وعُزل صدر الدين بن بنت الأعز، وأُعيد القاضى نفيس الدين شكر المالكى، ومعين الدين الحنفى، ورتب للحنابلة عز الدين الحنبلى.

وفى ذى الحجة جاء تقليد ابن خلكان بإضافة المعاملة الحلبيّة إليه يستنيب مَنْ يشاءُ فيها من نُوابه.

ومنها : أن فى ذى الحجة يوم عرفة وقع ببلاد مصر بَرَدٌ كبارٌ أتلفت شيئا كثيرا من الغلات، ووقعت صاعقة فى الأسكندريّة وأخرى فى يومها تحت الجبل الأحمر على حجر فأحرقته، فأخذ ذلك الحجر وسُبك فخرج منه الحديد أواق بالرطل المصرى.(٢)

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٨ ب — ١٠٩ ب.

(٢) الرطل المصرى ١٢ أوقية، والأوقية ١٢ درهما — صبح الأعشى جـ٣ ص ٤٤١.

ومنها : أن يعقوب المَرينى عزم على قصد ابن عبد الواد بتلمسان ، فحشد يغمر بن عبد الواحد جماعةً من مغراوة وغيرها، والتقيا على مدينة تسمَّى وَجْدة ، فاستظهر بنو مَرين على بنى عبد الواد وقتلوا ونهبوا وسبوا ما أرادوا من عيالاتهم وأموالهم، ومنُّوا عليهم، وأطلقوا عيالهم، وعادوا بالأموال والمواشى إلى بلادهم .

ومنها : أن المرينى استقر بمدينة سَلَا وهى على البحر فى وسط البلاد مسافتها من مراكش ستة أيام ومن فاس ثلاثة أيام .

وفيها : « ... ... »[1] .

وفيها : حج بالناس « ... ... »[2] .

(١) ، (٢) « ... ... » بياض بالأصل .

ذكر مَنْ تُوفى فيها من الأعيان

عز الدين أبو بكر[1] بن محمد بن ابراهيم الإربلى .

توفى فى هـذه السنة بدمشق فى الثالث عشر من ذى القعدة ودفن بمقابر الصوفية ، وكان أديبا مطبقا مقتدرا على عمل الألغاز ، ومن نظمه : الألفيّة فى الألغاز المخفيَّة ، وهى ألف لغز فى ألف اسم .

شمس الدين محمـد بن أيوب بن أبى رحلة الحمصى [٦٦٥] مولدا وسكنا ، البعلبكى وفاة .

كان يستحضر الأشياء الحسنة ، والأشعار اللطيفة .

الشيخ الصالح داود[2] بن حاتم بن عمر الحبّال .

كان حنبلىَّ المذهب ، له كرامات وأحوال صالحة ، ومكاشفات صادقة ، وأصـل آبائه من حرَّان ، وكانت إقامتـه ببعلبك ، وبها توفى عن ستة وتسعين سـنةً .

الشيخ الصالح على[3] المعمر المعروف بطير الجنة .

توفى فيها ، ودفن بسفح المقطم بتربة سنقر الأشقر .

---

(١) وله ترجمة أيضا فى : المنهل الصافى .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٣ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٩ ا ب ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٤ .

الجَزَّار (١) الشاعر الماجن المعروف بالجزار .

مدح الملوك والأمراء والوزراء والكبراء ، وكان ماجنا ظريفا حلو المحاضرة ، سمع الحديث ، وكان مولده فى حدود ستمائة بعدها بسنة أو سنتين ، وتوفى يوم الثلاثاء ثانى عشر شوال من هذه السنة ، ودفن بالقرافة .

قال : وقد تزوج أبوه بعجوز :

تزوج الشيخ أبى شيخة ... ليس لها عقل ولا ذِهْنُ
كأنها فى فرشها رِمَّةُ ... وشعرُها من حولها قُطْنُ
وقائل قال لى كم سِنُّها ... فقلت ما فى فمها سِنُّ (٢)
لو سفرت (٣) غرَّتها فى الدُّجى ... ما جَسَرت تبصرها الجنُّ

الأمير الكبير جمال الدين أقوش (٤) الشمسى .

أحد أمراء الإسلام ، وهو الذى باشر قتل كتبغا نُوين مقدّم التتار يوم عين جالوت ، وهو الذى أمسك عز الدين أيدمر الظاهرى ، وقد ناب فى حلب

---

(١) وهو يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن على الجزار ، جمال الدين أبو الحسين . وله أيضا ترجمة فى المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٦٤ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٦٠ ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ٢٧٧ رقم ٥٧١ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٤٥ ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٤ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٩٣ ، العبر جـ ، ص ٣٢٤ .

(٢) « وقال لى كم سنها ... قلت ليس فى فمها سن » — البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٩٢ .

(٣) « أسفرت » فى البداية والنهاية .

(٤) وله أيضا ترجمة فى المنهل الصافى جـ ٣ ص ٢١ رقم ٥١٣ ، وورد فيه أنه توفى فى آخر سنة ٦٧٨ هـ ، الوافى جـ ٩ ص ٣٢٥ رقم ٤٢٦٢ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٢ ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٤٤ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٤٩ ، ٥٧ ، درة الأسلاك ص ٦٠ .

فى السنة الماضية ، وتوفى فى حلب فى خامس المحرم من هذه السنة ، وتولى عوضه فى حلب علم الدين سنجر[1] الباشقردى .

الأمير[2] على بن عمر الطورى .

كان من أبطال المسلمين وشجعانهم ، وله صيت عظيم عند الفرنج ، وتنقل فى الولايات الجليلة فى عدة جهات من بلاد الشام ، توفى فى هذه السنة بجبل الصالحيّة ظاهر دمشق ، ودفن بسفحه ، وقد نيَّف على تسعين سنة .

الأميرُ سيف الدين أبو بكر بن أسْبَا[3] سالار والى مصر .

ولى مصر عدّة[4] سنين وكان سمينا عظيما ، مات فى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بتربته فى القرافة ، وكان خيرا فى أموره يشكره الناس .

---

(١) توفى سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م — انظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٨٦ هـ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ٦٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٦٠ ، البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٩٣ ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٤ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٠١ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٥ .

(٤) « الأيام » فى السلوك .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السّنة الثّمانين بعد السّتمائة (*) .

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو الحاكم بأمر الله العباسي .

وسلطان الديار [٦٦٦] المصريّة والشاميّة : الملك المنصور قلاون الألفي الصالحي ، وهو على الروحاء (١) بالقرب من عكا .

ونائب دمشق : الأمير حسام الدين لاجين المنصوري .

ونائب حلب : الأمير علم الدين سنجر الباشقردي .

وفي عاشر المحرم انعقدت الهدنة بين أهل عكا وبين السلطان وهو على الروحاء .

وفي تاريخ بيبرس : جاءت رسل الإفرنج إلى أبواب السلطان ، وهو على الرَوحاء ، يَسألونه تقرير الهُدْنة ، والزيادة على الهُدْنة الظاهرية ، والصلح لأهل المرقب ، ولم يزالوا يترددون إلى أن تقرر الحال على أن يكون لهم مُناصَفة الرَبَض وبلنْياس ، على أن يردّوا كل مَنْ عندهم من أسْرى المسلمين الذين أخذوهم في الفسخ ، وكانوا جماعة كثيرة ، وتقرّرت الهُدْنة في المحرم من هذه السنة ، وحلف السلطان لهم ونودي بالصلح ، وسُير الأمير فخر الدين إياز المقرئ أمير حاجب ليحلف

(*) يوافق أولها الثلاثاء ٢٢ إبريل ١٢٨١م .

(١) الروحاء : بلد بالساحل من فلسطين — السلوك جـ ١ ص ٦٨٥ هامش (٢) .

الفرنج ومقدّم بيت الاسبتار واسمه افريرتنكول لكورن (١) ، لحلف على ما انعقد عليه الصلح (٢) .

ذكر حادثة سيف الدين كوندك ومن معه :

وبلغ السلطان (٣) وهو على الروحاء أن سيف الدين كُوَنْدَك ، وجماعة من الأمراء الظاهرية ، قد أزمعوا الغدر به والوثوب عليه ، فأحضرهم إليه وعنّفهم ، [وعتبهم] (٤) واتفق وصول كتب من عكا بالفرنجي من جهة مَنْ كان له فيها من الناصحين ، مضمونها أن تحترز على نفسك ، فإن عندك جماعة من الأمراء قد اتفقوا عليك ليقتلوك ، وقد كاتبوا الفرنج وقالوا لهم : لا تصالحوه ولو أعطاكم ما أعطاكم ، فقد طبخنا له القدر [وغلت] (٥) ، وما بقي الأمر يُبطئ .

فلما بلغه هذا الخبر ، عزم على العمل بالحزم ، والأمر بالجزم (٦) .

وأحسّ (٧) الأمراء المذكورون بذلك ، فاضطربوا ، وعزموا على أن يركبوا في الليل ،

---

(١) هو Fr. Micholas le Lorgne .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٩ ب ، ١١٠ أ .

(٣) « وفيه بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسي ... فأعلم السلطان بذلك » — السلوك جـ ١ ص ٦٨٥ .

(٤) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٠ أ .

(٥) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٠ أ .

(٦) « الجزم » في زبدة الفكرة .

(٧) « على أنهم يركبون » في زبدة الفكرة .

ويأتون إلى الدهليز باتفاق بينهم وبين بعض الظاهرية الجُوّانية(١)، فإذا قربوا من الدهليز يقطعون أطنابه(٢)، ويفعلون ما اتفقوا عليه، فإن ظفروا بطائل، وإلا ركبوا حَمِيَّةً واحدةً، وطلبوا جهة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر.

فنقل الخبر إلى السلطان، فسيَّر إلى طرقات الشام بأن تُحفظ عليهم المسالك من غير أن يَعلموا، ورتب حول الدهليز جماعة من البحريَّة الصالحيَّة، واتفق مع الأمراء الكبار(٣) على التحرز إلى أن يحصل الدخول إلى دمشق والتمكن منهم وفعل [٦٦٧] ما يجب فعله.

ثم رحل السلطان من الروحاء ونزل اللجّون، فجاءه الخبر بأنَّهم أحسُّوا بتيقظه، وكان بينه وبينهم نهر الشريعة، ومتى قطعت لا يلحق هاربهم ولا يُدركهم طالبُهم، وربَّما توجه بعضهم إلى الكرك، وبعضهم إلى سنقر الأشقر، فركب من اللجون طالبا حمراء بَيْسان(٤)، وساق بينهم يومَه ذلك يُطارحهم الحديث، ويلاطفهم ويخادعهم إلى أن وصل الحمراء فلم يشعروا(٥) إلَّا وهم قبالة الدهليز، فرسم بأن ينزلوا ليشربوا سويقا، فإنه كان يوما شديد الحرّ، فنزلوا وشربوا السويق، فدعا كُوندك، وايدغمش الحكيمي، وبيبرس الرشيدي، وساطلمش السلحدار

(١) الجوانية: أي المماليك الجوانية، ويقصد بهم الخاصكية — أي خواص السلطان — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ٢١٧.

(٢) طنب — أطناب: حبل طويل يشد به سرادق البيت — المنجد.

(٣) «الأكابر» في زبدة الفكرة.

(٤) «حمراة» في زبدة الفكرة.

(٥) «فلم يشعر» في الأصل والتصحيح من زبدة الفكرة.

الظاهرى وقال لهم : أنتم تعلمون أننى ما طلبت الملك ولاقصدته ، ولا رغبتُ فيه ، وإنما أنتم لما خامرتم على ابن أستاذكم وخرجتم إلىَّ وأنا داخل من سيس ، وأمسكتم ذيلى وقلتم : يطلبُ حَبْسكَ (١) ، فسيَّرتُ أشفع فيكم ، فلم يقبل شفاعتى ، فوافقت هواكم وسبات رُوحى وأولادى ومالى لأجلكم ، وعلم الله نيتى ، فأعطانى ما أعطانى ، فأحسنت إليكم وزدتكم ، وبذلت لكم الأموال ، وآخر الأمر تكاتبون الفرنج على قتلى ؟ فقالوا : أخطأنا ، وقد فعلنا كما بلغ السلطان عنا . فقال يا أمراء : اعلموا بما أقروا به ، وأمر بإمساكهم فى وسط الخيمة ، فأُمسكوا وسيروا إلى الخيم ، فأمسك كلُّ مَنْ كان موافقا لهم من البرانيين (٢) والمماليك الجوانيين وكانوا ثلاثة وثلاثين [نفرا] (٣) ، وخاف جماعة فهربوا : فساق العسكر خلفهم ، فأحضروا بعضهم من جبال بعلبك ، وبعضهم من ناحية صرخد .

ولم يستقرَّ السلطان بحمراء بيسان غير تلك الليلة وعبر الشريعة .

وأما كُوَنْدك ، وأيدغمش الحكيمى ، وبيبرس الرشيدى ، وساطلمش الظاهرى ، فإنهم أُعْدِمُوا ، وأما باقى الممسوكين اعتقلوا بقلعة دمشق ، وهرب الأمير سيف الدين أيتمش السعدى ، وسيف الدين بلبان الهارونى ، وسيف الدين كراى

---

(١) « نطلب حسبك » فى زبدة الفكرة .

(٢) البرانيين : أى المماليك البرانية ، أى الذين ليسوا من الخاصكية ، ويطلق عليهم أيضا « الخرجية » — المواعظ والاعتبار ج ٢ ص ٢١٧ .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

وأولاده، وجماعة من البحرية الظاهرية والتتار الوافدية، فإنهم توجهوا إلى صهيون ولحقوا بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وجرد السلطان خلفهم عسكرا صحبة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح [٦٦٨] والأمير ركن الدين بيبرس طقصو، فلم يدركوهم.

ورحل السلطان إلى دمشق، فتلقته العساكر الشامية، «وكان دخوله دمشق فى التاسع عشر من المحرم، فطلع القلعة ونزل بها»(١)، وقد زينت له البلد، وشرع فى استجلاب القلوب، والتجاوز من الذنوب، وأخرج الخزائن، وأنفق فى العساكر، وأخذ بإحسان الخواطر، فسكن إليه كل نافر «وداعر»(٢).

ذكر ماجريات السلطان الملك المنصور فى دمشق :

منها : أنه فى اليوم التاسع والعشرين(٣) من المحرم عزل القاضى شمس الدين ابن خلكان، وولى عز الدين بن الصايغ.

ومنها : أن السلطان فى أول شهر صفر ولى نجم الدين بن الشيخ بن أبى عمر قضاء الحنابلة، وقد كان المنصب شاغرا منذ عزل والده نفسه من القضاء.

ومنها : أنه ولى قضاء حلب فى هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد ابن إسماعيل الكردى.

---

(١) « » ساقط من زبدة الفكرة.

(٢) « » ساقط من زبدة الفكرة.

انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١١٠ أ — ١١١ أ.

(٣) « الثانى والعشرين » فى تاريخ ابن الفرات جـ٧ ص ٢٠٧.

ومنهـا : أنه جلس بدار العدل فى هـذا الشهر ، فحكم وأنصف المظلوم من الظالم ، وقدم عليه صاحب حماة ، فتلقاه السلطان بنفسه ، فى موكبه ونزل بداره داخل باب الفراديس .

ومنها : أن السلطان جرد الأمير عز الدين الأفرم فى عسكر، وبعده علاء الدين كُشتغدى الشمسى بعسكر آخر، فتوجهوا إلى جهة(١) شيزر، على أنهم يعملون عملا، ويؤثرون(٢) أثرا ، فحصل الوخم ، وتمرّض الأمير عز الدين الأفرم ، ومات من الأمراء المصريين فى تلك السفْرة .

وتردّدت الرسائل بين السلطان وبين الأمير شمس الدين سنقر الأشقر(٣)، وطلب منه تسليم شيزر ، وطلب هو عوضها(٤) الشغر وبكاس ، وكانت قد أخذت منه من مدة ، ورتب السلطان سيف الدين بلبان الطباخى(٥) نائبا فيهـا ، وطلب معها كفر طاب وبلادها ، فأجيب إلى ذلك ، وأجاب إلى تسليم شيزر، وتقرر أن يقيم على هذه البلاد ستمائة فارس(٦) لنصرة الإسلام، وأن الأمراء الذين هربوا إليه إن أقاموا

---

(١) « جهة » ساقط من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١١ ب .

(٢) « أو يؤثرون » فى زبدة الفكرة .

(٣) « شمس الدين المشار إليه » فى زبدة الفكرة .

(٤) « فطلب عوضها » فى زبدة الفكرة .

(٥) « الجناحى » فى زبدة الفكرة .

وهو بلبان بن عبد الله الطباخى المنصورى ، المتوفى سنة ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م — المنهل الصافى جـ٣ ص ٤٢٢ رقم ٦٩٩ .

(٦) « وشرط أيضا أن يكون أميرا بستمائة فارس » — السلوك جـ ١ ص ٦٨٧ ، وانظر تفسيرها بهذا المعنى فى هامش (٦) نفس الصفحة .

عنـده يكونون من أمرائه ، وإن حضروا إلى السلطان يكونون آمنين ولهم الإحسان ولا يؤاخذون ، وحضر من عند الأمير علم الدين الدُّوَيْدارى بنسخة يمين على ما تقرر ، فحلف له السلطان عليها ، وسأله سنقر الأشقر أن يلقبه بلفظة الملك ، فامتنع وكتب له [٦٦٩] تقليد بالبلاد(١) ونُعِت فيه بالأمير .

وسيَّر السلطان الأمير فخر الدين المقرئ ، والأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى إليه ، فحلفاه وسلَّم شيزر وتسلم الشغر وبكاس ، وسيَّر إليه السلطان من الأوانى والأقمشة والأنعام شيئاً كثيراً(٢) ، وانتظم الإتفاق وانقطع الشقاق .

ومنها : وقوع الصلح مع الملك المسعود بن الملك الظاهر مع السلطان الملك المنصور ، وذلك أنه ترددت رسل الملك المسعود من الكرك يطلبون الصلح وزيادة على الكرك ، وأن يكون لهم ما كان بيد الملك الناصر داود بن الملك المعظم بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، فلم يُجِبْه السلطان إلى ذلك ولا إلى الإقامة فى الكرك ، بل قال لهم فى جواب كل رسالة : أنا أعطيكم قلعةً غير الكرك ، فلما تقرَّر الصلح مع سنقر الأشقر خافوا الغائلة ، وعلموا أنهم لاطاقة لهم بالمقاومة ، وكانوا قد تقسمت آراؤهم ، وقطعت أطرافهم ، وتقاصرت بهم الأحوال والأموال ، فأجابوا إلى طاعة السلطان على أنه يبقيهم فى الكرك وأعمالها من الموجب إلى الحَسا ، فأجابهم السلطان وحلف لهم ، والتمسوا شروطا منها : تجهيز الأخوة الذكور

(١) « البلاد » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١١ ب ، ١١٢ أ .

والبنات أولاد الملك الظاهر من القاهرة إلى الكرك ، ورد الأملاك الظاهرية عليهم، وتمّ الصلح على ذلك وحلف السلطان عليه، وتوجّه بدر الدين بيليك المحسنى السلحدار والقاضى تاج الدين بن الأثير(١) إلى الكرك وحلّفا الملك المسعود ، وكوتب كما يكاتب صاحب حماة ، واستقر الحال(٢) .

ومنها : أن فى العشر الأول من ربيع الأول ضمن الخمر والزنا بدمشق، وجعل ديوان ومشدّ ، فقام جماعة من العلماء والعبّاد فى ذلك، فأبطل بعد عشرين يوما، وأريقت الخمور ، وأقيمت الحدود .

ومنها : أن فى أواخر ربيع الآخر عزل التقى توبة التكريتى عن الوزارة بدمشق، وباشر بعده تاج الدين الشهرزورى .

ومنها : أن السلطان عزل برهان الدين السنجارى عن الوزارة بمصر وصُودر وأهين .

ذكرُ وصول التتار إلى البلاد ومهاجمتهم :

وفى هذه السنة وردت الأخبار [٦٧٠] على السلطان بدخول منكوتمر إلى الروم فى عساكر المغول(٣)، وأنه قد نزل بين قيسارية وأُبُلُسْتَيْن، فأقام بهذه المنزلة

(١) هو أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبى ، الموقع ، المتوفى سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٠٠ رقم ١٦٠ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٥٨ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٢ أ .

(٣) «وأقام» فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٢ ب .

والأخبار تتواتر بذلك ، والكشافة تغدو وتروح ، ولا يمر لهم بنكشف ولا يبوح ، ثم توجه كشافة من عيتاب للكشف ، فوقعوا بفرقة من التتار قريب صحراء هونى ، التى كسر الملك الظاهر التتار عليها ، فظفروا منهم بشخص يُسمّى جلتار بهادر أمير آخور أبغا ، كان قد توجّه لكشف المروج والمراعى ، فضربوه ضربة سيف فى أذنه ، وامسكوه ، وأحضروه إلى السلطان إلى مدينة دمشق ، فوانسه وسايسه ، وسأله عن أخبار القوم ، فذكر أنهم فى عدد عظيم يزيد على ثمانين ألف فارس من المغول والحُشُود ، وأنهم يقصدون البلاد قولاً جَزْماً ، ويركبون من منزلتهم فى أول شهر رجب ، فسمع السلطان كلامه ، وحُمل إلى مصر هو ومَنْ أُسِر معه .

فلما كان فى شهر جمادى الآخرة من هذه السنة قوى الخبر وزاد ، وتنقلوا من منزلتهم إلى صارُوس ، ومنها إلى أَبُلُسْتَيْن ، ورحلوا إلى أن دخلوا الدَرْبَنْد وهم يسيرون الهُوَيْنَا ، ثم توجهت منهم إلى الرحبة فرقة صحبة أبغا الملك بنفسه وصاحب ماردين ، فنازلوها ، وسيَّر[(١)] السلطان بدر الدين بجْكا العلائى ومعه مائتا فارس جرائد إلى جهة الرحبة كشّافة ، وخرج السلطان من دمشق فى جموع وعدد وحُشُود ، وكان يوما مشهُودًا ، والخلائق كأنهم قد جمعوا فى صعيد ، وحشروا اليوم الوليد الوعيد[(٢)] .

---

(١) « فسير » فى زبدة الفكرة .

(٢) « أو حشروا ليوم الوعيد » فى زبدة الفكرة .

وكان قد قدم قبل خروجه الأمراء ومع كلِّ أمير جماعة ، فكان الأمير سيف الدين قشتمر العجمى على حمص ، والأمير سيف الدين بكتمر الغُتْمى بحلب ، ثم ورد الخبر بأن فرقة العدوّ التى جاءت من جهة الروم قد نزلت مَرعش ، وتقدمت إلى صوب حَارِمَ ، فقُدِّم دهليز السلطان إلى القُطَيْفَة ، ومنها إلى عيون القصب ، ووصل العدوّ المخذول إلى حَارِمَ وملكوا البلاد .

فأمر السلطان الناسَ بأن يلبسوا فى كل يوم عُدَد الحرب ، ويركبوا ويصطفوا صفوفا ، ويتشالشوا ليتمَّرنوا على الحرب ، وراسل سنقر الأشقر عدَّة مراسلات حتّى تقرّر أنه ينزل من صهيون [٦٧١] ويقف حيث يقف المسلمون هو ومن عنده من الأمراء بشريطة عوده إلى مكانه إذا انقضى المصاف ، وتوجَّه إليه الأمير سيف الدين بكتمر الساقى العزيزىّ ، والأمير بدر الدين بكتاش الفخرىّ فى تقرير هذه القواعد ، فنزل وأقام على الجراض قريبا من أبى قُبَيْس .

ولما نزل السلطان بحمص حضر شمس الدين سنقر الأشقر ، ومَنْ عنده من الأمراء وهم : أيتمش السَعْدىّ ، والحاج أزدمر الدُوَيدارى ، وبيَجق البغدادىّ ، وكراى ، وشمس الدين الطُنطاش ، وابنه ، ومَن معهم من الظاهريَّة مبادرين إلى الخدمة ، ففرح المسلمون بحضرهم ، وكان ذلك قبل المصاف بيومين .

وضرب السلطان دهليز الحرب الأحمر ، ثم ورد إليه الخبر بأن منكوتمر قد نزل بحماة ، ومعه عساكر التتار فى ثمانين ألفا ، منهم : خمسون ألفا من المغول وباقيهم مرتدّه وكُرْج وروم وأرْمن وفرنج ، وأنه قد قفز إليهم مملوك من

مماليك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق (١) ، فدلهم على عورات المسلمين، وأخبرهم بعددهم .

ولما كان ليلة الخميس رحلوا عن حماة ، ورتبوا جيوشهم ، وكان طرف ميمنتهم حماة ، وطرف ميسرتهم سَلَمِيّة ، وساقوا طالبين اللقاء ؛ فرتب السلطان الجيش ميمنةً وميسرةً وقلبًا وجناحين على ما تَصِفُه ، وبات المسلمون على ظهر لابسين لامات الحروب ، مدرَّعين هم وخيولهم .

واتفق أن شخصا من عسكر التتار قفز ودخل إلى حماة ، وقال للنائب بها : اكتب الساعةَ إلى السلطان على جناح الحمام ، وعرفه أن القوم ثمانون ألف مقاتل تحت القلب ، منها أربعة وأربعون ألفا مُغْلا ، وهم طالبون القلب ، والميمنة التى لهم قويّة جدًّا ، فيقوّى ميسرة المسلمين ويحترزون على السناجق ، فقرأ السلطان الكتاب وركب عند إسفار الصبح لتقوية الميسرة واعتماد ما يراه من الصلاح (٢) .

ذكر الوقعة مع التتار على حِمْص :

فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب الفرد ، سنة ثمانين وستمائة .

ولما ركب السلطان بكرة النهار لترتيب الأطلاب ساق بنفسه على الجيوش

(١) هو بيبرس بن عبد الله الجالق الصالحى ، المتوفى سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٧٤ رقم ٧١٩ .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٣ أ ، ب .

وطيّب خواطرهم ، وقوّى عزائمهم ، وحضّهم على الثبوت ، وحُسْن الصبر ، ورجع إلى [٦٧٢] موقفه من القلب متوكّلا على الرب بجأشٍ أثبت من الجبال الشُمّ ، وجنان أصلد من الرواسى الصُمّ ، وكان التطليبُ على هذا الترتيب .

الميمنةُ المنصُورةُ المنصوريّة :

فيها : الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة والعسكر الحموى ، والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى [الحاج] (١) ، والأمير عز الدين ايبك الأفرم أمير جاندار الصالحى ، والأمير علاء الدين كُشْتُغدى الشمسى ، ومضافوهم من الأمراء الطبلخانات ، وأصحاب العشرات ، ومقدمو الحلقة وأجنادها ، وغيرهم من العساكر (٢) ، والأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصورى نائب الشام ، والأمراء الشاميّون ، والعسكر الشامى ، وفى رأس الميمنة شرف الدين عيسى بن مُهَنّى وآل فضل ، وآل مَرى (٣) ، وعُربان البلاد الشاميّة ومن انضمّ إليهم (٤) .

الميْسرَة المباركةُ الإسلاميةُ :

فيها : الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ومَنْ معه من المماليك الظاهريّة ، والأمير سيف الدين أيتمش السعدى ، والأمير بدر الدين بَيْليك الأيدُمرى ،

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٤ أ .
(٢) « من العسكر » فى زبدة الفكرة .
(٣) « مَرّا » فى السلوك جـ ١ ص ٦٩٢ .
(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٤ أ .

والأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، والأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى ، والأمير سيف الدين بجكا العلائى ، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، والأمير سيف الدين حَرْكَ التترى ، ومن معهم من الأمراء والألوف ، وفى رأس الميسرة التركمان بجموعهم ، وعسكر حصن الأكراد[(١)] .

الجَالِيش وهو مُقدّمة القَلْب :

الأمير حسام الدين طرناطاى نائب السلطنة ومضافوه من الأمراء والمفاردة ومماليكه وأجناده ، والأمير رُكن الدين أياجى الحاجب ، والأمير بدر الدين بكتاش ابن كَرَمون ومَنْ معهم من المماليك السلطانيّة المنصوريّة ، ووقف السلطان تحت السناجق المنصورة ، وحوله مماليكه ، والزامهُ ، والسلاحداريّة ، والسنجقداريّة ، والطَبْرَداريّة ، وهو ثابت فى صهوة جواده ثبوت الطود الراسى ، محتسبا فى سبيل الله [عز وجل] ثواب ما يُلابِس ويُقاسى[(٢)] ، وأشرفت كراديس التتار متراكمة كالأمواج ، مترادفة [٦٧٣] كالبحر العجاج ، وأقبلوا ينسلون من الفجاج ، وهم كقطع الليل المظلم ، والمسلمون كالسراج الوهاج ، قد أشرقت عليهم أنوار التوحيد ، وأَشِعّةُ الحديد .

بوجوه تعشى السيوف ضياءً وسيوف تغشى الشموس وقودا
فى مقام يخر فى صكة البيض على البيض رُكَّعًا وسجودا

(١) زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ١١٤ أ ، ب .
(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

وكان الملتقى بوطأه حمص، بالقرب من مشهد خالد بن الوليد رضي الله عنه، حيث مركز الرماح، ومهبّ الرياح؛ وهو المكان الذى لم يزل بلاءُ الناس فيه محمودا، ونصر خالد يزداد لديهم خلودا، فالتقى الجمعان في الساعة الرابعة من يوم الخميس الرابع عشر من شهر رجب (١).

وفي تاريخ ابن كثير: ولما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان، وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس، وعسكر التتار في مائة ألف فارس، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا، والجمع (٢) فيما بين مشهد خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الرستن، فاقتتلوا قتالا عظيما، لم يُرَ مثله من أعصارٍ متطاولة، فاستظهر التتار أول النهار، فكسروا (٣) الميسرة، [واضطربت الميمنة أيضا، وبالله المستعان] (٤)، وانكسر (٥) جناح القلب الأيسر.

«وكان في ميمنة التتار من مقدميهم: ألناق بهادُر، وطنجو بهادَر، وعايد، وبَلْطُو، ويَنْجى، وصَمَغار، وكان في ميسرتهم: قَرمشى بن هِنْدُوغور، وبَرَاجار، والبابا شمس الدين والد الأمير جَنْكلى، ودُرَنْبَه، وتُمَدَار، وملك الكُرج تجاه ميمنة المسلمين، وكان في القلب منكوتُمر بن هلاون ومعه تلاجى وقراتَغيْه بن يَصُمت، بجكاب بن جَمْغان، ومن الأمراء طُلاطاى ونَكباى وغيرهم» (٦).

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٤ ب، ١١٥ أ.

(٢) «والجميع» في البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٥.

(٣) «وكسروا» في البداية والنهاية.

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية.

(٥) «وكسر» في البداية والنهاية.

(٦) « » ساقط من البداية والنهاية...

وثبت السلطان الملك المنصور(١) ثباتا عظيما جدًّا فى جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من [عسكر](٢) المسلمين ، والتتار فى الآثار(٣) حتى وصلوا وراءهم إلى بُحَيْرة حمص ، ووصلوا إلى حمص ، وهى مغلقة الأبواب ، فقتلوا خلقا من العامّة وغيرهم ، وأشرف المسلمون على خطر عظيم(٤) ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجعان والفرسان تآمروا(٥) فيما بينهم ، مثل سنقر الأشقر ، و بيسرى(٦) ، وطيبرس الوزيرى ، وأمير سلاح ، وأيتمش السعدى ، وحسام الدين لاجين ، وحسام الدين طرنطاى ، والدوادارى ، وأمثالهم ، لما رأوا [٦٧٤] ثبات السلطان « ردّوا على التتار ، وحملوا عليهم حملات صادقة متعدّدة(٧) » ولم يزالوا يتابعون الحملة بعد الحملة حتى كسر الله بحوله وقوته التتار ، وجُرح منكوتمر ، وجاءهم الأمير شرف الدين(٨) عيسى ابن مهنّى أمير العرب(٩) من ناحية العَرَض ، فصدم التتارَ ، فاضطرب الجيش(١٠)

---

(١) « الملك المنصور » ساقط من من البداية والنهاية .

(٢) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٣) « فى آثارهم » فى البداية والنهاية .

(٤) « على خطة عظيمة من الهلاك » فى البداية والنهاية .

(٥) « تواامروا » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٦) « وبيبرس » فى الأصل ، والتصحيح من البداية والنهاية .

(٧) « ردوا إلى السلطان ، وحملوا حملات متعددة صادقة » فى البداية والنهاية

(٨) « شرف الدين » ساقط من البداية والنهاية .

(٩) «أمير العرب » ساقط من البداية والنهاية .

(١٠) « فاضطربت الجيوش » فى البداية والنهاية .

لصدمته ، وتمت الهزيمة ولله الحمد ، وقتلوا منهم (١) مقتلةً عظيمةً جدًا ورجعت الطائفة (٢) من التتار الذين كانوا خلف من هُزم من المسلمين (٣) ، [فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والعساكر في آثارهم يقتلون و يأسرون] (٤) ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق ، والكوسات تضرب وراءه (٥) ، وما معه إلا نحو من (٦) ألف فارس فطمعوا فيه فقاتلوه ، فثبت لهم ثباتا عظيما ، فانهزموا من بين يديه ، فلحقهم فقتل أكثرهم ، فكان (٧) ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبل المغرب (٨) .

وقال بيبرس في تاريخه : جاءت ميسرة العدو تجاه الميمنة الإسلامية ، وقد تكردسوا فيها أطلابا ، وترادفوا أحزابا ، وصدموا الميمنة الصدمة الأولى ، فثبت العساكر للقتال وصبر المسلمون للنزال ، والتقوا على التتار حتى ضاق بهم المجال فمالوا لذلك على ناحية جاليش القلب ، فأشار السلطان إلينا بأن نردفه ، فردفناه جميعا ، وجعلناه بجمعنا منيعا ، وقتلنا الذين قصدوه قتلا ذريعا ، و بُذلت فيهم

---

(١) « من التتار » في البداية والنهاية .

(٢) « الطائفة » ساقط من البداية والنهاية .

(٣) « التتار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين » في البداية والنهاية .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) « خلفه » في البداية والنهاية .

(٦) « نحو من » ساقط من البداية والنهاية .

(٧) « وكان » في البداية والنهاية .

(٨) « الغروب » في البداية والنهاية .

• [illegible] البداية والنهاية جـ١٣ [illegible]

السيوف ، ودارت عليهم دائرة الحتوف ، فانكسرت الميسرة (١) كسرة تامّة ، وأيقنا نحن بالنصرة العامة ، وانتهت كسرة ميسرتهم إلى القلب الذى لهم ، وبه منكوتمر ابن هلاون ، فضعف قلب ذلك القلب ، فانهزم طريدا وولى شريدا .

وأما الميسرة الإسلامية فإنها لما صادفها مَيْمنة التتار وصادمتها تزحزحت عن مواقفها ولم تثبُتْ لتراكم كراديس (٢) التتار وترادفها ، ولأنهم كانوا قد بالغوا فى تقويتها ، وأمعنوا فى كثرتها ، وساقوا وراء المسلمين حتى انتهوا إلى تحت حمص ، ووقعوا فى السوقية والعوام وألجأوهم إلى مكان متضايق الزحام ، فأبادوا منهم خلقا كثيرا ، ولم يعلم المسلمون بما تهيّأ لليمنة المنصورة من النصرة ، وما أصاب التتار من الكسرة ، فاستقبل بعضهم الطريق ، وولّى وهو من سكر الهزيمة لا يفيق ، ومنهم من أدّته الجفلةُ إلى دمشق ، فلما دخلوها شاع بين [٦٧٥] أهلها كسرة العساكر الإسلامية ، فتشوشت الخواطر ، وقلق البادى بها والحاضر ، ودخل بعض المنهزمين الضعيفى القلوب إلى جسر يعقوب ، ووصل بعضهم إلى غزة .

ولما رأى التتار أنهم قد هزموهم واستظهروا عليهم ، نزلوا عن خيولهم فى المرج الذى عند سُدّ حمص منتظرين قدوم رفقتهم ، معتقدين رَبْح صَفْقتهم ، ولم يعلموا أنهم قد انكسروا وولوا وأدْبروا ، فلما طال بهم الانتظار أرسلوا

---

(١) « الميمنة » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٥ أ ، كما أنها مصححة بهامش الأصل بخط مخالف .

(٢) كردوس ـ كراديس : الفرقة الحربية الراكبة ، والقطعة العظيمة من الخيل ـ محيط المحيط .

مَنْ يكشف لهم الأخبار، فعاد الكشّافة إليهم وأخبروهم بما تمّ عليهم ، فركبوا خيولهم وقد فقدوا عقولهم [وعادوا](١) راجعين ، وبأصحابهم لاحقين .

وكان السلطان قائما بمكانه، لم يبرح، ثابتا فى موقفه لم يتزحزح، فى نفر قليل من المماليك الأصاغر ، وما حوله من أثقال العساكر ، لأن العسكر تفرق ، فبعض ذهب خلف العدو فى الطلب ، وبعضهم(٢) أدبر منهزما لما ظن أن لهم الغلَبْ ، فرأى السلطان من الحزم أن تطوى السناجق ، وتُخفى البيارق ، وتبطل الكوسات ، وتخفض الأصوات(٣) ، ومرّت ميمنة التتار راجعة على الأعقاب ، ناجيةً منجى الذباب، وعاينوا السلطان واقفا فى السواد الذى حوله، وقد تكاثف حواليه ، فلم يقدموا عليه(٤) ، وطلبوا طريق الرستن ليلحقوا بأصحابهم ، وأسرعوا فى ذهابهم لا يهتدون إلى صوابهم :

وَلّوا طَرَائدَ للحتوف ترى لهم ... بين الصفوف عجاجةً وعجيجا
وتخوفوا نار السُّيُوف ويومُهم ... أمسى بنيران السُّموم وهيجَا
والوحشُ يُقْسِمُ لا آكُلنَّ شِوَاهُمُ ... إلا شِوَاهٌ بالهجير نضيجا

(١) إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « وبعض » فى زبدة الفكرة .

(٣) « وتخفض الأصوات » ساقط من زبدة الفكرة .

(٤) ذكر ابن كثير أنهم قاتلوا السلطان ، وانهزموا بين يديه - انظر ما سبق ص ٢٧٧ ؛

وكُتبت البطائق المخلَّقة (١)، وسُرِّحت بها أطيار البشائر محلِّقة (٢)، فتراجع بعض الميسرة التى جرَّت ذيول الهزائم، واستبشر الناس بما أتى الله سلطانهم المنصورَ من نصر العزائم، وخابَ مَنْ ولَّى الأَدبارَ وخَارْ، وحازَ الصابرون أجزلَ الفخار.

وعاد السلطان من يومه إلى المنزلة، وعاين القتلى بها مجدَّلة (٣)، وقد نهبت الأثقال والوطاقات، منها ما نهبه التتار، ومنها ما نهبته الحرافيش والكَسَّابة، فلم يفكر فيما ذهب من قماش أو ذهب، وكان قد أحرز ما فى الخزائن من العين [٦٧٦] قبل وقوع العين على العين، وفرقه على مماليكه أكياسًا، فى كل كيس ألفُ دينار، ليحملوه إلى أن تنجلى الوقعة، وتتفق الرجعة، فلما نهبت الصناديق وجد الناس صناديق الخزانة فارغة من المال، فلم يعدم منه مثقال، وكانت جملته مائتى ألف دينار (٤).

قال بيبرس: ولقد حملتُ منه كيسا وقت تفرقته، وأعدته سالما بجملته (٥).

وبات السلطان تلك الليلة، والعساكر متفرقة، والجيوش متمزقة، والخيول مُغَرِّبة ومُشَرِّقَة، وتراجع الناس، وغابَ الرَّجاء اليأس.

---

(١) « وكتب » فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة.

(٢) مخلقة = مطيبة بالخلوق، وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — المنجد.

(٣) مجدلة = ملقاة فى الجدالة، أى ملقاة على الأرض — المنجد.

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٥ أ — ١١٦ أ.

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٦ أ [illegible]

ولما كان سحر الجمعة ، صبيحة يوم الوقعة ، قام في الخيام صائح أيقظ النُوام ، وظن الناس أن التتار عادوا مكابسة ، وعادَ الحربُ مخالسةً ، فركب السلطان وركب معه مَن كان بالدهليز من المماليك والسنجقية ، فانكشف الخبر بعد ساعة ، بأن جماعة من العسكر الذين تبعوا التتار المنهزمين عادوا إلى الوطاق .

وأسفر صباح يوم الجمعة المبارك ، الخامس عشر من شهر رجب ، والعدوّ قد ولّى هاربا ، ولم يبلغ أرَبا ، وسارت الجيوش الإسلاميّة في إثره طَلبا ، فنالت [منه](١) قتلا وأسْرًا ، ونهباً وسَبْياً ، وضُربت البشائر والتهانى ، وتحققت الآمال والأمانى ، وكتبت الكتُبُ الشريفة بهذه الأخبار إلى الأقطار ، وركضت سوابق الخيول بالاستصار إلى الأمصار ، ولم يبق بلد ولا مدينة ولا ثغر من ثغور الإسلام ، بمصر والشام ، إلا وقد أُعلنت فيه البشائر ، وقُرئت به كُتُب النصر على المنابر ، فاكتسى الزمان رونقا وبهجة ، وامتلأت بالسرور كل مُهْجَة ، وبطقت(٢) البطائق إلى الحصون القريبة من مسالك التتار التى سلكوها(٣) للفرار ، مثل البيرة ، وعينتاب ، وبغراس ، والدَرْبَساك ، والراوندان ، وأبى قبيس ، وشيزر ، بأن يأخذوا لهم المراصد ، فصار العشرة منهم يقتلهم من المسلمين واحد ، وحفظ أهل البيرة عليهم المعابر من الجهة الفراتيّة ، والمخائض إلى الجهة الشرقية ، فعبر أكثرهم من غير عَبْر ، فهلك أكثرهُم غرقا ، وقتل منهم فى الهزيمة أكثر ممن قتل عند اللقاء .

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) « وبطاق » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « ملكوها » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

وكانت فى هذه الكرّة عليهم الكسرة ، ولم تغن عنهم الكثرة ، فأنزل الله على المسلمين نصره، ورسم السلطان بأن تضرم النار فى الأزوار(١) [٦٧٧] التى على الفرات ، فمات أكثر من اختفى فيها حرقا ، وأما درب سلمية فإن فرقة منهم فيه سلكوا فهلكوا ، وكان على الرحبة طائفة مع أبغا يحاصرها ، فلما وصلتها البطائق ، وضربت البشائر ، أخذت التتار الصيحة ، فولوا هاربين ، وولى أبغا هاربا ، وسار نحو بغداد طالبا ، خوفا أن يأخذه أهل البلاد ، يتخطفه أهل الحواضر والبواد .

وجهّز السلطان العسكر الحلبى إلى حلب ، والحموىّ إلى حماة ، وجرّد الأمير بدر الدين الأيدمرىّ لتمهيد البلاد وترتيبها ، وعاد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون ، وأما الأمير سيف الدين أيتمش السعدىّ ، وعلم الدين الدوادارى ، وكراى التترى وولده ، وتُناجى وجماعة من الأمراء الذين كانوا عنده ، فإنهم رغبوا فى العود إلى الخدمة الشريفة فعادوا إليه(٢) .

ذكر عَود السلطان إلى دمشق :

ولما فرغ السلطان ، وصفا بَالُه ، واستقام حالُه ، عاد إلى دمشق ، والأسْرى تساق قدامه فى الكبول ، وقد حمل ما نهب لهم من القسىّ والسناجق والطبول ، وكان دخوله دمشق يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب من هذه السنة ، فدخلها

(١) الأزوار ـ الأزيار : جمع زارة ، وهى الأرض ذات الماء والحلفاء والقصب ـ لسان العرب .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٦ أ ـ ١١٧ أ .

ونزل فى القلعة مُؤيّدًا منصورا ، وكان أعظم الأيام قدرا ، وأعطرها عند الأنام نشرًا ، وأظهرها فى وجه الزمان بشرا ، بهذه النصرة العظيمة ، والنظرة الوسيمة ، والكسرة التى لم يُرَ مثلها فى الأزمان القديمة ، فإن جيش التتار لم يُجز هذه الديار بمثل هذا الإكثار (١) ، ولا قصدها قِبل هذه المدة فى بعض هذه العِدّة (٢) .

ذكرُ ما قيل فى هذه الغَزاة من الأشعار :

قال القاضى فتح الدين محمد بن عبد الظاهر (٣) ، كاتب السرّ [المنصور] ، وناظر ديوان الإنشاء [المعمور] (٤) يذكر الواقعة بقصيدة جامعة لأحوالها (٥) ، [وهى] (٦) :

الله أعطاكَ لا زيدٌ ولا عمـــرُو　　هذا العطاءُ وهـذا الفتح والنَصْرُ
هذا المقامُ الذى لو لم تَحُلّ به　　لم يبق والله لا شامٌ ولا مِصْرُ
من ذا الذى يَلْقى ذَا العدوّ وكذا　　أو يدّرع لامةً ما لامها الصبْرُ
يا أيها الملك المنصور قد كُسِرَت　　جنودك المغل كسرًا ما له جَبْرُ
واستأصلوا شأفـة الأعداء وانـ　　تصروا المآتِبتُ وزال الخوف والذُعْرُ

[٦٧٨]

يا عَزْمةً ما رأى الراؤون مُشْبِهَها　　ووقفـةً سار فى الدنيا لهـا ذكْرُ

(١) « هذه » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١١٧ أ .
(٢) انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١١٧ أ .
(٣) ، (٤) ، (٦) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١١٧ أ .
(٥) « لأحوالها جامعة » فى زبدة الفكرة .

لما بغى جيش أبغا فى تجاسره ... وإن يمد له إلا القنا جسر
واستجمع المغل والتكفور واتفقوا ... مع الفرنج ومن أردى به الكفر
جاءت ثمانون ألفا من بعوثهم ... لأرض حمص فكان البعث والنشر
وافى الخميسان فى يوم الخميس ضحى ... وامتدت الحرب حتى أذن العصر
والسيف يركع والأعلام رافعة ... والروس تسجد لا عجب ولا كبر
والخيل لا تقتدى إلا على جثث ... والسهل من أرؤس القتلى به وعر
والبيض تغمد فى الأجفان من مهج ... والسمر ناهيك ياما تفعل السمر
لجاء فى رجب عيدان من عجب ... للسيف والرمح وهذا الفطر والنحر
فكان أسلمهم من أسلموه لأن ... يقوده القيد أو يمرى به الأسر
وراح فارسهم تزواح راجلهم ... تنتابه الوحش أو ينبو به القفر
فما وعى منهم واع رعيته (١) ... ولا ارعوى لهم من روعة فكر
وكان يوم الخميس النصف من رجب ... عام الثمانين هذا الفتح والنصر
وعاد سلطاننا المنصور منتصرا ... فالحمد لله تم الحمد والشكر (٢)

وقال القاضى محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر، والده، من أبيات يصف فيها السلطان وحسن بلائه، [وجميل أثره، وجزيل غنائه] (٣):

(١) « فما رعى منهم راع رعيته » فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٨ أ.

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٧ ب، ١١٨ أ.

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٨ أ.

لله في حمص مقام قامه ... والنار من بين الأسنة تؤهج
والناس قد فروا فلا متريث ... والخلق قد هربوا فليس معرج
وهناك من نجد الملائك عصبة ... جاءته للنصر المبين تروج
وهناك خالد قد أجار نزيله ... ونزيل خالد ليس ممن يزعج
ثنى العنان وما انثنى حتى بدا ... للدين من أسر الأعادى مخرج
ملك به رد العدى او انهم ... مما سبى أولادهم لم ينتجوا
البحر لولا أنه من كفه ... ما كان منه جوهر يستخرج
والصبح لولا أنه من شهبه ... مافات ركض البرق منه يهملج

[٦٧٩]

والليل لولا أنه من دهمه ... ما كان بالشهب الثواقب يسرج
والنصر لولا أنه من سيفه ... ما كان كرب في الوجود يفرج
والروض لولا أنه في كتبه ... ماهب في الآفاق منه تأرج
والسحب لولا أنها من جوده ... ما كان منها كل صدر يثلج
والنار لولا أنها من سخطه ... ما أحرق الأعداء منه تأجج
فالمدحه ما حاكه ذو فكرة ... ولرمحه من نثره ما ينسج
يرضيك من فوق السوابح أروع ... منه ومن تحت التريكة أبلج (١)

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٨ أ ، ب .

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أحمد الكنانية، وكان مُفْلقًا (١) فى فنون الأدبية [والشعرية بذكر هذه النصرة المنصورية (٢)] :

هى النعمةُ الكبرى هى النُصرة العُظمى (٣) ... هى اللفظُ والمعنى هى البِشرُ والبُشْرى

هى المطلبُ الأسنى هى المِنْحةُ التى ... لقد شَرُفت قدرًا وقد عظُمت ذِكرًا

هى الوقعةُ الصماءُ والحطمةُ التى ... بها انكسر الفكر الذى لم يجِدْ جَبْرًا

هى الفتك بالأعداء والظفرُ الذى ... شفى القلب من أبغا وقد أثلج الصدرا (٤)

وأمكن من تَمَفار حدَّ سيوفنا ... نخفّ إلى الأذقان لاساجدًا شُكْرا

ونكّس أعلامًا وفلَّ كتائبا ... لمنكوتمر كالأُسْد فى الحرب بل أضرا

فلما رأوه قد تقطّر قاتلوا ... عليه قتالا قطّع البيض والسُمْرا

فلما نجا منها وقد كبّ طرفَه ... تولّى وخلّى الابنَ والأَبَ والصِهْرا

وراح ثخينا بالجراح مُصَبَّرا ... يئن ويشكو من مضاضاتها ضُرًّا

فلله منا الحمد والشكرُ دائمًا ... فقد أصَّل الإسلامَ واستأصل الكُفْرا

فقل لرؤس المغل إن قلاوونًا ... هو السيفُ ضَرًّا بالأعناقكم قهرًا

هو الملك المنصور والله خاذِلٌ ... لأعدائه خِذْلانا (٥) وناصرُه نصرا

---

(١) أفلق الشاعر : أتى بالفلق أى الأمر العجيب ، فهو مفلق ، ومفلق بالأمر : كان حاذقا فيه — المنجد .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة ، وفى الأصل « والشعر » .

(٣) « هى النعمة العظمى هى النصرة الكبرى » فى زبدة الفكرة .

(٤) « أبلج » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) « خذلا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

هو المقدم الكرّار في حومة الوغى إذا أحجم الأبطال وامتلأوا ذُعْرا
هو الأسدُ العادى على أنفس العدى هو القمر الهادى إذا أظلم المسْرَا
هو القائد الجيش العرمرم خلفه إلى القان في موغان يطلبه جَهْراً

[٦٨٠]

عساكرُ ملءَ الأرض من كل وجهةٍ تجمّعن حتى فات العدّ والحصرا
تخيّل رائيها القيامة مُثِّلَت[1] لعينيه في دُنياهُ والعرضَ والحَشْرا
فلم ينجُ منها الوحش عند إثارة ولا الطيرُ في جوّ السماء إذا مرّا
فقل للتتار العادمين عقولهم نسيتم سيوف الترك تضربكم هَبْرا
وكم كسّروا وكم مرةً بعد مرة فما حصروا القتلى ولا استوعبوا الأسْرا
وقد زاركم أبغاءُ من بعد قتلكم[2] فأجرى عليكم من مدامعه جَمْرا
وأكبرَ مرأىً هاله بسماعه ففرّ إلى توريز يجعلها ظَهْرا
ولو حلّ في غُمدانَ يبغى تحصّناً لما استطاع أن يقيم فيه ولا فرّا
وأنتم بسيف الدين أخبر في الوغا فذلك هُمامٌ قد أحطتم به خُبْرا
ولم يخفكم حملاته ولطالما أذاقكم المُرّان من طعنه المرّا
أأنسيتم في عين جالوتَ ما جرى وفى العين قد أجرى دماءكم نهرا[3]
أما كان في يوم الفرات[4] إليكم مقدّمةُ الجيش الذى عبر البحرا

(١) « يخيل رائها » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) « قبلكم » في زبدة الفكرة ، وهو تحريف .

(٣) « أجرا دمائكم » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « في هوم » في زبدة الفكرة .

أما كان فى يوم البُلُسْتَين أولا   وأعينكم ترنو إلى نحوه شَزْرا
فما أطرفت[(1)] أجفانكم أو قضى الرَّدَى   عليكم وأمضى حدّه فيكم الأَمْرا
وفى الملتقى ما بين حمص وحَماةٍ   تلقّاكم السيف الذى يقطع العُمْرا
وداسكُم من خيله بحوافرٍ   حفَرْنَ لكم فى كل جَلْمودةٍ قبرًا
وكم لكُم فى الذئب والنسر مَدْفَنٌ   فنوحوا إذا أبصرتم الذئبَ والنسرَا
أغرَّكُم من صاحب السيس قولُه   فكم غرَّ بالقول المحال وكم أغرا
وقد وعدته الترك أن ستزورُه   ولو أن أرض السيس مفروشة جَمْرا
وأنتم فأدرى الوعود بصدقهم   فما أخلفوا قولا ولا اختلقوا غَدرا[(2)]

---

(1) « أطرقت » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(2) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٨ ب — ١١٩ ب .

وانظر باقى القصيدة فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١١٩ ب — ١٢٠ ب .

(١)
... ...

(١) يوجد سقط فى النسخة التى بين أيدينا من عقد الجمان، وذلك فيما بين الورقة ٦٨٠، والورقة ٦٨١ من الجزء الرابع من المجلد الثامن عشر.

ويقابل هـذا السقط فى عقـد الجمان الأوراق من ١٢١ ا الى ١٤٧ ب من الجزء التاسع من كتاب زبدة الفكرة، وهو الكتاب الذى اتخـذه العينى مصدرا أساسيا، ونقل عنه ما أورده فى حوادث سنة ٦٨٠ هـ.

وتضمنت أوراق زبدة الفكرة — المقابلة لهـذا السقط — الموضوعات الآتية:

أولا: باقى أحداث سنة ٦٨٠ هـ:

- جزء من قصيدة لبدر الدين محمد بن عمر المنبجى.
- عودة السلطان إلى الديار المصرية فى الثانى والعشرين من شعبان.
- وصول رسل الملك المظفر شمس الدين بن رسول صاحب اليمن.
- وصول رسل الملك الأشكرى صاحب القسطنطينية.
- ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج (بين السلطان وولده وبين مقدم بيت الاسبتار) اعتبارا من ١٢ محرم سنة ٦٨٠ هـ.
- الهدنة مع متملك طرابلس، اعتبارا من ٢٧ ربيع الأول سنة ٦٨٠ هـ.

... ...

وفيات سنة ٦٨٠ هـ .

- وفاة منكوتمر بن هولاكو .
- وفاة الصاحب علاء الدين عطا ملك الجوينى ، صاحب الديوان ببغداد .
- وفاة القاضى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين ، قاضى القضاة بالديار المصرية .
- وفاة الشيخ الصالح مرمى بن مسعود .
- وفاة القاضى نفيس الدين شكر قاضى القضاة المالكية .
- وفاة الشيخ أبو الحسن على بن أبى الخير السمودى[1] .

أما الوفيات التى ذكرها ابن كثير ، والتى جرت عادة العينى أن ينقلها فى عقد الجمان ، فتضمنت فى سنة ٦٨٠ هـ :

- أبغا ملك التتار بن هولاكو .
- أبو بكر بن يحيي بن هبة الله ، قاضى القضاة ابن سنى الدولة .
- عمر بن عبدالوهاب بن خلف بن بنت الأعز ، قاضى القضاة صدر الدين .
- الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغورى .
- الأمير عز الدين أزدمر السلحدارى .
- محمد بن الحسين بن رزين ، قاضى القضاة تقى الدين .

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٢١ ا — ١٢٨ ا .

... ...

— موسى بن داود بن شيركوه ، الملك الأشرف مظفر الدين .

— الشيخ جمال الدين الأسكندرى ، الحاسب بدمشق .

— محمد بن الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق الربعى المالكى ، الشيخ علم الدين أبو الحسن .

— محمد بن مكى بن خلف غيلان ، القيسى الدمشقى ، الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم .

— أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التميمى الحنفى ، الشيخ صفى الدين ، شيخ الحنفية ببصرى (١) .

ثانيا : أحداث سنة ٦٨١ هـ (*) .

— ذكر إغارة العساكر المنصورة الإسلامية على الجهة الشرقية والبلاد الرومية .

— وصول شخص من جهة الأمير سيف الدين طرنطاى صاحب أماسية والد سنان الدين الرومى إلى السلطان .

— وصول رسول عند الفونش — أحد ملوك الفرنج — اسمه : الفارس الحكيم مايشتر فلب الأسبنيولى .

— استقرار الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى فى نيابة السلطنة بحلب .

(١) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

(*) يوافق أولها السبت ١١ إبريل ١٢٨٢ م .

... ...

- وصول شخص من أولاد الأويراتية يسمى الشيخ على .
- ذكر وفاة أبغا[1] بن هولاكو ملك التتار مسموما .
- ذكر تملك توكدار بن هولاكو الملقب أحمد سلطان .
- ذكر نسخة الكتاب الذى أرسله أحمد سلطان إلى بغداد ، لما جلس فى السلطنة بإسلامه هو ومن معه من التتار .
- وصول رسل الملك أحمد سلطان إلى الأبواب السلطانية .
- ذكر نسخة الكتاب الواصل من جهة المذكور مخبرا بانتقاله إلى ملة الإسلام هو ومن معه من التتار . (كتب فى واسط جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة بمقام الأوطاق) .
- ذكر نسخة جواب السلطان الصادر إليه .
- ذكر وفاة منكوتمر بن طغان بن باطو بن جنكزخان ، ملك التتار بالبلاد الشمالية .
- ذكر مملكة تدان منكو بن طغان بالبلاد الشمالية .
- وصول ولد الشريف أبى نمى أمير مكة ومعه جماعة كبيرة من الأشراف وزعماء الحجاز .
- حج فى هذه السنة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى .

---

(١) ورد ذكر وفاته سنة ٦٨٠ هـ فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٧ .

... ...

— ذكر العقد للملك الصالح على بنت الأمير سيف الدين نوكيه .

— ذكر دخول السلطان ببنت سكتاى بن قراجين بن جيغان نوين .

— ذكر تقرير الهدنة مع بيت الديوية بالساحل .

— ذكر الظفر بملك من ملوك الكرج وإمساكه .

وفيات سنة ٦٨١ هـ :

— وفاة القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان البرمكي .

— وفاة ناصر الدين الجوهري التاجر[(١)] .

أما الوفيات التي ذكرها ابن كثير ، فتضمنت في سنة ٦٨١ هـ :

— برهان الدين أبو إسحاق بن إسماعيل بن إبراهيم ، ابن الرضي الحنفي ، إمام المعزية بالكشك .

— أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الجبار ، القاضي أمين الدين الأشتري .

— محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن المراغي الشافعي ، الشيخ برهان الدين أبو الثناء .

— أبو محمد بن عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي ، قاضي قضاة المالكية بدمشق .

(١) انظر زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ١٢٨ أ — ١٢٩ ب .

... ...

— محمد بن على بن محمود بن على الشهرزورى ، الشيخ صلاح الدين ، مدرس القيمرية .

— أحمد بن محمد بن إبراهيم ، شمس الدين أبو العباس ، ابن خلكان ، قاضى القضاة[1] .

ثالثا : أحداث سنة ٦٨٢ هـ[*] :

— وصول الملك المنصور صاحب حماة إلى الديار المصرية .

— توجه السلطان إلى جهة البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطيرية .

— رسم السلطان لنائب المملكة الحلبية بأن يوجه وجه الغارات إلى سيس وأعمالها .

— تجريد السلطان عسكرا لمضايقة الكرك .

— ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده .

— تقرير هدنة عكا اعتبارا من ٥ ربيع الأول سنة ٦٨٢ هـ .

— ذكر العقد للملك الأشرف على بنت الأمير سيف الدين نوكيه .

— وصول الشيخ عبد الرحمن من عند السلطان أحمد وصحبته صمداغو .

— ذكر فتوح تونس بشعار السلطان واسمه .

---

(١) انظر البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣٠٠ — ٣٠١ .

(*) يوافق أولها الخميس ١ ابريل ١٢٨٣ م .

... ...

— ذكر واقعة اتفق وقوعها بين أحمد سلطان ملك التتار الجالس ببيت هولاكو وبين أرغون ابن أخيه أبغا .

— ذكر مقتل توكدار الملقب أحمد سلطان بن هولاكو .

— ذكر مملكة أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار .

— ذكر فتوح قلعة قطينا واقتلاعها من يد العدو المخذول .

— ذكر فتوح ثغر الكختا واستنقاذه من الكفار[1] .

[ذكر[2] توجه السلطان إلى الشام المحروس :

وفيها توجه السلطان إلى الشام المحروس ، لتدبير أحواله والنظر في مصالحه ، وكانت الأخبار قد بلغته بقتل السلطان أحمد، واستقرار أرغون في الملك بعده، وأن فرقة من التتار تقدير أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة طالبة نحو الشام، فسار إلى دمشق، فدخلها في الثاني من شهر جمادى الآخرة ، فسُرَّ الناس بقدومه ، وقَدَّم النظر في كل مهم تكون المصلحة في تقديمه ، وأحضر رسل أحمد سلطان ، وقد كانوا لما وصلوا إلى الشام[3] أنزلوا بقلعة دمشق ، واحتفظ بهم ، ولم يمكن

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٣٩ ب — ١٤٦ ب .

(٢) بداية الموضوع ليتصل الكلام مع ما وجد بعد السقط — نقلا عن زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٤٧ أ .

(٣) « كان وصوله إلى دمشق في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة » — تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٧٩ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٦١ .

أحد من الاجتماع بهم ، بل كانوا فى دار رضوان ، وغلمانهم وجواسيسهم بمعزل منهم ، والإقامات جارية عليهم ، والأنزال واصلة إليهم . واستدعاهما السلطان ، وهما الشيخ عبد الرحمن وصمداغو ، ولم يكونا علما بموت مرسلهما .

وكان عبد الرحمن هذا قدوة الملك أحمد ، ومشيره ، وهو الذى أشار عليه بالإسلام ، على جهة المكر والخداع ، حتى يطمئن من هذه الجهة ، ويتفرغ لينال قومه ، وأقاربه ، وولد أخيه . وتحكم هذا الشيخ فى البلاد ، وتحدث فى جميع الأوقاف ، بالعجم والعراق والروم ، وجُبى إليه من أموالها جُمَل عظيمة ، وأظهر للمغل من المخاريق والحيل وأنواعها أشياء أخذ عقولهم بها ، فمالوا إليه ميلا كبيرا ، واتخذوه مشيرا ، وصار الملك أحمد وعشيرته يقفون بين يديه ، ويمتثلون أمره . وأصله موصلى ، وكان مملوكا ، يقال له : عبد الرحمن النجار ، وتوهم أنه إذا حضر الى السلطان يتم له عنده ماتم له فى العراق ، ويصير منه ما صار فى تلك الآفاق ، فكان الأمر بخلاف ذلك ، لأنه لما خرج من الأوردو استصحب جماعة من أكابر المغل ، وهم : صمداغو وجماعته ، وكتابا ، وفقهاء ، وفقراء ، وكان يحمل على رأسه جتر فى الطريق ، وحلقة سلحدارية ، وحواشى ، وأرباب أشغال ، وغلمان ، وأخباره كانت تتصل بالسلطان ، منزلة بمنزلة ، فلما وصل إلى البيرة تلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى ، أحد أمراء حلب ، ومنعه من حمل الجتر والسلاح](١) ، [٦٨١] وتنكب به ، ومن معه عن الطريق المسلوكة ، وساق بهم فى الليل ، وقرر مع المجردين صحبته أن أحدا لا يكلمهم ولا يملأ عينه

(١) نهاية ما نقل من زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٤٧ أ — ب ليتصل الكلام مع ماوجد بعد السقط من عقد الجمان .

منهم ، ولما وصل بهم إلى حلب أخفى أمرهم ، وأخرجوا منها فى الليل ، وسير بهم فى غير الجادة على العادة، ولما وصلوا إلى دمشق أدخلوا فى الليل، وأنزلوا فى القلعة على الصورة التى ذكرناها إلى أن حل السلطان بدمشق ، فلما دخل بين يديه سمع كلامه وكلام رفيقيه وهما صمداغو وشمس الدين ابن الصاحب ، وقبل هدية الشيخ المذكور، وأخذ الكتاب الذى على يده من جهة أحمد سلطان[1].

ذكر نسخة الكتاب الواصل من أحمد سلطان [ثانيا][2] :

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى بإقبال قاآن[3] فرمان أحمد ، إلى سلطان مصر، أما بعد : فالذى يجب على العاقل : بذل الجهد وترك الإهمال والتوانى ، واستنفاد الوسع فى اقتناء الذكر الباقى، ألا وهو[4] العمر الثانى ، وقد انحصر الثناء الجميل ، والثواب الجزيل ، فى التعظيم لأمر الله ، والشفقة على خلق الله ، واستعمال العدل والنصفة المندوب إليها ، وأى عدل ونصفة أعظم قدرا وأعلى ذكرا فى سائر الأصقاع والممالك من إنقاذ الأنفس بجريعة الدقن من المهالك ، وإطفاء نائرة أكباد حرى ، وقلوب جرحى ،

(١) انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٤٧ أ ، ب .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٧ ب ، لتوضيح أن هذا الخطاب الثانى ، وكان الخطاب الأول بتاريخ جمادى الأولى سنة ٦٨١ هـ — انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٣١ أ — ١٣٣ ب .

(٣) « بما من كان » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « الذى هو » فى زبدة الفكرة .

﴿ ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعا ﴾ (١) ، ولما لم يكن لنا (٢) بفضل الله العظيم وإحسانه الجسيم افتقارٌ ولا بغيه ، ولم يبق فى ضميرنا إرادة ولا مُنيةٌ سوى رفاهية العالم وطُمأنينة بنى آدم ، خصوصًا الطائفة الإسلامية ، وأهل الملة الحنيفيّة أنفذنا الألجية (٣) إلى إخواننا تُوقاى أغا (٤) وتُودا منكو وغيرهما ، ونبهناهم على أن الملك العقيم الذى ادّخره لنا جدّنا جنكزخان ، وآباؤنا الكرام ، بعد الصبر على المشقة فى تحصيله والمقاساة ، وتحمّل أعباء الشدائد والمعاناة ، بمجرّد النزاع والخصام ، وخلاف الوفاق واختلاف الكلام ، قد أشرف (٥) على شحوب بهجته وبهائه ، وتكدير رونق صفاء مائه ، والآن آن [أن] (٦) نستبدل وحشة النزاع بأنس الصلح ، ونتعوّض عن غيهب ليله النفار والنقار تباشير الصباح ، ونُغمِد [٦٨٢] السيوف البواتر التى استُلّت من الأغماد ، ونُعفى أثر المرْج والمرج ونُعرض عن الاعراض والأحقاد ، ونتفق الجميع على القيام بواجب كُوج [قان] (٧) وخدمته ، والالتزام بواجب طاعته ،

---

(١) « الناس جميعا » ساقط من زبدة الفكرة .

جزء من الآية ٣٢ من سورة المائدة رقم (٥) .

(٢) « كنا » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٣) « الأفجية » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) « أقا » فى زبدة الفكرة .

(٥) « أشرق » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٦) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٧) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

والاشتمال بما يُنوط[(١)] بمصلحته، وحيث تأمّلوا ذلك بعين البصيرة، ورأى مَنْ حَنَّكَهُ دورانُ الفلك، والتجربة، بيّن لهم أن هـذا الرأى محضُ شـوُر لا يَشُوبُه غشٌ ولا مُداهنة، وخَالِصُ تنبيه لا يُغادرُه سوى زُبْدَةِ المناصحة، فقالوا: إن الذى وقع من الخلاف، كان بين مَنْ قد قضى نحبه من الآباء والأسْلاف، ولم تجر بيننا مخاشَنَه، ولا وقع خلف ولا مشاحنة، فعُدْنا على ما كان عليه آباؤنا القدماء الكرام من الاتفاق والائتلاف، وحفظ العهد والذمام، والتزمنا أن لا نَحُل عقد هذا النظام، والله الموفق للرشاد الهادى إلى السّداد.

ولما تفرغ البال من إصلاح ذات البين، واستحكمت مرائر الائتلاف بين الجهتين، أنفذنا الإيلجيّة بعد النيّة الخالصة لله وللرسول، تسكينا للفتن الثائرة، وإطفاء للهيب تلك النائرة، وحقنا لدماء المسلمين، وسدّا لثلمة الدين، فكانت خلاصة جوابه، وزُبدة خطابه، عند وقوفه[(٢)] على ما كُتب به إليه، أنه لو أنْفذ أبونا شيخ الإسلام، قدوة العارفين، كمال الدين عبد الرحمن، لكنتُ أسكنُ إلى أمانته، وأخلد إلى ديانته، وأسمع منه مالم يحتمل إيداعه الكتب، وأشافهه بما عندى من المصالح، وأُخاطِبُه بما ينطوى عليه ضميرى للسلمين من النصائح.

هذا، وغيرُ خاف أنه يعز علينا بعادُه[(٣)]، و يوحشنا بينهُ وفِراقُه، ورُبما اتصل به ما نَستَفيدُه من حسن معاشرته، وجميل مصاحبته، وحيث كان التماسُه موجبا

(١) «على ما ينوط» فى زبدة الفكرة.
(٢) «وقوعه» فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة.
(٣) «إبعاده» فى الأصل، والتصحيح من زبدة الفكرة.

لإشاعة الخير العام ، وإذاعة شعار الإسلام ، رضينا بتوجّهه إلى جهته إسعافا لمقترحه ، وجعلناه فى اتخاذ العهد واليمين ، بدلا عن شمالنا وايمين ، ولم يكن بين كلامنا وكلامه بَوْن ، إذ هو لنا فى أمور الدين نعم العَوْن ، والتزمنا بكل ما عساه يسندُه إلينا و بما يرى ، ثقةً بأنه الناصح الأمين الذى لا ينْطقُ عن الهوى ، وربما شرذمة من الجُهال من الجهتين ، من أهل الشقاق والنفاق ، [٦٨٣] الذين لاتجتمع كلمتهم على الوفاق ، تُنافى طبائعهم الصلح والاتفاق ﴿ يريدون أن يطفئوا(١) نور الله بأفواههم [ويأبى الله إلا أن يتم](٢) نوره ﴾(٣) ، لاختلاف ملتهم ، وطمعا فى إدراك بغيتهم ، فالواجب أن لاتسمع أقوالهم ، وتترك أفعالهم ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴾(٤) .

ومن المعلوم أن كل أمر يمكن اعتماده على الوجه الجميل ، بحيث تحسم فيه موادُّ القال والقيل ، لاينبغى أن يكون الحال فيه بالضدّ خصوصا فى الخطب الإدّ ، والأمر الجدّ ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾(٥) .

وكتب فى أوائل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة بمقام تبريز ، والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(٦) .

(١) « ليطفئوا » فى الأصل ، وهو تحريف .

(٢) [ ] « والله متم » فى الأصل ، والتصحيح والإضافة من القرآن .

(٣) جزء من الآية ٣٢ من سورة التوبة رقم (٩) .

(٤) « أولئك الذين » فى الأصل ، وهو تحريف .

جزء من الآية ١٧ من سورة التوبة رقم (٩) .

(٥) جزء من الآية ٤٣ من سورة الأعراف رقم (٧) .

(٦) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٧ ب — ١٤٩ ب .

وانظر نص الخطاب أيضا فى تشريف الأيام والعصور ص ٦٩ — ٧١ ، وقد ورد فيه أن مقابلة السلطان الملك المنصور لرسل أحمد تكدار كانت سنة ٦٨٢ هـ .

فخلع السلطان عليهم وأحسن إليهم، ثم أعلمهم بوفاة مرسلهم بعد ذلك .

وشرع السلطان فى الخروج إلى جهة المرج والإقامة به والصيد ، وبذل الخلع والإنعام ، وذلك كان دأبه مدة قيامه[1] بالشام[2] .

ذكر بقية الحوادث :

منها : أنه وصلت رسل من جهة تدان منكو[3] ، الجالس على كرسى الملك ببيت[4] بركة يخبرون بإسلامه ، ويهنون بتملكه ، وهم من فقهاء القفجاق ، أحدهم يسمى مجد الدين اتا[5] ، والآخر نور الدين ، وعلى يدهم كتاب من جهته بالخط المغلى ، معرب ، فكان مضمونه الإعلام بدخوله فى دين الإسلام ، وجلوسه على التخت ، وأنه أقام شرائع الدين ، ونواميس المسلمين ، وأوصى على الفقهاء الواصلين ، وأن يساعدوا على الحج المبرور ، الذى جاءوا له قاصدين ، وذكروا من ألسنتهم أنه سأل السلطان أن ينعته نعتا يسمى به من أسماء المسلمين ، وعلما خليفتيا ، وعلما سلطانيا نقاتل بهما أعداء الدين ، فجهز السلطان الفقهاء المذكورين إلى الحجاز الشريف ، فلما عادوا سفرهم إلى مقصدهم على أحسن حال[6] .

---

(١) « مقامه » فى زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقه ١٤٩ ب .

(٣) « تدامنكو » فى تشريف الأيام والعصور ص ٤٦ .

(٤) « بنت » فى الأصل والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) « أطا » فى زبدة الفكرة ، وتاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٧٢ ، وتشريف الأيام والعصور ص ٤٦ .

(٦) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٢ أ .

ومنها : أنه أمسك شخص بطرك ، كان مقيما بالحدث [١] ، وله شوكة كبيرة وحوله طواغيتُ كثيرة ، وقد انضم إليه جماعة من ذوى الضلال ، من أهل تلك الجبال ، وتحصّن بالحدث ، فقصده التركمان ، وتحيّلوا عليه حتى تمكنوا منه ، وأحضروه أسيرا ، وغادروه حسيرا ، واستراح المسلمون من شره ومن عادية أمره [٢] .

ومنها : أنه خرج صاحب قبرس [٣] فى [٦٨٤] جماعته ، عازما على قصد بلاد الساحل ، وركب البحر ، فرمته الريح [٤] إلى جهة بيروت ، فخرج منها ، وقصد الإغارة على تلك الجهات ، وكان السلطان لما بلغه حضوره قد تقدّم أمره إلى النُّواب بتلك البلاد لحفظ جميع الأماكن عليه ، فلما حصل فى جهة بيروت ، كمن له أهل جبل بيروت [٥] ، وخرجوا عليه ، فقتلوا وأسروا من جماعته ثمانين رجلا ، وأخذوا له شيئا كثيرا من مال وخيل و بغال ، فركب البحر وتوجه إلى صُور ، ولم يلبث أن هلك وأراح الله منه [٦] .

---

(١) الحدث ، قلعة حصينة من الثغور بين ملطية وسميساط ومرعش — معجم البلدان .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٢ أ ، ب ، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٧٧ ، تشريف الأيام والعصور ص ٤٧ .

(٣) « البحر » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٤) صاحب قبرس فى ذلك الوقت هو هيو الثالث لوزجنان الذى حكم فى الفترة من ١٢٦٧ — ١٢٨٤ م .

(٥) « جبل الخروب » فى زبدة الفكرة .

(٦) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٢ ب .

ومنها : أنه وصل رسول أبى نكبيا[(١)] ملك سيلان إلى الأبواب السلطانية ، واسمه الحاج أبو عثمان ، ومعه رفيق له[(٢)] ، وأحضر كتابا فى حق من ذهب ، وقالوا : هذا الكتاب بخط الملك[(٣)] ، فطلب من يقرأه ، فلم يوجد ، فسألوا عن مضمونه ، فقالوا : مضمونه أن سَيْلان مصرُ ومصر سَيْلان ، وأنه قد ترك مصاحبة صاحب اليمن مرة واحدة فى محبة السلطان ، وقال : أريد رسولا من جهة السلطان يحضر إلى صحبة رسولى ، ورسولا يقيم فى عدن ، والجواهر واليواقيت واللؤلؤ عندى كثير ، والمراكب[(٤)] والقماش من البز وغيره عندى ، وعندى البقم والقرفة ، وجميع ما يجلبه[(٥)] الكارم والرماح نشأتها عندى ، وعندى الفيول ، ولو طلب السلطان كل سنة عشرين مركبا لسيَّرتها إليه ، ونُطلق تجار السلطان للبلاد ، ورسول صاحب اليمن أتانى فرددته محبة فى مولانا السلطان ، وأنا لى سبعة وعشرون قلعة مملوءة خزائنها جواهر ويواقيت ، والمَغَاصَاتُ لى ، وكل ما يحضر منها فهو لى[(٦)] .

(١) « أبو نكبة » فى السلوك جـ ١ ص ٧١٣ ، وتاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٦١ ، و « أبو بكبا » فى تشريف الأيام والعصور ص ٥٥ .

(٢) « أمين الدين أبو عثمان ورفيقه الشيخ على لوكتى » تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٦١

(٣) « وصورة الكتب التى وصلت على أيديهم صفيحة ذهب رقيقة عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع أو حوله مدورة حلقة وداخلها شىء شبيه بالخوص أخضر عليه كتابة تشبه الخط الرومى أو القبطى » — تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٦١ .

(٤) « والمركب » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) « ما تجلبه » فى زبدة الفكرة ، و « يطلبه » فى تاريخ ابن الفرات .

(٦) انظر أيضا تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٦١ — ٢٦٢ ، تشريف الأيام والعصور ص ٥٢ .

فأكرم السلطان هذا الرسول ، وكتب جوابَه ، وجهَّزه ، فعاد .

وذكر أنه حضر على طريق هرمز في مركب السَّيلانيّ إلى بندر هُرْمز ووصف البلاد والمنازل التي مرّ بها في سفرته . قال : إنهم سافروا من سَيْلان إلى جزيرة الحاشك ، ثم إلى أسَّناس ، ثم إلى كُرُزستَان .

ومنها : إلى تادانه[1] .

ومنها : إلى قِيش[2] .

ومنها : إلى هَرْوَا .

ومنها : إلى العصر .

ومنها : إلى الآمِي[3] .

ومنها : إلى الأندرواني[4] .

ومنها : إلى قلعة أحمد تكر[5] .

ومنها : إلى قلعة الريح[6] .

ومنها : إلى قلعة بجيلوا[7] .

---

(١) « تاراته » في زبدة الفكرة ، وتشريف الأيام والعصور ص ٥٠ .

(٢) « فنس » في تشريف الأيام والعصور .

(٣) « الاء » في تشريف الأيام والعصور .

(٤) « الأندرواى » في تشريف الأيام والعصور .

(٥) « فكر » في تشريف الأيام والعصور .

(٦) « الزنج » في تشريف الأيام والعصور .

(٧) « تحيلو » في تشريف الأيام والعصور .

ومنها : إلى تانيد[(١)] .

ومنها : إلى سَرَاف .

ومنها : إلى بَرْدَاسْتَان .

ومنها : إلى إيرم .

ومنها : إلى ايرشهر[(٢)] .

ومنها : إلى جَوز السدق[(٣)] .

[٦٨٥]

ومنها : إلى جزيرة خارك .

ومنها : إلى جبابة .

ومنها : إلى مَهْرَوَان .

ومنها : إلى أرض عَبَّادان .

ومنها : إلى المحجرى[(٤)] .

ومنها : إلى الأُبُلَّة[(٥)] .

ومنها : إلى البصرة .

ومنها : إلى الحبيلة[(٦)] .

---

(١) « نابند » في تشريف الأيام والعصور .

(٢) « أبو مهر » في تشريف الأيام والعصور .

(٣) « خور السدف » في تشريف الأيام والعصور .

(٤) « المجرزى » في زبدة الفكرة ، « والمحررى » في تشريف الأيام والعصور .

(٥) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذى تطل عليه مدينة البصرة ـ معجم البلدان .

(٦) « الحبلة » في تشريف الأيام والعصور .

ومنها : إلى زبير الدير[(١)] .

ومنها : إلى المطارة ، ومن المطارة إلى البرية .

ومنها : إلى الجواهر .

ومنها : إلى أم عَبيدَه .

ومنها : إلى برق مرية[(٢)] .

ومنها : إلى الفاروت[(٣)] .

ومنها : إلى قرية عبد الله .

ومنها : إلى واسط .

ومنها : إلى أبى مُعَيْط .

ومنها : إلى المُبارك[(٤)] .

ومنها : إلى الخيزرانة[(٥)] .

ومنها : إلى سايس .

ومنها : إلى جُبْل .

ومنها : إلى النعمانية .

ومنها : إلى فم الدرب .

---

(١) « دير الدير » فى تشريف الأيام والعصور .

(٢) « بدن مزية » فى تشريف الأيام والعصور .

(٣) « الفاروث » فى زبدة الفكرة .

الفاروت : قرية على شاطىء دجلة بين واسط والمذار — معجم البلدان .

(٤) « المباركة » فى تشريف الأيام والعصور .

(٥) « حيزرانه » فى تشريف الأيام والعصور .

ومنها : إلى الحديدة، ثم إلى الكيل ، ثم إلى المدائن ، ثم إلى بغداد، ومن بغداد سلكوا الجادّة المسلوكة (١) إلى الشام ، ثم إلى مصر .

ومنها : أن فى هـذه السنة توجّه الملكان الصالح والأشرف ولدا مـولانا السلطان الملك المنصور إلى جهة العبّاسة ، فرمى الصالح كُرْكياً (٢) بالبندق ، وادعى لصاحب حماة (٣) ، وأرسله إلى المذكور صحبة الركن بيبرس الفارقانى ، وذلك لأنه (٤) كان كبيرا فى البندق ، وكان قدمته (٥) صالحيةٌ نجمية ، فاستبشر بذلك ، وقال ما أعظم هذه المنائح وأنا غلام من صالح إلى صالح ، وضربت البشائر بحماة أياما ، وبالغ فى التهانى إجلالا وإعظاما ، وأوسع للرسول الحامل للطير إكراما ، وجهز التقادم من القمىّ المُذَهَبة والحَراوات المزركشة والبنادق المصنوعة من الذهب ، والخلعة الفيار المعلمة .

---

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٣ أ — ١٤٣ ب .

وقد اتبع رسول سهلان هذا الطريق ليتجنب المرور بسواحل اليمن .

(٢) « كيا » فى تشريف الأيام والعصور ص ٥٣ .

الكركى — كراكى : طائر البجعة ، وهى من طيور الشتاء ، ومن الطيور التى يعبر عنها بـ « طير الواجب » ، ويفخر بصيدها رماة البندق — صبح الأعشى جـ ٢ ص ٦٣ — ٦٤ .

(٣) ادعى لصاحب حماة : أى انتسب له فى رمى البندق .

وصاحب حماة فى ذلك الوقت هو الملك منصور محمد ، المتوفى سنة ٦٨٢ هـ — انظر ما يلى فى وفيات السنة .

(٤) « أنه » فى زبدة الفكرة .

(٥) قِدْمة — قدمات : وسائل تشتمل على حال الرمى بالبندق ، وأحوال الرماه ، وأسماء طير الواجب ، واصطلاح الرماه وشروطهم — صبح الأعشى جـ ١٤ ص ٢٨٢ .

ومنها : أنه نجزت عمارة تربة كان السلطان قد رسم بعملها لوالدة ولده الملك الصالح ، بشدّ الأمير علم الدين الشجاعى ، بالقرب من مشهد السيّدة نفيسة ، نزل السلطان وولده إليها ، وتصدقا فيها ، ورتبا وقوفها وأحوالها .

واستحسن السلطان وجوه المبارّ ، ورآها أنفس الادّخار ، فرسم بتعيين مكان تليق أن تبنى فيه مدرسةٌ وتُرْبةٌ ومارستان بوَسْط القاهرة ، فلم يوجد لذلك إلا دار تعرف بالقُطْبيّة(١) بين القصرين ، فاشتراها السلطان من خاص ماله من وكيل بيت المال بوكالة الأمير حسام الدين نائبه عنه ، وعوّض مَنْ كان ساكناً(٢) بها بالقصر المعروف بقصر الزمُرد ، ورتَّب الأمير علم الدين الشجاعى مشدّاً على العمارة ، وإحضار الآلات [٦٨٦] من جميع الجهات فأظهر من الإهتمام ، وجمع الصُّناع من مصر والشام ، ما لا يُسمع بمثله فى سالف الأيام ، وشرع فى العمارة ، فأخرب قلعة الروضة واستعان بما فيها من الأصناف لعمارة هذا المكان ، واجتهد فيه كل الإجتهاد ، ففرغ البيمارستان بأواوينه الأربعة وشاذرواناته ورخامه وأنهاره الجارية ، وبستانه(٣) ، قبل أن يهل شهر رمضان من هذه السنة ، واستمرّ العمل إلى أن تمّ(٤) وكمل على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) الدار القطبية : نسبة إلى الملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، فقد ظلت فى ورثته حتى أخذها السلطان قلاوون ، وكانت فى الأصل قاعة ست الملك ابنة الملك العزيز بالله الفاطمى — المواعظ والإعتبار جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٢) أخذها السلطان قلاوون من ابنة الملك العادل مؤنسة خاتون — السلوك جـ ١ ص ٧١٦ — ٧١٧

(٣) يوجد جزء من حجة وقف السلطان قلاوون به وصف للمدرسة والبيمارستان — انظر الوثيقة رقم ٧٠٦ ج بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، وانظر أيضا فهرست وثائق القاهرة .

(٤) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٢ ب — ١٤٤ أ .

ومنها : أن السلطان أمر لنائب حلب بالإغارة على جهة بلد الأرمن ، فسيَّر جماعة مقدمهم الأمير سيف الدين بلبان الشمسى إلى الثنيات ، فنزلوا عليها ونازلوها ، ورموا بالمنجنيقات ، وأحرقوا بُرجا من أبراجها ، وبدنةً من أسوارها ، فصاح أهلها الأمان ، وطلبوا من يتحدث معهم ، فتوجّه اثنان من الحلقة الحلبيّة ، وتحدّثا معهم بتقرير الحال على أن يقوموا بسبعة عشر ألف درهم برسم تطابيق الخيول ، وعجّلوا منها ألفى درهم ، وأحضروا رهينةً على بقية المبلغ ، وبينماهم يتحدثون[(١)] حضر قراغول التتار المجردين بالبلاد ، وكان مقدمهم سيف الدين جَنْغَلى ابن البابا إلى جبل ليسُون[(٢)] ، طالب فرصة ، وأرسل جماعة من القراغول فتوقع عليهم اليزك الإسلامىّ وجهاً لوجه ، واقتتلوا ، فقتل أكثر التتار ، وأمسك منهم ستة أنفار ، واستشهد الأمير شهاب الدين حيدر ، ثم عاد العسكر من هذه الغارة وقد حرقوا قلعة التينى ، فلم يتمكن الأرمن من الإقامة بها بعد ذلك[(٣)] .

ومنها : أن فى العشر الأول من شعبان جاء سيلٌ عظيم بدمشق ، والسلطان الملك المنصور بها ، وأخذ ما مرَّ به من العمارات وغيرها ، واقتلع الأشجار ، وأهلك الحيوان ، [و][(٤)] الكثير من الناس ، والخيل والجمال ، وذهبت بما لا يحصى من الأقمشة والعدد والخيم والأموال ، وكان السلطان قد أمر بالخروج من دمشق الى

---

(١) « وبينا هم فى المفاوضة » فى زبدة الفكرة .

(٢) « ترنع » فى زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٦ ب .

(٤) [ ] إضافة تتفق مع السياق .

مصر ، وقرر أن يكون توجهه فى الحادى عشر من شعبان ، وأحضرت جمال الخزائن والبيوتات ، ولم يبق إلا إخراج الخزائن والآلات ، فرسم السلطان أن يكون نزول الجمال بعيدا عن الأبواب ، وأن يؤخر إخراج الخزائن ذلك اليوم ، توفيقا من الله الذى ألهمه الصواب ، فلما [٦٨٧] كانت ليلة الأربعاء العاشر من شعبان من هذه السنة هجم السيل ، ومدّ [لما جن الليل](١) وجاء كأنه الجبال ، وجرى ما ذكرنا ، ولم يدر أحد من أى جهة اندفع ، فوصل السلطان قلعته يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان المعظم من هذه السنة(٢) .

وفيها : « .. .. »(٣) .

وفيها : حج بالناس علم الدين سنجر الباشقردى .

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكر .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٠ ب — ١٥١ أ .

(٣) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الصَّدْرُ الكبير عماد الدين أبو الفضل محمد[1] بن القاضى شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازى.

صاحب الطريقة المنسوبة فى الكتابة، سمع الحديث، وكان من رُؤساء دمشق وأعيانها، توفى فى هذه السنة فى شهر صفر[2].

الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن[3] بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى.

أول مَنْ ولى قضاء الحنابلة بدمشق[4]، ثم تركه وولى ابنه نجم الدين القضاء

---

(١) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٣١، درة الأسلاك ص ٧٥، الوافى جـ ١ ص ٢٠١ رقم ١٢٦، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٥٠ رقم ٢٤٢، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨، السلوك جـ ١ ص ٧١٨، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٨٣، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٢، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٥٩، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٨٦.

(٢) البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٢.

(٣) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، درة الأسلاك ص ٧٤، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١٠٦ رقم ١٦٠، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٧٦، السلوك جـ ١ ص ٧٢٠، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٨١، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٢، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٥٨، تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٨٦.

(٤) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى، نجم الدين أبو العباس، المتوفى سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م — المنهل الصافى جـ ١ ص ٣٣٠ رقم ١٧٨، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٦٤، ١٢٩.

وتدريس الأشرفية بالجبل، وقد سمع الحديث الكثير، وكان من علماء المسلمين، وأكبرهم ديانة فى عصره وأمانة، مع هدى صالح، وسمت حسن، وخشوع ووقار، وكانت وفاته ليـلة الثـلاثاء سلخ ربيـع الآخر من هـذه السنة، عن خمس وثمانين سنة، ودفن فى مقبرة والده[1].

العلامة شمس الدين أبو عبـد الله محمـد[2] بن محمـد بن عباس بن أبى بكر بن جَعْوان الأنصارى الدمشقى، المحدث، الفقيه الشافعى، البارع فى النحو واللغة.

وقال ابن كثير: سمعت الشيخ تقى الدين بن تيمية، وشيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول كل واحد منهما: إن هذا الرجل قرأ مسند الإمام أحمد، رحمه الله، وهما يسمعان فلم يَعُدَّا عليه لحنة[3]، وناهيك بهذين ثناء[4]، هذا وهماهما.

الخطيبُ محيى الدين يحيى[5] بن الخطيب قاضى القضاة عمادالدين عبد الكريم بن قاضى القاضى جمـال الدين بن الحرستانى الشافعى، خطيب دمشق، ومدرس الغزاليـــة[6].

---

(١) البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٢.

(٢) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، درة الأسلاك ص٥٧، الوافى جـ١ ص٢٠٢ رقم١٢٧، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٦٠، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٢، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٨١، تذكرة النبيه جـ١ ص٨٤.

(٣) «فلم يضبط عليه لحنة متفقا عليها» — البداية والنهاية.

(٤) البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٢.

(٥) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٦٠، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٢ — ٣٠٣، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٨٠.

(٦) المدرسة الغزالية بدمشق: كانت بالزاوية الغربيـة من الجامع الأموى — الدارس جـ١ ص٤١٣، خطط الشام جـ٦ ص٨٧.

وكان فاضلا بارعا ، أفتى ودرّس ، وولى الخطابة ، والغزالية بعد أبيه ، وكانت وفاته فى جمادى الآخرة منها ، عن ثمان وستين سنة ، ودفن بسفح جبل قاسيون .

الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحليم[1] بن الشيخ الإمام العلّامة العالم تقى الدين بن تيمية مفتى الفرق .

وكان الشيخ شهاب الدين له فضيلة حسنة ولديه فوائد كبيرة ، وكان له كرسىّ [٦٨٨] بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه ، وإليه مشيخة دار الحديث السكّرية بالقصاعين ، وبها سكنه ، ثم درس ولده الشيخ تقى الدين أول السنة الآتية ، ودفن بمقابر الصوفية .

الشيخ محمد اليمنى ، خادم الشيخ سفيان أبى عبد الله .

أقام فى القاهرة على قدم التجريد عشر سنين ، وكان يأكل فى كل عشرة أيام أكلة واحدة ، وكان لا يلبس المخيط ، وكانت إقامته بباب سعادة ، وتوفى يوم الاثنين الثانى عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بباب النصر .

الشيخ عبد الرحمن[2] ، رسول الملك أحمد سلطان ملك التتار .

توفى فى هذه السنة ، وكانت وفاته قريبة من وفاة مُرسِله ، وقد ذكرنا بعض ترجمته ، وكان هو تلميذ الشيخ موفق الدين الكواشى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٣٦٠ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٢ ، تذكرة النبيه جـ١ ص٨٥ ، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٧٦ .

(٢) ورد ذكر وفاته فى وفيات سنة ٦٨٣ هـ فى تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص ١٣ .

ويقال : إن موفق الدين أعطاه كتابا فى علم السيمياء، وقال له : اخرج اغسل هذا فى البحر ، فخرج فأودعه عند من يثق به ، وادعى أنه غسله ، وبعد ذلك اشتغل به وتمهر فيه ، ودخل على الخواتين بهذا العلم ، وحظى عند المغول ، وعند الملك سلطان أحمد ، كما ذكرناه .

الأمير الكبير ملك عرب آل مرى أحمد بن حجى (١) ، توفى فى هذه السنة بمدينة بصرى .

الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد (٢) بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، صاحب حماة .

توفى فى هذه السنة ، كذا أرخ بيبرس تاريخ وفاته فى هذه السنة (٣) .

وذكره الملك المؤيد ابن ابنه فى تاريخه فى سنة ثلاث وثمانين وهو أجدر بذلك (٤)، فقال ، ابتدأ به المرض فى أوائل شعبان بعد عوده من خدمة السلطان من

(١) هو أحمد بن حجى بن بريد البرمكى ، أمير آل مرا .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ١ ص٢٦٢ رقم ١٣٩ ، السلوك جـ١ ص٧٢١ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص٣٠٣ ، الوافى جـ ٦ ص ٣٠٤ رقم ٢٨٠٥ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٢٣٦ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٥٧ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٥١ أ ، ب ، المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص٧٧ ، الوافى جـ ٥ ص١١ رقم ١٩٦٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨١ ، السلوك جـ ١ ص ٧٢٦ ، تذكرة النبيه جـ١ ص٨٨ ، كنز الدرر جـ٨ ص ٢٦٥ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٣ — ١٤ ، تشريف الأيام والعصور ص ٢٣ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥١ أ ، ب .

(٤) المختصر جـ ٤ ص ١٨ — ١٩ ، وانظر أيضا مصادر الترجمة — فيما عدا زبدة الفكرة ، فقد أجمعت على أن وفاة صاحب الترجمة كانت سنة ٦٨٢ هـ .

دمشق ، وكان مرضه حمى صفراوية داخل العروق ، ثم صلح مزاجه بعض الصلاح ، فأشار الأطباء بدخوله الحمام ، فدخلها ، فعاوده المرض ، وأحضر له الأطباء من دمشق مع من كان في خدمته منهم ، واشتد به ذات الجنب ، وعالجه بما يصلح لذلك فلم يفد شيئًا ، وفي مدة مرضه أعتق مماليكه ، وتاب توبة نصوحًا ، وكتب إلى السلطان الملك المنصور قلاون يسأله في إقرار ابنه الملك المظفر محمود (١) في ملكه على قاعدته ، واشتد به مرضه حتى توفى بكرة حادى عشر شوال من سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وكانت ولادته في الساعة [٦٨٩] الخامسة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، فيكون عمره إحدى وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة عشر يوما ، وملك حماة يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وهو اليوم الذى توفى فيه والده الملك المظفر محمود ، فيكون مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام .

وكان أكبر أمانيه أن يعيش حتى يسمع جوابه من السلطان فيما سأله من إقرار ولده الملك المظفر محمود على حماة ، فاتفقت وفاته قبل وصول الجواب ، وكان قد أرسل في ذلك على البريد مملوكه سنقر أمير آخور ، فوصل بالجواب من السلطان .

بعد البسملة .

المملوك قلاون .

أعز الله أنصار المقام العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى الناصرى ، ولا عدمه الإسلام ، ولا فقدته السيوف والأقلام ، وحماه من ذى داء ، وعود

(١) توفى سنة ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨ م — المنهل الصافي .

مُوَاد ، والمام الآلام ، المملوك يجدِّدُ الخدمةَ التى كان يودُّ تجديدها شفاها ، ويصف ماعنده من الألم لما ألمَّ بمزاجه الكريم ، حتى أنه لم يكد يفتح بحديث فاها ، ولما وقفنا على كتاب المولى المتضمن بمرض الجسد المحروس ، وما انتهى إليه الحال ، كادت القلوب تنشق ، والنفوس تذوب حزنا ، والرجاءُ من الله أن يتداركه بلطفه ، وأن يمنّ بعافيته التى رفع فى مسألتها يديه وبسط كفيه ، وهو يرجو من كرم الله معاجلة الشفاء ، ومداركة العافية المُوردةِ بعد الكدر مورد الصفا ، وأن الله يفسح فى أجل المولى ، ويهبه العمر الطويل .

وأما الإشارة الكريمة إلى ماذكره من حقوق يوجبها الإقرار ، وعهود آمنت بدورها من السرار ، ونحن نحمد الله ، فمندنا تلك العهود ملحوظة ، وتلك المودّات محفوظة ، فالمولى يعيش قرير العين ، فما ثمّ إلّا ما يسرّه من إقامة ولده مقامه ، لا يحول ولا يزول ، ولا يرى على ذلك ذلّة ولا ذهول ، ويكون المولى طيب النفس ، مستديم الأنس بصدق العهد القديم ، وبكل مايؤثر من خير مقيم .

ولما وصل الكتاب اجتمع لقراءته الملك الأفضل ، والملك [٦٩٠] المظفر ، وعلم الدين سنجر المعروف بأبى خُرص ، وقرئ عليهم ، فتضاعف سرورهم بذلك .

وكان الملك المنصور محمد ملكا ذكيا ، فطنا ، محبوب الصورة ، وكان له قبول عظيم عند ملوك الترك ، وكان حليما إلى الغاية ، يتجاوز عما يكره ويكتمه ، ولا يفضح قائله ، من ذلك أن الملك الظاهر بيبرس قدم مرةً إلى حماة ونزل بالدار المعروفة الآن بدار المبارز ، فرفع إليه أهل حماة عدة قصص يشكون فيها على الملك

المنصور ، فأمر الملك الظاهر دواداره سيف الدين بلبان الرومى أن يجمع القصص ولا يقرأها ، و يضعها فى منديل و يحملها إلى الملك المنصور صاحب حماة ، فحملها الدوادار المذكور ، وأحضرها إلى الملك المنصور ، فقال : إنه والله لم يطلع السلطان — يعنى الملك الظاهر على قصة منها ، وقد حملها إليك ، فتضاعف دعاء الملك المنصور لصدقات الملك الظاهر ، وخلع على الدوادار ، وأخذ القصص ، فقال بعض الجماعة : سوف يُرَى من تكلم بشىء لا ينبغى ما يلتق ، وتكلموا بمثل ذلك ، فأمر الملك المنصور بإحضار نار وحرق تلك القصص ، ولم يقف على شىء منها ، لئلا يتغير خاطره على رافعها ، وله مثل ذلك كثير .

ذكرُ تملك الملك المُظَفَّر حَماة :

ولما بلغ السلطان الملك المنصور قلاون وفاة الملك المنصور صاحب حماة ، قرَّر ابنه الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد فى ملك حماة على قاعدة والده ، وأرسل إليه ، وإلى عمه الملك الأفضل ، و إلى أولاده التشاريف ، ومكاتبة إلى الملك المظفر بذلك ، ووصلت التشاريف ولبسوها فى العشر الأخير من شوال من هذه السنة — أعنى سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ونسخة الكتاب الواصل من السلطان : بعد البسملة .

المملوك قلاون .

أعز الله نصرة المقام العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى المنصورى[1] ، ونزع عنه لباس البأس ، وألبسه حُلَل السعد المجلوة على أعين الناس ، وهو نديم خدمة بولاء ، قد انبجست عيونه ، وتأسست مبانيه ، وتناسبت ظنونه ، وحلّت رهونه ، وخلت ديونه ، وأثمرت غصونه ، وزهت أفنانه وفنونه .

ومنها : وقد سيَّرنا المجلس السّامى جمال الدين أقوش الموصلى الحاجب ، وأصحبناه [٦٩١] من الملبوس الشريف ما يُغيِّر به لباس الحزَن ، ويجلى فى مطلعه ضياءُ وجهه الحسَن ، وتنجلى بذلك غيوم تلك الغموم ، وأرسلنا أيضا صحبته ما يلبسه هو وذووُه ، كما يبدو البدر بين النجوم .

وآخر الكتاب — وكتب فى العاشر من شوال[2] سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

وكان قد وقع الإتفاق عند موت الملك المنصور على إرسال علم الدين سنجر أبو خُرص الحموى لأجل هذا المُهم ، فلاقى سنجر المذكور جمال الدين الموصلى بالخلع فى أثناء الطريق ، فأتمّ سنجر أبو خُرص السير ووصل إلى الأبواب الشريفة السلطانية ، فتلقاه السلطان بالقبول ، وأعاده بكل ما يجب ويختار . وقال : نحن واصلون إلى الشام ونفعل مع الملك المظفر فوق ما فى نفسه ، فعاد علم الدين سنجر أبو خُرص إلى حماة ومعه الجواب بنحو ذلك .

---

(١) « المنصورى » ساقط من تذكرة النبيه جـ ١ ص ٨٩ .
وردت « التقوى » فى المختصر جـ ٤ ص ٢٠ .

(٢) « فى عشرين شوال » فى المختصر جـ ٤ ص ٢٠ .

السلطان تُوكُدار بن هلاوُن بن باطو بن جنكزخان الملقب فى الإسلام أحمد (١) سلطان ، قتل فى هذه السنة ، قتله عمه أرغون كما ذكرناه مفصلا .

السُلطان غياثُ الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان (٢) صاحب الروم.

قتل فى هذا السنة ، وكان سبب قتله أن أرغون توهم [فيه] (٣) أنه أعانَ أحمد سلطان على قتـل عمه قنغرطاى بن هلاون ، فإن أحمد سلطان كان قد استدْعاه إلى الأُرْدُو ، عند ما جلس فى السلطنة ، وكان قنغرطاى مقيما ببلاد (٤) الروم من أيام أبغا ، هو والسلطان غياث الدين ، الأمير عز الدين محمد بكلْبُركى (٥) بن سَلْمان أخى البَرْواناه بين يَدَيْه ، والصاحب فخر الدين خواجا على ، وكان النُوّاب عن أحمـد سلطان ضَمغَار وطُغْريل وبلرْغى فى الروم بثلاثة تُمَانَات ، فلما تقاعد قنغرطاى عن المَسير إلى أُرْدُو أحمد سلطان ، أرسل يَحُثُّه ويستدعيه بسُرعة ، فلم يمكنه التأخير ، فتـوجه هو والسلطان غياث الدين ؛ وكان قد تزوج بأختـه بنت السلطان ركن الدين ، فلما وصل أُرْدُو قتله أحمد سلطان لوقته ، وعزل غياث الدين عن السلطنة ،

---

(١) هو أحمد سلطان المسمى توذكار بن هلاون .

وله ترجمة أيضا فى : المنهل جـ٢ ص٢٠٤ رقم ٣٣٤ ، الوافى جـ٨ ص٢٢٧ رقم ٣٦٦٤ ، النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٣٦٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨١ ، جامع التواريخ المجلد الثانى جـ ٢ ص٨٨ وما بعدها ، العبر جـ٥ ص٣٨١ ، السلوك جـ١ ص٧٢٧ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣٠٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص٩٠ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى زبدة الفكرة جـ٧ ورقة ١٤٥ أ ، ب ، المنهل الصافى ، السلوك جـ١ ص٧١٥

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « بلد » فى زبدة الفكرة .

(٥) « بكلبركى » ساقط من زبدة الفكرة .

ورسم له فى الإقامة فى أرزنكان ، فعاد إليها معزولا ، وأقام بها مهزولا ، وفوض السلطنة ببلاد الروم (١) إلى السلطان مسعود بن السلطان عز الدين[٦٩٢] كيكاوس ، فاستقر بها (٢) ، وليس له منها إلا الاسم ، والحكم كله فيها للتتار وشحانيهم ، فلما جلس أرغون فى السلطنة دس إليه وهو فى أرزنكان من خنقه بوتر ، فمات فى هذه السنة (٣) .

الأشكرى صاحب القسطنطينية ، واسمه ميخائيل (٤) .

هلك فى هذه السنة (٥) ، وملك بعده ولده اندورنيكوس (٦) ، وتزوج ، ولقب الدوقس الانجالوس الباولوغس ، وكانت (٧) رسل السلطان قد توجهوا إلى والده ميخائيل بنسخة الأيمان ، فحلف بها ولده المذكور ، فجهز السلطان إليه الأمير ناصر الدين محمد بن المحنى الجزرى رسولا بهدية جليلة ، وجهز السيفى بلبان الحلبى الكبير ، ومظفر الدين موسى بن مهرش رسلا إلى تدان منكو ونوغاى وقيدو ، ومعهما الأمير قطقان وشمس الدين بن أبى الشوارب .

(١) «السلطنة وحكم بلد الروم» فى زبدة الفكرة .

(٢) «فاستقر بها إلى يومنا هذا» فى زبدة الفكرة .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٤٥ أ ، ب .

(٤) وله أيضا ترجمة فى المصادر العربية مثل : زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٤٦ أ ، المنهل الصافى ، المختصر جـ٤ ص١٨ ، السلوك جـ١ ص٧١٤ ، تشريف الأيام والعصور ص٤٤ .

وهو ميخائيل الثامن باليولوجوس الذى حكم فى الفترة من ١٢٥٩ — ١٢٨٢ م .

(٥) «هلك فى هذه السنة» ساقط من زبدة الفكرة .

(٦) هو أندرونيقوس الثانى باليولوجوس الذى حكم فى الفترة ١٢٨٢ — ١٣٢٨ م .

(٧) «وكان» فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

وميخائيل هذا [المتوفى](١) لم يكن له أولا مملكة بالقسطنطينية ولا لأبيه ، بل كان الملك بها لغيره ، وكان هـو من كبار البطارقة ، وله قلعة من القلاع ، وهو مقيم بهـا ، فاتفق مجيء الفرنج لحصار القسطنطينية ، فاستولوا عليها ، واجتمع ميخائيل المذكور مع جماعة من عسكر القسطنطينية وقال لهم : إن أنا تحيلت وأزحت الفـرنج منها أكون ملكا عليكم ، فأجابوه إلى شرطه ، فقصدها في جماعة ممن اجتمع إليه من البطارقة وحصرها ، وقاتل الفرنج الذين بها أياما ، ثم استجلى مكانا من السور ، فطلع منه هو وأصحابه ، والفرنج لا يشعرون ، فإن المدينة وسيعة جدا ، فما أفاقهم إلا وثوبه بهم ، و بذل السيف فيهم ، فقتل منهم جماعة ، وهرب من نجا منهم إلى المراكب ، واستقر بالمدينة ، وجلس على كرسي المملكة الأشكرية ، وأخذ الذي كان متملكا قبله ، وكان شابا فسمله وعزله .(٢)

والدة الملك السعيد بن الملك الظاهر بيبرس(٣)، ماتت في هذه السنة، وهي بنت حسام الدين بركة خان مقـدم الخوارزمية ، الذين ذكرنا وصولهم إلى الديار المصرية وأخبارهم في الأيام الصالحية النجمية الأيوبية ، والله أعلم .

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٤٦ أ ، ب .

(٣) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٥١ ب .

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة الثالثة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسي .

وسلطان البلاد المصرية والشامية : الملك المنصور قلاون الألفي .

ونائبه في [٦٩٣] الشام : حسام الدين لاجين المنصوري ، وفي حلب : الأمير شمس الدين قراسنقر مملوكه .

وصاحب حماة : الملك المظفر بن الملك المنصور .

وصاحب بلاد الروم : السلطان مسعود بن السلطان عز الدين كيكاوس ، ولكنه مقهور تحت أيدي التتار ، وليس له إلا اسم السلطنة فقط .

والحاكم بالبلاد الشرقية بكمالها أرغون بن أبغا بن هلاون .

وصاحب البلاد الشمالية التي كرسيها صَرَاى : تُدان مَنْكُو بن طغان بن باطوخان ابن دُوشي خان بن جنكزخان .

ذكر ما جريات السلطان الملك المنصور رحمه الله :

منها : أنه توجه من الديار المصرية إلى الديار الشامية ، ووصل دمشق يوم السبت ثاني عشر جمادى الآخرة (1) ، ثم خرج إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام .

(*) يوافق أولها الإثنين ٢٠ مارس ١٢٨٤ م .

(1) ذكر ابن الفرات أن سبب سفر السلطان الملك المنصور كان « بسبب الاجتماع بالشيخ عبد الرحمن ومن معه من التتار رسل الملك أحمد أغا سلطان بن هولاكو ملك التتر » — تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٤ ، وانظر أيضا تشريف الأيام والعصور ص ٦٨ — ٦٩ .

بينما أورد العيني وفاة الشيخ عبد الرحمن ضمن وفيات عام ٦٨٢ هـ — انظر ماسبق ص ٣١٣ .

ومنها : أنه عزل علم الدين سنجر الدواداري عن شد الدواوين، وولى عوضه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر(١).

ومنها : أنه عزل الصاحب برهان الدين السنجاري عن الوزارة، وولى عوضه فخر الدين لقمان.

ومنها : أنه أنعم على مملوكه بيبرس الدوادار صاحب التاريخ بإمرة طبلخاناة بخمسين فارسًا، وأعطاه إقطاع الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحي أمير جاندار، ونقله إلى مائة فارس، وكتب له منشورا بالخبز المذكور تاريخه الخامس من شوال، ونسخة المنشور.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله مجزل العطاء، ومجدد النعماء، ومُمْطِر دِيَم الجود المستهلّة بالأنواء، الذي شيّد للإسلام رُكنا، وبلّغ كلًّا من أولياء الدولة ما كان يتمنّى، نحمده حمدا يستغرق أنواع المحامد لفظا ومعنى، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تُحِلّ قائلها من الكرامة بالمقام الأعلى والمحلّ الأسنى، ونشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم(٢) عبده ورسوله الذي كان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتوالى وتتكرر فرادى ومثنى وبعد :

---

(١) هو سنقر بن عبد الله الأعسر المنصوري، توفي سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م — المنهل الصافي.

(٢) « صلى الله عليه وسلم » ساقط من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٤ ب.

فإنك أولى من خُصّ من النعم بأحسنها ، ومَنْ قُلِّدَ من العقود النفيسة بأز ينها وأثمنها من نشأ على طاعة الدولة الشريفة وغُذِّى بلبانها ، و إذا عُدّ الأبطال كان من أكبر فرسانها وشجعانها ، وهو لسان المملكة المأمون على [٦٩٤] الأسرار ، ووليّها الذى لا تتوارى شمس إخلاصه بحجاب ، ولا بدُره بسرار ، ولما كان المجلس السامى الأمير الأجلّ الكبير الأوحد المؤيد النصير العضد الاسفَهسلار الغازى ركن الدين ، عز الإسلام مجد الأنام ، نصرة المجاهدين ، لسان المملكة ، عضد الملوك والسلاطين ، بيبرس الدوادار الملكى المنصورى ، أدام الله تمكينه ورفعته ، طرازَ هذه الحُلة ، ونتيجة هذه الأدلة ، وفارس هذا(١) المضمار ، ولرُكنه فى المَهَامّ يُسْتَنَدُ ، و إليه فى مواقف الحُروب يُشَار .

خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى ، أعلاه الله وشرفه ، أن يجرى بإقطاعه مارسم به الآن من الإقطاع والجهات الديوانيّة لخاصّه ولمن يستخدمه من الأجناد ، وذلك لاستقبال مغل سنة اثنتين وثمانين وستمائة(٢) .

وكان السلطان الملك المنصور أنعم على مملوكه بيبرس المذكور فى السنة [الماضية](٣) بخمسة عشر طواشيا ، واستقر فى زمرة الأمراء ، وكتب له منشور بذلك ، وألبس التشريف والشَّربُوش .

ونسخة منشوره بإنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وخطه :

---

(١) « هذه » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٤ ب ، ١٥٥ أ .

(٣) [ ] إضافة للتوضيح — انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد حمد الله الذى علم بالقلم ، وجعله مُؤاخى السيف فى مُهِمّات الأُمَم ، وطاول به السمهرىّ ، فنصب هذا لرفْع العِلم وهذا لجز العَلَم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بأنواع الحكم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ماتنسّمت ثغور الديَم ، وشابت بالأنوار لمم الظلم .

فإنه لما كان المجلس السامى الأميرى الأجلّ الكبير المختار [المجاهد الأوحد الأعز المرتضى الأكمل ركن الدين ، مجد الإسلام] (١) شرف الخواصّ ، بهاءُ الأمّة ، فرس الدولة ، واسطة المملكة ، اختيار الملوك والسلاطين ، بيبرس الدوادار المنصورى ، أدام الله رفعته وسُمُوّه ، ممن ربّته النعماءُ فى حجرها ، وصرّفته الآلاءُ فى نهيها وأمرها ، وأنشأته المملكة تحت جناحها ، ورتّبته السلطنة فى حمل ما هو أفخر وأفخم من حمل سلاحها ، وحَبته كلما (٢) يستدعى عطفها ويستديم شكرها له ووصفها ، ويكون أحد معقباتها التى ما بين يديها من الأمر ولسواه من ذوى الأسلحة ما خلفها ، وله نباهة تقدُّمه [٦٩٥] ووجاهة تفخمه ، وقدم خدمة يرشحه ، وعظم حُرمة تُوسّع له مجال الاصطفاء وتفسحه ، اقتضى حسن الرأى الشريف أن يُنَمّى هلاله ، ويُدرج إقباله ، ويقرب مناله ، فلذلك خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى السيفى ، لا برح يجُود ، وباستخلاصه يسُود من الأولياء من يسود ، أن يجرى فى إقطاعه ما رسم له الآن من الإقطاع لخاصّته ولمن

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٢ أ .

(٢) « كما » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

يستخدمه من الأجناد الجياد ، المعروفين بالخدمة بالبرك التام والعُدّة الكاملة ، والعِدّة الخاصّة ، وخمسة عشر[(1)] طواشيا .

وكان تاريخ هذا المنشور المُبَارك رابع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة[(2)] .

ذكر بقيّة الحوادث :

منها : أن فى هذه السنة ، كملت عمارة المدرسة المنصورية والبيمارستان والقبة والتُربة ومكتب السبيل بالقاهرة المحروسة بين القصرين ، وجميع مرافقها وما يتعلق بها ، وأظهر الأمير علم الدين الشجاعى فى نجاز هذه العمائر العظيمة ، التى لم يسمع بمثلها فى هذه المدة القريبة ، ما تعجز الفراعنة عنه ، وتقصر الهمم دونه ، مع أفانين البنيان والأوضاع ، وغرائب الترخيم والأدهان[(3)] وسائر الأنواع[(4)] .

(١) « خمس عشرة » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٢) زبدة الفكر جـ ٩ ورقة ١٥٢ أ ، ١٥٢ ب .

(٣) « والإذهاب » أى استخدام الذهب فى الدهان — فى زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٢ ب .

(٤) انظر وثائق وقف السلطان قلاوون وهى : وثيقة رقم ٧٠٦ ج أوقاف ، وهى جزء من حجة وقف عمائر السلطان قلاوون بها وصف المدرسة والبيمارستان ، والوثيقة ١٠١٠ أوقاف وصورتها بمجموعة المحكمة الشرعية بدار الوثائق القومية رقم ٢/١٥ ، وهى أوقاف على مصالح البيمارستان ، والوثيقة ١٠١١ أوقاف ، وهى على مصالح البيمارستان أيضا ، والوثيقة ٧٠٨ ج وهى عبارة عن وثيقة إيجار رواق بالبيمارستان المنصورى ، وانظر خلاصة شروط كتب وقف السلطان قلاوون فى الوثيقة رقم ١٠١٢ أوقاف — فهرست وثائق القاهرة .

وانظر ملاحق الجزء الأول من كتاب تذكرة النبيه لابن حبيب الحلبى حيث نشرت الوثيقة ١٠١٠ أوقاف وصورتها ٢/١٥ محكمة .

وانظر أيضا الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ١٥٧ وما بعدها .

ووصف الشعراء فنون هـذه العمائر وبدائع إعجـازها الذى يذهل الأبصـار والبصائر ، فكان ممـا قيل فى ذلك قصيدة مطولة أنشأها شرف الدين البُوصيرى الشاعر ، فمن مختارها هذه الأبيات :

جوارُك من جَوْر الزمان مُجِـيرُ ... وبِشْرك للرَّاجى نَداك بَشـيرُ

ومنها بعد المديح :

بَنى ما بَنى كِسْرى وما قلت مؤمن ... يُبَاهى به فيما بناه كفُورُ
ودُكَّ على تقـوى الإِلَه أَساسُهُ ... كما دُكَّ بالوادِ المقـدّسِ طُورُ
تجارتُه السُّحبُ الثقال تَسوقُها ... على عجلٍ سَـوْقًا صَبًا ودَبورُ
ومنهـا نُجُـومٌ فى بُروج مجـرّة ... على الأرض تبـدُو تارةً وتغُورُ
يضيق بها السبل الفجاج فلا يرى ... بها للرياح العاصفات مَسِـيرُ
فـكم صخـرة عاديةٍ قذفت بها ... إليـه سُهولٌ جمـةٌ(١) ووعُورُ
ومن مُحمّـد فى همّـة الدهر فترةٌ ... وفى باعه من أن تُجـتز قُصُورُ

[٦٩٦]

أشار لهـا فانقاد سهلاً عَسِـيرُها ... إليه وما أمرٌ عليـه عَسِـيرُ
فأذنة كالنجم تشرق فى الدُّجَى ... عليها هـدى للعالمـين ونورُ
ومن حيث ما وجهت وجهك نحوها ... تلقتـك منها نَضْرةٌ وسُرورُ
يمـدُّ إليها الحاسِدُ الطرف حسرةً ... فيرجع عنها الطرف وهو حسـير

(١) « جمة » فى زبدة الفكرة .

فكم حسدتها فى الكمال كواكبٌ ... وغارت عليها فى العلوّ بدورُ
إذا قام يدعو الله فيها مؤذّنٌ ... فما هو إلا للنجوم سميرُ
وقبّـة مارستان ليس لعلّة ... عليه وإن طال الزمان مرورُ
صحيح هواءٌ للنفوس بنشره ... معادٌ وللعظم الرميم نشورُ
تهبّ فتهدى كلّ روح لجسمه ... كأنّ صباه حين ينفخ صورُ
بجنّته ورقٌ يراسل ماؤه ... يشوق هديلٌ منها(1) وهديرُ
ومدرسة ودّ الخورنق أنه ... لديها حقيرٌ والسديرُ غديرُ
مدينة علم والمدارس حولها ... قرى أو نجومٌ بدرهنّ منيرُ
تبدّت فأخفى الظاهرية نورها ... وليس بظهر للنجوم ظهورُ
بناءٌ كأنّ النحل هندس شكله ... ولانت له كالشمع فيه صخورُ
يرى من يراها أنّ رافع سمكها ... على فعل ما أعيى الملوك قديرُ
ثمانيةٌ فى الجو تحمل عرشها ... وبعضٌ لبعضٍ فى البناء ظهيرُ
ذكرنا لديها قبة النسر مرةً ... فما كاد نسر الجو يطيرُ
فإن نسبت للنسر فالطائر الذى ... له بالبروج الثابتات وكورُ
بناها سعيدٌ فى بقاع سعيدة ... بها سعدت قبل المدارس دورُ
فصارت بيوت الله آخر عمرها ... قصورٌ خلت من سادة وخدورُ
بها عمّد كانت أيام عامها ... ومن عامها لم تمض بعد شهورُ

(1) « منهما » فى زبدة الفكرة .

سماويةٌ أرجاؤها فكأنما عليها من الوشْي البديع ستُورُ

وقه يومٌ ضمّ فيها أئمةً تدفّق منهم للعلوم بُحُورُ

وما تلك للسلطان إلا سَعَادةٌ يدومُ له ذِكْرٌ بها وأُجورُ

[٦٩٧]

فهل في ملوك الأرض أو خلفائها له في الّذى شادت يداه نظيرُ

وما جنّةُ الفردَوْسِ في الأرض غيرُها ولا فلكٌ فيه النجومُ أثيرُ

فلا زال مبيّنًا به العلمُ والتُّقَى ومُنْهدِمًا كفرٌ علا وفُجورُ

ولا زالت الأفلاك طوعا بكلما يُرِيدُ على رغم العدوّ يدور (١)

ومنها : أن الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة اهتمّ بحفر بئر نخل (٢)، وانتفع الحاج بذلك (٣).

ومنها : أن يعقوبَ المريني عاد إلى الأندلس ثالث مرة (٤)، واستطال على أعمالها ، وأثر فيها آثارًا عظيمة ، فخاف محمد بن الأحمر على نفسه ، وأرسل إلى الفونس (٥) يهادِنُه ويستنجده عليه ، فأرسل الفونس كتبه إلى يعقوب وأعلمه أنه

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٣ أ — ١٥٤ أ .

(٢) نخل : موضع قديم بشبه جزيرة سيناء ، كان محطة من محطات طريق الحج ، وبها آبار ماء عذب ، وتقع حاليا شرقي مدينة السويس بنحو ١٢٠ كم — القاموس الجغرافي ق ٢ جـ ٤ ص ٢٦٥ .

(٣) زبدة الفكرة جـ ٩ ، ورقة ١٥٤ أ .

(٤) كانت بداية خروج يعقوب المريني « في أول يوم من ربيع الثاني من سنة اثنين وثمانين وستمائة هـ (٢٩ يونية ١٢٨٣ م) » — الأنيس المطرب ص ٣٣٩ .

(٥) هو الفونسو العاشر .

لا يساعدُ ابن الأحمر عليه، ولا يُنجده بإرسال أحد إليه من جهته، وتراسل المرينى [والفونس](1) وتكاتبا، واتفقا، وحضر الفونس إليه بنفسه، واجتمعا، وأقام عنده أياما، وأهدى إليه هدايا كثيرة، وخيلا، ولُطَفًا، وغيرها، وأهدى إليه المَرينى هديّة وخيلا، واتفقا على ابن الأحمر، وعاد الفونس إلى كرسيه(2).

ومنها: أن الشيخ الإمام العلّامة تقى الدين أبا العباس أحمد بن تيميّة درّس بدار الحديث السكرية(3) التى بالقصاعين، وذلك فى يوم الاثنين ثامن المحرم من هذه السنة، وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى(4) الشافعى، والشيخ تاج الدين الفِزارىّ(5) شيخ الشافعية، والشيخ زين الدين بن المرحل(6)، وزين الدين بن المنجى(7) الحنبلى، وكان درسا هائلا، وجلس الشيخ تقى الدين أيضا يوم الجمعة عاشر صفر فى الجامع

(1) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٥ أ.

(2) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٥ أ.

(3) دار الحديث السكرية بدمشق: بالقصاعين داخل باب الجابيـة، وقد ولى مشيختها الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن تيمية، وعندما توفى سنة ٦٨٢ هـ، ولى مشيختها الشيخ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية — الدارس جـ ١ ص ٧٤ — ٧٥.

(4) هو يوسف بن يحيى بن محمد، بهاء الدين أبو الفضل، الشهير بابن الزكى الشافعى، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/١٢٨٦م — انظر ما يلى.

(5) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى، تاج الدين، المتوفى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م — المنهل الصافى، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٤٣.

(6) هو عمر بن مكى بن عبد الصمد الشافعى، زين الدين بن المرحل، خطيب الجامع الأموى، والمتوفى سنة ٦٩١ هـ/١٢٩٢ م — المنهل الصافى، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٥٥.

(7) هو المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الحنبلى، زين الدين، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ/١٢٩٦م — المنهل الصافى، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٩٠.

الأُمَوىّ بعد الصلاة على منبر هُيِّىء له لتفسير القرآن، فابتدأ من أوّله، فكان يجتمع عنده خلق كثير والجمّ الغفير، واستمرّ فى ذلك مدّة سنين متطاولة على هذا المنوال.

ومنها: أن ... الدين ابن الشيخ عدى الكُردىّ[(١)] هرب من الاعتقال، وكان معتقلا فى بُرج بالقلعة[(٢)]، فطلب أشدّ الطلب، وكتب إلى البلاد فى أمره، وجعل لمن احضره مائة دينار وخلعة، فأمسك من بعض دُور الحسينيّة وأُحضر، واعتقل مدةً، ثم أفرج عنه فيما بعدُ[(٣)].

وفيها: « ... ... »[(٤)].

وفيها: حج بالناس الأمير علم الدين سنجر الباشقردىّ وجرى بينه وبين أمير مكة [٦٩٨] كلام أقتضى أن أغلقوا أبواب مكة ولم يمكنوا أحد من الدخول إليها، فلما كان يوم التروية زحف العسكر من باب الحَجُون وأحرقوا البابَ، ونقبوا السُور، وهجموا على البلد، فهرب جمع الشريف بن أبى نمى، ولم يبق معه إلا أولاده، فدخل الناس مكة، ووقع بينهم الصلح على يد برهان الدين السنجارى[(٥)]، وكان حج فى هذه السنة، وهو الذى كان وزيرا، فعزل وتولى عوضه فخر الدين بن لقمان كما ذكرنا[(٦)].

(١) «...» بياض فى الأصل، وفى زبدة الفكرة أيضا.

(٢) «القلعة» فى الأصل، والتصحيح من زبد الفكرة.

(٣) زبدة الفكرة جـ٩ الورقة ١٥٥ أ.

(٤) «...» بياض فى الأصل.

(٥) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٥٤ أ.

(٦) انظر ما سبق ص ٣٢٣.

ذِكْرُ من تُوفى فيها من الأعيان

صاحب مجمع البحرين والبديع، الشـيخ الإمام العالم العلاّمة، مظفر الدين أحمـد[1] بن على بن تغلب بن أبى الضياء البغدادى، البعلبكى الأصـل، المعروف بابن الساعاتى.

سكن بغـداد ونشأ بها، وأبوه هو الذى عمـل الساعات المشهورة على باب المستنصريّة ببغداد، وكان مظفر الدين إماما عظيما فاضلا، وله تصانيف منها: مجمع البحرين فى الفقه، جمع فيه بين مختصر القدورىّ، والمنظومة[2] مع زوائد، ورتبه فأحسنَ، وأبدع فى اختصاره، وأسّسه على قواعدَ لم يسبق إليها، وشرحه فى مجلدين كبار، وسمعت بعض المشايخ أنّه سَوّده ولم يُبَيِّضـه، وإنمـا بيّضَتْه ابنته الستُّ الجليلةَ فاطمة خاتون، وكانت قد تفقهت على والدها وبرعت.

وقال صاحب طبقات الحنفيّة: ورأيت مجمع البحرين بخطها.

قال العبد الضعيف مؤلّف هذا الكتاب: لقد اختصرت هذا الشرح وسميته: كتاب المستجمع فى شرح المجمع، وزدتُ فيـه مذهب الإمام أحمـد بن حنبل

---

(١) وله أيضا ترجمـة فى: المنهل الصافى جـ ١ ص ٢٠، رقم ١٢٢ / ١، تاج التراجم ص ٦ رقم ١٠، الطبقات السنية جـ ١ ص ٤٦٢ رقم ٢٥٢، مرآة الجنان جـ ٤ ص ٢٢٧.

(٢) «ومنظومة النسفى» فى المنهل الصافى جـ ١ ص ٤٢١.

رضي الله عنه ، وتعرفت إلى عبارته وحلّ ألفاظه ، فبحمد الله وعونه وقع موقع القبول ، وكتبت منه نسخ وسارت بها إلى الآفاق : بلاد الروم والشام والعراق .

ومن تصانيف الشيخ مظفر الدين : كتاب البديع في أصول الفقه ، وهو كاسمه بديع غريب عجيب ، جمع فيه بين أصول فخر الإسلام البزدوي (١) والأحكام للآمدي (٢) وأسسه على قواعد المعقول . واعتنى بشرحه جماعة من الفضلاء المتأخرين منهم : الشيخ الإمام شمس الدين الأصفهاني ، وقاضي القضاة سراج الهندي وغيرهما ، وكانت وفاته بعد سنة ثنتين وثمانين وستمائة ، لأنه كان حيا في سنة إثنتين وثمانين وستمائة . ويقال : إنه [٦٩٩] توفي وهو شاب ، ومن جملة فضائله أنه كان يكتب خطًا حسنا جدا ، رحمه الله .

قاضي القُضاة الإمام عز الدين أبو المفاخر محمد (٣) بن شرف الدين عبد القادر ابن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الأنصاري الشافعي الدمشقي [الشهير بابن الصائغ] (٤) .

(١) هو كتاب « كنز الوصول إلى معرفة الأصول » للامام علي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي الحنفي ، فخر الإسلام ، أبو الحسن ، المتوفى سنة ٤٨٢ هـ / ١٠٨٩ م — هدية العارفين جـ ١ ص ٦٩٣ .

(٢) هو كتاب « إحكام الأحكام في أصول الأحكام » للشيخ علي بن أبي علي بن محمد بن سالم ، الحنبلي ، ثم الشافعي ، السيف الآمدي ، المتوفى سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م — هدية العارفين جـ ١ ص ٧٠٧ ، العبر جـ ٥ ص ١٢٤ .

(٣) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، درة الأسلاك ص ٧٨ ، الوافي جـ ٢ ص ٢٩٦ رقم ١٣١٤ ، تالي كتاب وفيات الأعيان ص ١٤٩ رقم ٢٤١ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩١ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٤ .

(٤) [ ] إضافة للتوضيح — انظر مصادر الترجمة .

ولى قضاء القضاة بدمشق مرتين، عزل به ابن خلكان، ثم ولى ابن خلكان، ثم عزل نائبه وسجن ، وولى بعده بهاء الدين بن زكى ، واستمر عز الدين المذكور معزولا إلى أن توفى ببستانه فى تاسع ربيع الأول ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكان مشكور السيرة ، له عقل وتدبير ، واعتقاد كثير فى الصالحين ، وقد سمع الحديث وروى .

القاضى نجم الدين عمر(١) بن نصر بن منصور [البيانى(٢)] الشافعى .

توفى فى شوال ، وكان فاضلا ، ولى قضاء زُرَع ، ثم قضاء حلب ، ثم مات فى دمشق بالرواحية .

القاضى جمال الدين أبو يعقوب يوسف(٣) بن عبد الله بن عمر الزواوى قاضى القضاة المالكية ومدرسهم بعد القاضى زين الدين(٤) الزواوى الذى عزل نفسه .

وكانت وفاته فى الخامس من ذى القعدة من هذه السنة وهو فى طريق الحجاز، وكان عالما فاضلا قليل التكلف ، وقد شغر المنصب بعده ثلاث سنين .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ .

(٢) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٥ ، الدارس جـ ٢ ص ٥ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٤ .

(٤) هو عبد السلام بن على بن عمر الزواوى المالكى ، قاضى القضاة زين الدين ، المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م — المنهل الصافى ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٧٦ .

المَلِكُ السَّعِيدُ فتح الدين عبد الملك[1] بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل ناصر الدين محمد .

توفى ليلة الاثنين ثالث رمضان ، ودفن من الغد بتربة أم الصالح[2] ، وكان من خيار الأمراء ، محترما ، كبيرا ، رئيسا ، روى موطأ يحيى بن بكير عن مكرم[3] ابن أبي الصقر ، وسمع ابن الليثي وغيره .

الشيخ طالب[4] الرفاعي ، توفى في هذه السنة بقصر حجاج ، وله زاوية مشهورة به .

الإمامُ ناصر الدين أبو العباس أحمد[5] بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم ابن مختار الجذامي الجروى المالكي ، المعروف بابن المنير ، الحاكم بالإسكندرية .

---

(١) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ ، الدارس جـ ١ ص ٣٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٣ .

(٢) تربة أم الصالح بدمشق : بالمدرسة الصالحية ، وقد أوقف التربة والمدرسة ودار الحديث والأقراء بدمشق الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر ، المتوفى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م — الدارس جـ ١ ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٣) هو مكرم بن محمد بن حمزة الدمشقي ، المعروف بابن أبي الصقر ، نجم الدين أبو المفضل ، المتوفى سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٧م — العبر جـ ٥ ص ١٤٦ .

(٤) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ .

(٥) وله أيضا ترجمة في : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٥ أ ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٣٤ ، المنهل الصافي جـ ٢ ص ١٨٥ رقم ٣٠٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٢ ، السلوك جـ ١ ص ٧٢٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨١ ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٢ ، الوافي جـ ٨ ص ١٢٨ رقم ٣٥٤٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٢ .

توفى فيها فى مستهل ربيع الأول ، ومولده فى ثالث ذى القعدة سنة عشرين وستمائة بالإسكندرية ، وكان إماما عالما متبحرا فى العلوم خصوصا فى الأدب .

الشيخ شرف الدين بن الميدومى[(١)] المحدث بالمدرسة الكاملية .

توفى فى هذه السنة بالقاهرة .

[٧٠٠] الأمير شرف الدين عيسى بن مُهَنَّى[(٢)] أمير آل فضل وأكبر أمراء عربان الشام .

توفى فى هذه السنة ، وكان دينا صالحا ، وله اليدُ الطولى فى وقعة حمص ، وتولى مكانه ولده الأكبر حسام الدين مهنى[(٣)] .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٠٥ أ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٤ : السلوك جـ ١ ص ٧٢٥ — ٧٢٦ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩٠ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٢ .

(٣) هو مهنا بن عيسى ، المتوفى سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م — المنهل الصافى ، الدرر جـ ٥ ص ١٢٨ رقم ١٢٩ .

فصل فيما وقع من الحوادث
فى السنة الرابعة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

وحكام البلاد على حالهم غير صاحب الغرب ، فإنه مات فى هذه السنة على ما نذكره عن قريب إن شاء الله تعالى .

ذكر سفر السلطان الملك المنصور إلى الشام :

وكان خروجه من القاهرة فى أول المحرم من هذه السنة ، ووصوله إلى دمشق فى أواخر المحرم ، ومعه الجيش المنصور ، وجاء إلى خدمته الملك المظفر صاحب حماة ، وعمه الملك الأفضل ، فأكرمهما السلطان إكراما كثيرا ، وأرسل الى الملك المظفر فى اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماة ، والمعرة ، وبارين ، والتشريف ، وشعار السلطنة ، وهو : سنجق ، وفرس بسرج ذهب ، ورقبة ، وكنبوش ، وأرسل الغاشية السلطانية ، فركب الملك المظفر بشعار السلطنة ، وحضرت أمراء السلطان وتقدموا عساكره ، فساروا معه من الموضع الذى كان فيه وهو داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس بدمشق إلى قلعة دمشق ، ومشت

(*) يوافق أولها الجمعة ٩ مارس ١٢٨٥ م .

الأمراءُ فى خدمته ، ودخل الملك المظفر عنـد السلطان ، فأكرمه ، وأجلسه إلى جانبــه على الطراحة ، وطيّب خاطره ، وقال له : أنت من بيت مبارك ، ماحضرتم فى مكان إلا وكان النصر معكم ، ثم عاد الملك المظفر وعمه الأفضل إلى حماة ، وعملا أشغالهما ، وكذلك باقى العسكر الحموى ، وتأهّبوا للسير إلى خدمة السلطان الملك المنصور ثانيـا .

ذكرُ فتح المَرْقَب :

خرج السلطان الملك المنصور من دمشق بالعساكر المصريّة والشامية ، وأتى إلى مرقب[1] ، ونازلها فى أوائل ربيع الأول من هذه السنة ، وهو حصن الأسبتار فى غاية العلو والحصانة ، لم يطمع أحد من الملوك المـاضين فى فتحه ، ولمـا زحف العسكر عليه وأخذ[2] الحجارون فى النقوب ، ونصبت عليه عدة [٧٠١] مجانيق كبارا وصغارا ، طلب أهلها الأمان ، فأجابهم السلطان إلى ذلك رغبةً فى بقاء عمارته ، فإنه لو هدمه وأخذهُ بالسيف حصل التعبُ فى إعادة عمارته ، فأعطى أهلَه الأمانَ على أن ينتقلوا و يأخذوا معهم ما يقدرون عليه غير السلاح .

قال ابن كثير : فصعدت السناجق السلطانية والألويّة المنشورة على حصن

---

(١) المرقب : بالفتح ثم السكون : قلعة حصينة تشرف على البحر المتوسط ، كانت فى يد الأسبتارية — تقويم البلدان ص ٢٥٤ ، تاريخ ابن الفرات المجلد ٨ ص ١٧ ، ١٨ .

(٢) « وأخذت » فى الأصل .

المرقب ، وتسلمه فى الساعة الثامنة من يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول[(١)] ، وكان يوما مشهودا[(٢)] .

وقال الملك المؤيد فى تاريخه : إنى حضرت حصار الحصن المذكور وعمرى إذ ذاك نحو اثنى عشرة سنةً ، وهو أول قتال رأيته ، وكنت مع والدى[(٣)] .

قلت : والده هو الملك الأفضل على بن[(٤)] الملك المظفر محمود .

وقال بيبرس فى تاريخه : وجهز السلطان أهله إلى طرابلس ، وظن أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إذا سمع بقربة يبادر إليه ويسعى لخدمته ، كما يجب عليه ، فتأخر عن الحضور ، فتغيَّر له باطن الملك المنصور ، ثم أنه أرسل واحدا من أولاده يسمى سيف الدين كَمَفار إلى المخيم متلافيا لما قدّم ، فحنق السلطان عليه ، ومنعه العودَ إلى والده ، وأمر بتوجهه إلى الديار المصرية[(٥)] .

ثم أن السلطان رحل عن المرقب بعد أن قرر أموره ، فنزل بالوطأة بالساحل وأقام بمرج بالقرب من موضع يسمّى مرج القرفيص ، ثم سار ونزل تحت حصن الأكراد ، ثم سار ونزل على بحيرة حمص وهي بُحيرةُ قدس ، ثم توجه السلطان إلى الديار المصرية ، وأعطى الملك المظفر صاحب حماة عند رحيله من حمص الدستور ، فعاد إلى حماة ، وكان توجه السلطان إلى القاهرة فى جمادى الآخرة من هذه السنة .

---

(١) « ثامن عشر صفر » — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٥ .

(٢) لا يوجد هذا النص فى نسخة البداية والنهاية المطبوعة والتى بين أيدينا .

(٣) المختصر جـ ٤ ص ٢١ .

(٤) توفى سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م — المنهل الصافى .

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٦ أ .

ذكر مولد السُلطان الملك النـاصر محمد بن الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى النجمى :

وفى خامس عشر المحـرم(١) من هـذه السنة ولد السلطان الملك النـاصر محمـد المذكور ، من ابنـة سكِباى بن قراجين بن حنغان نُوِين ، وسكباى المذكور ، ورد إلى الديار المصرية هو وأخوه قرمشى سنة خمس وسبعين وستمائة صحبة بَنْجار الرومى فى الدولة الظاهرية ، فتزوج السلطان الملك المنصور قلاون ابنة سكباى هذا فى سنة ثمانين وستمائة [٧٠٢] بعد موت أبيها المذكور بولاية عمها القرمشى ، ووردت البشائر إلى السلطان وهـو نازل على بحيرة قـدس عنـد عوده من فتح المرقب(٢) ، فتضاعف سروره به ودقت البشائر فرحا بمولده مقترنا بفتح المرقب ، فتضاعف الهناء والسرور .

وحدّث الشيخ شعبان الهُروىّ(٣) قال : حدثنى الشيخ شرف الدّين السنجارىّ [التاجر السفار](٤) قال : كنت بالموصل سـنة أربع وثمـانين ليلة النصف من

(١) « فى يوم السبت سادس عشر المحـرم » — السلوك جـ ١ ص ٧٢٧ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٧١ .

« يوم السبت سادس عشر وقيل الخامس عشر » تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ١٧ .

ولما كان أول المحرم يوافق يوم جمعة — طبقا للتوفيقات الإلهامية — فالسبت هو ١٦ المحرم .

(٢) « بشر السلطان قبـل وصوله إلى دمشق لفتح المرقب » — تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩٧ ، وانظر أيضا السلوك جـ ١ ص ٧٢٧ . وهو ما يتفق وسير الأحداث — انظر ما سبق ص ٣٣٧ — ٣٣٨ .

(٣) « الهروى » فى كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٧١ .

(٤) [ ] إضافة من كنز الدرر للتوضيح .

المحرم ، فظهر كوكب عظيم له ثلاث ذوائب طوال إلى جهة المغرب ، فتعجب الناس من ذلك ، وكان في الجماعة عماد الدين بن الدهان رئيس المنجمين ، فسألوه عنه فقال : هذا الكوكب ظهر في سنة عشرين وأربعمائة ، وله ذؤابتان في طول الذي ترونه وأخرى قصيرة جداً ، فولد في ذلك التاريخ المستنصر خليفة مصر ، فعاش سبعا وستين سنة ، وأقام خليفةً ستين سنة ، ثم ظهر هذا الكوكب في سنة تسعين وأربعمائة ، فولد في هذا التاريخ عبد المؤمن صاحب الغرب ، فعاش سبعين سنة ، وملك خمسين سنة ، ثم ظهر هذا الكوكب في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، فولد في هذا التاريخ الناصر لدين الله ، [خليفة بغداد][1] فعاش تسعا وستين سنةً ، وأقام خليفةً سبعا وأربعين سنة ، وهاهو قد ظهر في هذا الوقت وذوائبه الثلاث كاملة متساوية ، يدُلُّ على أنه يولد في هذه الليلة مولود سعيد يملك مصر والشام والعراق ، ويعيشُ ثلاثين وثلاثين وثلاثين ، فنظروا فلم يُولد في تلك الليلة إلا الملك الناصر محمد بن قلاوون المذكور[2] .

قلت : صادف كلامه ذلك ولكنه أخطأ في المدة على ما لا يخفى .

ومن الحوادث في هذه السنة : أن محيي الدين بن النحاس[3] عزل عن نظر الجامع الأموي ، ووليه بعده عز الدين بن محيي الدين بن الزكي ، وباشر محيي الدين

(١) [ ] إضافة من كنز الدرر للتوضيح .

(٢) انظر أيضا كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٧١ — ٢٧٣ .

(٣) هو محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن النحاس ، القاضي الصاحب محيي الدين ، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٦ م — المنهل الصافي ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٩٠ .

ابن النحاس الوزارة عوضا عن التقى توبة التكريتى ، وطلب التقى إلى الديار المصرية ، واحتيط على أمواله وأملاكه ، وعزل سيف الدين طوغان عن ولاية مدينة دمشق ، وباشرها عز الدين بن أبى الهيجاء .

وفيها : « ... ... »[1] .

وفيها : حج بالناس الأمير علم الدين سنجر الباشقردى .

(١) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الشيخ [٧٠٣] عز الدين محمد[(١)] بن على بن إبراهيم بن شداد الأنصارى الحلبى .

توفى فى صفر ، ودفن بسفح المقطم ، وكان فاضلا مشهورا ، وله تصنيف فى سيرة الملك الظاهر[(٢)] ، وكان معتنيا بالتواريخ .

الشيخ الصالح العابد الزاهد شرف الدين أبو عبد الله محمد[(٣)] بن الحسن بن إسماعيل الإخميمى .

توفى فى هذه السنة ، ودفن بجبل قاسيون ، وكانت له جنازة حافلة .

الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد[(٤)] بن عامر بن أبى بكر الغسولى الحنبلى .

سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان شيخ الميعاد ليلة الأحد ، توفى يوم الأربعاء حادى عشر جمادى الآخرة ، ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمنى .

---

(١) وله أيضا ترجمة : فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٥ ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٩ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٣ .

(٢) انظر ما سبق ص ١٧٦ هامش (٢) .

« وهو الذى جمع السيرة للملك الظاهر ، وجمع تاريخا لحلب » — العبر جـ ٥ ص ٣٤٩ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٤ وورد « محمد بن محمد بن الحسن » فى العبر جـ ٥ ص ٣٥٠ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٦ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٠ .

القاضى عماد الدين داود[(١)] بن يحيى بن كامل القرشى البصروى الحنفى .

مدرس المعزية بالكشك ، وناب فى الحكم عن مجد الدين بن العديم ، وسمع الحديث ، وتوفى ليلة النصف من شعبان من هذه السنة ، وهو والد الشيخ شمس الدين[(٢)] القحفازى شيخ الحنفية وخطيب جامع تنكز .

الشيخ حسن[(٣)] الرومى ، شيخ سعيد السعداء ، توفى فيها بالقاهرة ، وولى مشيختها بعده شمس الدين الأيكى[(٤)] .

الرشيد سعيد[(٥)] بن على بن سعيد ، الشيخ رشيد الدين الحنفى .

مدرس الشبلية[(٦)] ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ونظم حسن ، وتوفى يوم السبت ثالث رمضان ، وصلى عليه بعد العصر بالجامع المظفرى ، ودفن بالسفح .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٦ ٣ ، الوافى جـ ١٣ ص ٤٩٨ رقم ٥٩٧ .

(٢) « نجم الدين » فى الوافى .

وهو على بن داود بن يحيى ، نجم الدين أبو الحسن القحفازى ، المتوفى بعد سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠م — المنهل الصافى .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٦ .

(٤) « الأتابكى » فى البداية والنهاية .

(٥) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٨٢ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٨ تالى كتاب وفيات الأعيان ص ٧٦ رقم ١١٦ ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨٠ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩٩ .

ورد اسمه فى السلوك « رشيد الدين أبو محمد شعبان بن على بن سعيد البصراوى » ويبدو أنه تحريف — جـ ١ ص ٧٣٠ .

(٦) المدرسة الشبلية بدمشق : بسفح قاسيون أنشأها شبل الدولة — كافور الحسامى الرومى ، المتوفى سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦م — الدارس جـ ١ ص ٥٣٠ .

أبو القاسم علي[1] بن بلبان بن عبد الله الناصري ، المحدث ، المفيد الماهر .

توفي يوم الخميس مستهل رمضان .

الشيخ العارف شرف الدين أبو عبد الله[2] محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومي .

توفي فيها، ودفن بتربتهم بسفح قاسيون، ومن عندهم خرج الشيخ جمال الدين السّاوجي وخلق ودخل في زيّ الجوالقيّة وصار شيخهم ومقدّمهم .

الأمير مجير الدين محمد[3] بن يعقوب بن علي [الأسعردي[4]] ، المعروف بابن تميم الحموي الشاعر صاحب الديوان في الشعر .

فمن شعره قوله :

ما بنتُ ورد الروض يلطم خدَّهُ ويقول وهْو على البنفسج محنَقُ[5]

[٧٠٤]

لا تقربوه وإن تضوّع نشرُه ما بينكم فهو العدُوُّ الأَزْرَقُ

(١) وله أيضا ترجمة في : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٧ .

(٢) وله أيضا ترجمة في : درة الأسلاك ص ٨٣ ، الوافي جـ ٤ ص ٨٦ رقم ١٥٠٢ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨٩ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ٩٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٧ .

(٣) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٧ ، الوافي جـ ٥ ص ٢٢٨ رقم ٢٣٠٤ ، فوات الوفيات جـ ٤ ص ٥٤ رقم ٥٠٤ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٧ ، شذارت الذهب جـ ٥ ص ٣٨٩ .

(٤) [ ] إضافة للتوضيح من المنهل الصافي .

(٥) « ويقول قولا في البنفسج يحنق » ـ البداية والنهاية .

الأمير الكبير عـلاء الدين أيدكين[1] البندقدار الصالحي ، أستاذ الملك الظاهر بيبرس .

كان من خيار الأمراء ، وقد كان الملك الصالح نجم الدين أيوبُ غضب عليه وصادره ، وأخذ منه مملوكه بيبرس ، وأضافه إليه لشهامته ونهضته ، فتقدَّم عنده على خشداشيته ، وتوفى أيدكين المذكور فى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بتربته بالشارع الأعظم قبالة حمام الفارقانى بظاهر القاهرة .

السُلطان يعقوب بن يوسف المَرِينى[2] .

مرض وهو نازل على حصن الجزيرة بأطراف الأندلس ، فاتفقت وفاته فى شهر المحرم[3] هناك ، وكان فى صحبته ولده أجيلد ، فحمله إلى سَلا ودفنه بها ، وكان له من الأولاد يوسف ، وأبو سالم ، وعلى ، ومحمـد أجيلد ، ومنديل ، وجلس ابنه يوسف[4] مكان أبيه ، وكان مقيما بفاس ، فركب وسار إلى الأندلس فى البحر

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ١٥٥ رقم ٥٩٣ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٦٥ ، الوافى جـ ٩ ص ٤٩١ . ذيل مرآة الزمان جـ ٤ ص ٢٦٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨٨ ، السلوك جـ ١ ص ٧٢٠ ، كنز الدرر جـ ٨ ص ٢٧٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٣ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٥ ، العبر جـ ٥ ص ٣٤٨ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٦ أ ، المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٩ ، الاستقصا جـ ٢ ص ٣٢ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٣ ، الأنيس المطرب ص ٣٧٣ ، روضة النسرين ص ١٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٤ .

وورد ذكر وفاته سنة ٦٨٥ هـ فى البداية والنهاية وفى الاستقصا ، وانظر أيضا تذكرة النبيه ومصادر الترجمة .

(٣) ٢٢ محرم ٦٨٥ هـ — الاستقصا .

(٤) توفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٤٠٦ م — المنهل الصافى .

لأجل جيش أبيــه وخزائنه ، فتلقاه أصحابُه وأقاربُه و بايعوه ، وحضر إليه محمد ابن الأحمر معزّيًا بأبيه ، فتلقّاه بالإكرام ، وأعاد إليــه أكثر البلاد التى استولى أبوه عليها ، وعاد أبو يعقـوب إلى بلاده ، وأغلظ على إخوته وأقاربه ، وكان شديد الوطأة عليهم ، فقتـل منهم جماعة من جملتهم أخوه محمـد أجبلد ، وأخوه منديل ، وأظهر الشدة والغلظة والحزم والعزم .

فصل فيما وقع من الحوادث

في السنة الخامسة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو الحاكم بأمر الله العباسي .

والسلطان في البلاد المصرية والشامية الملك المنصور قلاون الألفي ، وجرّد عسكرا كثيفا صحبة الأمير حسام الدين طرنطاى إلى الكرك وأمره بمنازلتها، فتوجه إليها (١) ، ونزل عليها، وأحضر آلات الحصار من البلاد الشامية والحصون الإسلامية ، وشرع في مضايقتها، وقطع الميرة عنها من سائر الجهات ، وأظهر الجد والإجتهاد ، وجرد صوارم العزم من الأغماد ، وخلط الترهيب بنوع من الترغيب ، [٧٠٥] فاستدعى بعض رجالها ، وخاطبهم بلسان الإحسان ، وطيّب قلوبهم ، فتسلل أكثر الرجال إليه ، فلما رأى الملك المسعود جمال الدين خضر وأخوه بدر الدين سلامش أنه قد أسلمهما رهطهما ، وبقيا وحدهما مع انقطاع الميرة منهما . بذلا الطاعة وجنحا إلى الإذعان ، وسألا خاتم الأمان من عند السلطان ، فضمن الأمير حسام الدين عنه الإحسان والأمان والإيمان ، فقالا : لا غنى لنا عن حضور خاتمه لنسكن إليه (٢) ، ونعتمد عليه ، فبادر بمطالعة الأبواب الشريفة السلطانية

(*) يوافق أولها الأربعاء ٢٧ فبراير ١٢٨٦ م .

(١) « في ثاني المحرم » — السلوك جـ ١ ص ٧٢٠ .

(٢) « إليك » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٦ ب .

صحبة البريدية بحصول المقصود، والإذعان إلى الوفود، فإنّ الأمر بقى متوقفا على على مجئ أحد من خاصّة السلطان بخاتم الأمان.

قال بيبرس فى تاريخه : فنـدبنى السلطان إليهـم ، ومعى أمانهُ الشريفُ ، فسِرْتُ على البريد إلى الكرك ، فاجتمعت بالأمير حسام الدين ، فأعلمهما « بحضـورى ، فدخلت إليهما بالأمان ، وأبلغتهما رسالة السلطان[1] » بمواعيد الإحسان، فطابت قلوبهما، وانشرحت[2] صدورهما، واطمأنّت خواطرهما، ونزلا من الكرك إلى الأمـير حسام الدين ، فتلقّاهما بالإجلال والإعظام ، وركب صبيحة ذلك اليوم إلى الصيد وركبا معه معاً ، وتصيّدنا يومنا ذلك ، وعُدْنا إلى الوطاق، ورتّب الأمـير حسام الدين الأمـير عزّ الدين أيْبك الموصلى المنصورى فى نيابة السلطنة بالكرك ، فإنه كان نائبا فى الشوبك منـذ تسلّمها السلطان ، وحضر إلى الأمير حسام الدين عند نزوله على الكرك، ووقف بين يديه إلى أن سلمت إليه ، فرتّبه فيها ورتّب فى ولاية القلعة الأمـير بدر الدين بكتوت العلائى ، وفى ولاية المدينة الأمير عزّ الدين أيبـك النجمى ، وكان السلطان قد عيّنهما، وخلع المشار إليه عليهم ، وعلى رجال القلعة ، ومقـدمى المدينة ، وأمراء العـربان ، ورتّب أحوالهـا ، ورحل عائدا إلى الديار المصريّة ، وولدا الملك الظاهر صحبته .

قال بيبرس : فلما وصلا إلى قريب القلعة ركب السلطان والعساكر والأمراء فى موكب حفل وتلقاهما ، وأقبل عليهما ، وأطلعهما القلعة ، ولم يعترض [٧٠٦]

---

(١) « » مكرر فى هامش الأصل .

(٢) بداية سقط من نسخة زبدة الفكرة جـ ٩ التى بين أيدينا فيما بين الورقة ١٥٦ ب ، ١٥٧ أ .

إليهما بسوء، بل وفَّى لهما بأمانة، وغمرهما بإحسانه، وأعطى كلًّا منهما إمرة بمائة فارس، واستمرّا يركبان معه فى الموكب، ويلعبا مع ولده فى الميدان، ونزّلهما منزله، وشرط عليهما أن يسلكا ما يجب من الأدب، ويتجنّبا مناهج الرِيَب، فلبثا فى ذلك برهة فى أرغد عيشةٍ وأهنى معيشة، ثم بلغه عنهما أمور أنكرها، فقبض عليهما واعتقلا، وبقيا فى الإعتقال إلى أيام ولده الملك الأشرف، فسيّرهما إلى القسطنطينيّة[1]، فكان منهما ما نذكره إن شاء الله.

ذكر سفر السلطان إلى الشام:

خرج[2] السلطان إلى الشام، فنزل غزة، ثم توجّه إلى الكرك جريدة متصيّدًا، وترك العساكر مقيمة على غزّة، فوصل إليها فى شهر شعبان من هذه السنة، ونزل على ظاهرها، وطلع إلى قلعتها، ونظر فى أحوالها، وحفر البركة التى فى باب النصر، وكانت قد أهملت وارتدمت، ورتّب أحوال العُربان ومن بها من الرجال، وجدّد لأمراء العرب مناشير إقطاعاتهم، وأجرى لهم عادات صلاتهم.

ثم رسم للأمير بيبرس الدوادار صاحب التاريخ بالإقامة فى الكرك نائبا، فأقام، وخرج الأمير عز الدين أيبك الموصلى، ونقله السلطان منها إلى نيابة السلطنة وتقدمة العسكر بغزّة، فأقام بها مدة يسيرة، ثم نقله منها إلى قلعة صفد

(١) ساقط من نسخة زبدة الفكرة التى بين أيدينا.

(٢) «فى يوم الخميس سابع شهر رجب» — تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٨.

نائبا بالقلعة خاصّةً ، عوضا عن الأمير سيف الدين بجقار المنصورى ، فإنه كان قد مرض وقصد التوجه إلى الديار المصريّة ليتداوى ، فتوجّه ، فكانت مَنيّته فى تلك المرضة ، فتوفّى بالقاهرة .

ولما قرر السلطان أحوال الكرك(١) على ما يجب تقريره رحل عنها وتوجه إلى غابة أرسُوف ، بحكم أن الوخم أصاب العسكر بغزة ، فأقام نازلا على الغابة إلى أن هجم الشتاء ووقع الثلج ، وأمِنَ حركة العَدُو من الرواح والغُدُو ، وعاد إلى الديار المصريّة(٢) .

قال بيبرس فى تاريخه : وأخذ(٣) الشعراء يمتدحون ، فما قيل فى ذلك أبيات نظمها القاضى شمس الدين الأربلىّ منها :

يا ذا الذى السرحان فى أيامه		والشاءُ لا هذا على ذا يعتدى

وافيتنا والناسُ بين مُحَيَّرٍ		فى نفسه ومُخَوَّفٍ ومُهَدَّدِ

[٧٠٧]

ألقيت فينا هَيْبَةً حتى لقد		خاف التقىُّ فكيف خوفُ المُفْسِد

فأناب مَنْ ما زالَ منهم يعتَدِى		حتى ظننّاك الرفاعىَّ أو عَدِى

(١) بداية ما يوجد فى زبدة الفكرة جـ ٩ بعد السقط السابق الإشارة إليه فيا بين الورقة ١٥٦ ب ، ١٥٧ أ — انظر ما سبق ص ٣٤٩ هامش (٢) .

(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٧ أ .

(٣) « وأخذت » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

مَنْ كان يدلج فى الحرام و يَغْتَدى — أضحى بخوفك قَيِّما فى المسجدِ
وَأَقَمْتَ أمر الله بين عبادِه — ترجو ثوابَ النـاسك المتَعَبِّدِ
يا جامعـاً بين النوالِ وعَـدْلِه — وصَـلاتِه وصِـلاتِه للمُعْتَدِى
ما زِلْتُ أخشى الحادثات وصرفها — حـتى بحبل ولائه علقت يدى
ما ضلَّ مَنْ بضياء عَدْلِكَ يَهْتَدَى — فى أمْرِه و بنـور رأيك يقتدى (١)

قال بيبرس : وأنعم السلطان علىَّ بثمانين فارساً وإقطاع الأمير علم الدين سنجر الدوادار الصالحىّ على عادته فى الدربستية ، وأرسـل إلىَّ المنشورَ الشريفَ على البريد ، وأنالنى من إحسانه فوق المزيد (٢) .

ونسخة المنشور الشريف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الفضل الجمّ ، والامتنان الذى عمّ ، والجميل الذى تمّ ، نحمده حمد من قدَّم من شكر منته الأهمّ ، ونشهـد أن لا إلّه إلا الله وحده لاشريك له ، [شهادة] (٣) يجلى بها عن قلب الموحِّد الغـمّ ، ونشهَدُ أن محمدا عبده ورسوله الذى جمع الله بنُبُوَّته شمل الإيمـان ولَمّ ، صلى الله عليه وسلّم (٤) ، وعلى آله وعترته وصحابتـه صلاةً نأتَمُّ بها ونأتمّ .

---

(١) زبدة الفكرة ورقة ١٥٧ ا .

(٢) زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٥٧ ا ، ب .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٤) « وسلم » ساقط من زبدة الفكرة .

وبعد : فإن خير من سمت به جدوده ، واتسمت لشجاعته سُعودُه ، وخفقت رياح النصر بنودُه ، وعمرت بالخير معاهده ورُعِيَتْ عُهُودُه ، مَن زكت مغارسُه ، وصفت بالإحسان ملابسُه ، وكثرت عند الإعتداد ذخائره من الخدمة ونفائسُه ، وقصر عن طول ملوله مقايسُه .

ولما كان المجلس السّامى الأمير الأجل الإسفهسلار الأوحد المجاهد العضد ، ركن الدين فخر الإسلام ، شرف الأنام ، شرف الأمراء المقدمين[(١)] ، عضد الملوك والسلاطين بيبرس الدوادار الملكى المنصورى ، نائب السلطنة بالكرك المحروس ، هُو أسارير هذا الجبين ، وفحوى هذا اليقين ، اقتضى حسن الرأى الشريف أن خرج الأمر العالى المولوى السلطانى الملكى المنصورى [٧٠٨] السيفى ، زاده الله علاء ونفاذا وإمضاءً ، أن يجرى فى إقطاعه ما وُسم به الآن من الإقطاعات الأعمال الشاميّة لخاصّته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد المعروفين بالخدمة ، بالبَرَك التام ، والعدّة الكاملة ، بعد ارتجاع ما بيده بالديار المصريّة ، والعدّة خاصّة ثمانون طواشياً ، خارجا عن الملك والوقف ، عن الأمير علم الدين سنجر الدوادار الصالحى ، على عادته فى الدربستية ، وذلك لاستقبال مغل سنة خمس وثمانين وستمائة .

وكان استقرارى بها فى النيابة فى شهر شعبان سنة خمس وثمانين وستمائة ، وأقمتُ حول خمس سنين[(٢)] .

وفيها : عزم السلطان على تجريد العساكر مع الأمير حسام الدين نائبه إلى جهة صهيون ، فخرجوا من القاهرة فى حادى عشر ذى الحجة من هذه السنة[(٣)] .

(١) « شرف الأيام والأمراء » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .
(٢) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٧ ب ، ١٥٨ أ .
(٣) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٨ أ .

وفيها: كتب الأمير بدر الدين بكتوت العلائى، وهو مجرد بحمص إلى نائب دمشق الأمير حسام الدين لاجين أنه انعقدت زَوْبَعَةَ فى يوم الخميس «رابع عشر»(١) صفر بأرض حمص(٢)، ثم ارتفعت فى السماء كهيئة العمود أو الحية العظيمة، وجعلت تختطف الحجارة الكبار، فتصعد بها فى الجوّ كأنها سهام النشاب، وحملت شيئا كثيرا من الجمال بأحمالها، والأثاث والخيام، ففقد الناس شيئا كثيرا من رحالهم وأمتعتهم.

وفيها: أعيد علم الدوادارى إلى شدّ الدواوين بدمشق، والصاحب تقى الدين إلى الوزارة بالشام.

وفيها: تولى القضاء فى مذهب المالكية بمصر زين الدين بن مخلوف(٣) التبريزى، عوضا عن القاضى تقى الدين بن شاس(٤)، فإنه توفى إلى رحمة الله تعالى.

وفيها: « ... ... »(٥).

حج بالناس: « ... ... »(٦).

(١) « رابع » فى الأصل، والتصحيح من السلوك جـ ١ ص ٧٣١، ويتفق مع التوفيقات الإلهامية.

(٢) « بناحية الفسولة من معاملة مدينة حمص » - السلوك جـ ١ ص ٧٣١، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٢، والفسولة: منزلة للقوافل فيما بين حمص وقارا - معجم البلدان ق

(٣) هو على بن مخلوف بن ناهض، نور الدين أبو الحسن، قاضى قضاة مصر، المتوفى سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م - المنهل الصافى، الوافى جـ ٢٢ ص ١٨٩ رقم ١٣٧.

(٤) هو الحسين بن عبد الرحيم بن عبد الله بن شاس السعدى المالكى، تقى الدين أبو على.
وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٣٧، السلوك جـ ١ ص ٧٣٢، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٦.

(٥) (٦) « ... ... » بياض بالأصل.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

أحمد[1] بن شيبان بن ثعلب الشيباني، أحد مشايخ الحديث المسندين المعمَّرين.

توفي في هذه السنة في دمشق في شهر صفر عن ثمان وثمانين سنةً، ودفن بقاسيون.

الشيخ الإمام العالم البارع جمال الدين أبو بكر محمد[2] بن أحمد بن عبد الله البكري الشريشي المالكي.

ولد بشريش[3] في سنة إحدى وستمائة، ورحل إلى العراق فسمع بها من المشايخ كالقطيعي وابن الليثي وغيرهما، واشتغل [٧٠٩] وحصّل وساد أهل زمانه وبنى أقرانه، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم، ثم جاء إلى دمشق فولي مشيخة الحديث بتربة أم الصالح، ومشيخة الرباط الناصري، ومشيخة المالكية، وعرض عليه القضاء فلم يقبل، وتوفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري، ودفن بسفح جبل قاسيون.

---

(١) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي جـ ١ ص ٣١٢ رقم ١٦٧، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٨، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٠، العبر جـ ٥ ص ٣٥١، الوافي جـ ٦ ص ١٧ رقم ٢٩٣٠، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٠.

(٢) وله أيضا ترجمة في : المنهل الصافي، درة الأسلاك ص ٨٦، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٢، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٤٦، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٧، السلوك جـ ١ ص ٧٢٣، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٨، العبر جـ ٥ ص ٣٥٤.

(٣) شريش : مدينة كبيرة من كورة شذونة بالأندلس – معجم البلدان، تقويم البلدان ص ١٦٦.

قاضي القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف (١) بن قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل يحيي بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن على بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان رضى الله عنه القرشي الدمشق ، المعروف بابن الزكى الشافعي .

وكان أحد الفضلاء البارعين ، والعلماء المبرّزين ، وهو آخر مَنْ تولى القضاءَ من بنى الزكى إلى يومنا هذا ، وكان مولده فى سنة أربعين ، وسمع الحديث ، وتوفى ليلة الإثنين حادى عشر ذى الحجة ، ودفن بقاسيون ، وتوفى بعده ابن الجوزى .

شهاب الدين الشيخ مجد الدين يوسف (٢) بن محمد بن عبد الله المصري ، ثم الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المهتار .

كان فاضلا فى الحديث والأدب ، كان يكتب كتابة حسنة جدا ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ، وقد سمع الكثير ، وانتفع الناس به ، وبكتابته ، وتوفى تاسع عشر ذى الحجة (٣) ، ودفن بباب الفراديس .

الشاعرُ الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد (٤) بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيمى .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ٧٤ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٣ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٣ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٨ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٦ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٤٧ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٨ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٦ .

(٣) « توفى عاشر ذى الحجة » فى البداية والنهاية .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٥٨ رقم ٤٣٠ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٣ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٣ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٤٢ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٤ .

كانت له مشاركة فى علوم كثيرة، ويدٌ طولى فى النظم الرائق الفائق، جاوز الثمانين سنة، وقد تنازع هو ونجم الدين بن إسرائيل(١) [فى](٢) قصيدة بائية(٣)، فتحا كما إلى ابن الفارض، فأمرهما بنظم أبيات على رويهما، فنظم كل منهما فأحسن، ولكن حكم لابن الخيمى، وكذلك فعل القاضى شمس الدين بن خلكان، رحمه الله.

البيضاوى هو القاضى الإمام العلامة ناصر الدين عبد الله بن(٤) عمر الشيرازى، قاضيها، وعالم أذربيجان وتلك النواحى.

مات بتبريز فى هذه [٧١٠] السنة ومن مصنفاته: المنهاج فى أصول الفقه، وهو مشهور وقد شرحه غير واحد، وله منهاج آخر فى أصول الدين، ومنهاج آخر فى الفروع وشرحه هو، وله شرح التنبيه فى أربع مجلدات، وله الغاية القصوى فى دراية الفتوى، وشرح المنتخب والكافية فى المنطق، وله الطوالع، وشرح المحصول أيضا، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة، وقد أوصى القطب الشيرازى أن يدفن إلى جانبه بتبريز، رحمهما الله.

الأمير ركن الدين إياجى الحاجب(٥)، توفى فى هذه السنة، رحمه الله.

---

(١) وهو محمد بن سوار بن إسرائيل، نجم الدين أبو المعالى الشيبانى، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ/١٢٧٨ م — انظر ماسبق فى وفيات ٦٧٧ هـ ص ٢٠٩ — ٢١٠.

(٢) [ ] إضافة من البداية والنهاية.

(٣) مطلعها:

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب		إليك آل التقصى وانتهى الطلب

انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٩ هامش (١).

(٤) وله أيضا ترجمة فى: المنهل الصافى، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٢، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٠٤، السلوك جـ ١ ص ٧٣٣، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٩.

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٨ ب.

وانظر ما يلى فى وفيات سنة ٦٨٦ هـ ص ٣٦٨.

فصل فيما وقع من الحوادث
في السنة السادسة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو الحاكم بأمر الله العباسي

وسلطان الديار المصرية والشامية : الملك المنصور قلاون الألفي الصالحي .

وبقية أصحاب البلاد على حالهم .

ذكر بعوث السلطان :

منها : بعثة العسكر إلى صهيون وسنقر الأشقر فيها حاكم ، فخرجوا أوائل المحرم .

وقال النويري (1) : وكان خروجهم في أواخر السنة الماضية .

وقال بيبرس : وذلك للأسباب التي اتفقت من الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . منها :

كونه تقاعد عن الحضور إلى حصن المرقب ، وتأخر عن المساعدة في الجهاد المفترض عليه .

ومنها : أنه كان يشن الغارات بخيله ورجله على البلاد التي حوله ، وخرج عما وقع عليه الاتفاق ، وأبدى أنواعا من الشقاق ، فسير السلطان إليه جيشا صحبة

(*) يوافق أولها الأحد ١٦ فبراير ١٢٨٧ م .

(١) وانظر أيضا ما سبق ص ٣٥٣ .

المشار إليه[(1)]، فتوجه في جماعة من العسكر، فسار ومعه من الأمراء والأكابر، ونزل على صهيون، وأرسل إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر يعرض عليه تسليم الحصن، والتوجه إلى الديار المصرية، ويعرفه ماوعده السلطان من المواعيد، وما نواه له من المزيد، [وما قصده من اجتماع الشمل بأنسه، والراحة من القيل والقال الذي يشوب الود بعكسه]،[(2)] فما أجاب ولا أظهر [تماسكا بشيء من هذه الأسباب]،[(3)] فعند ذلك جد في محاصرته، وبالغ في مضايقته، ونصب عليه المجانيق، ورماه بالأحجار،[(4)] وشدد عليه الحصار، فلما رأى ذلك عاين الهلك، وأيقن أنه متى[(5)] فتح الحصن عنوة لم يأمن على نفسه، فأرسل يطلب الأمان،[(6)] ويلتمس [٧١١] تأكيده بالأيمان، فأجابه الأمير حسام الدين إلى ذلك، وحلف له على

---

(١) المقصود الأمير حسام الدين طرنطاى — انظر ماسبق ص ٣٥٣ وزبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٨ ب .

ويوجد في هامش المتن تعليق نصه : « وليس المشار إليه بالمسبوق فيكون الإضمار قبل الذكر » .
ووقع هذا اللبس بسبب نقل العيني جزء من الخبر عما أورده بيبرس الدوادار في زبدة الفكرة .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٨ ب .

(٣) [ ] إضافة من زبدة الفكرة ، ويوجد بدلا منها في المتن « الطاعة » .

(٤) « ترمين بالحجار » في زبدة الفكرة .

(٥) « ما » في الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٦) « وأرسل يسأل الاجتماع بطرنطاى ، فأجاب سؤاله ، فنزل سنقر الأشقر إليه ، فتعانقا ، وكان على طرنطاى قباء نوقاني ، فقلعه وبسطه تحت رجلي سنقر الأشقر . وحلفا لبعضهما بعضا : حلف طرنطاى له على أنه ما يخونه ، ولا يمكن أستاذه منه . فلما استوثق سنقر منه سلم إليه الحصن » — الجوهر الثمين ص ٣٠٠ .

وعن هذا اللقاء انظر أيضا السلوك جـ ١ ص ٧٢٤ .

ما قصده هنالك ، وضمن عن السلطان أنه سيعامله بالجميل ، ويَصله من إحسانه بكل جزيل، وأنه لا يعرض إليه بسوء فى نفسه وجسده وأهله وولده وحاشيته .

فلما استوثق بتأكيد العهود واطمأنّ إلى هذه الوُعود نزل من صهيون وتسلمها الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى، ورتّب فيها نائبا وواليا ورجّالةً ، وأنعم على رجالها، ونظر فى أحوالها ، وسار عنها والأمير شمس الدين سنقر الأشقر صحبته، فرُتِّبَت له الإقامات، وأجزلت له الكرامات، ولما وصلو إلى قريب القلعة ركب السلطان وولداه الصالح والأشرف وولدا الملك الظاهر بين يديه فى موكب حفّت به العساكر ، واجتمعت فيه الأمراء الأكابر ، والصالحيّة ، والنجمية ، وسائر الخشداشية، وتلق السلطان الأمير شمس [الدين](١) سنقر المذكور بالبشر والإقبال، وتعانقا ، وتكارشا ، [وتعارضا ، تحية المحبين إذا التقيا بعد البين](٢) ، ثم أطلعه القلعةَ معه ، وأسكنه فيها ، وحمل إليه من الخلع الفاخرة ، والأقمشة الزاهرة ، وحوائص الذهب الثمينة، وأنواع التحف النفيسة، وأعطاه إمرة مائة فارس، وساق إليه من الخيل المسوّمة ، والسروج المحلاة ، وغير ذلك ، ماملأ عينيه ، ويدَه ، واتخذه فى الحضر جليسا، وفى السفر أنيسا ، وفى المهمات مشيرا، وبقى على ذلك بقيّة أيام السلطان ، فلما أفضى الملك إلى ولده الأشرف أوقع به على ما نذكره إن شاء الله(٣) .

---

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٩ ب .

(٢) [ ] إضافة من زبدة الفكرة .

(٣) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٥٩ ، ب ، حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ .

وقال النويرى : ولما نزل سنقر الأشقر من صهيون طائعا إلى خدمة الأمير حسام الدين ، سار حسام الدين وهو معه إلى اللاذقية ، وكان فيها برج للإفرنج تحيط به البحر من جميع جهاته ، فتوصل حسام الدين طريقا إليه ، وحاصره وتسلمه بالأمان وهدمه ، ثم سار منه إلى غزة ، ثم إلى مِصْر .

ومنها : أن السلطان بعث جيشا من الأمراء والأجناد وعُربان البلاد وغيرهم صحبة الأمير علم الدين سنجر المسرورى متولى القاهرة المعروف بالخياط ، والأمير عز الدين أيدمر السيفى أستاذ الدار ، والأمير أيتمش السّعدىّ متولى الأعمال القوصيّة لغزو النوبة ، فتوجهوا [٧١٢] ووصلوا دُنْقُلَة ، وأغاروا عليها وعلى أعمالها ، وسَبوا ونهبوا وغنموا ، وجلبوا شيئا كثيرا من الرقيق .(١)

ذكر بقيّة الحوادث :

منها : أنه ولى القضاء بالقاهرة قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز ، عوضا عن برهان الدين الخضرى الحسن السنجارى .

ومنها : أنه وقع ببلاد الغربية من الديار المصرية فى زمن الحصاد بَرَد ، فضرب كثيرا من الزرع القائم .

ومنها : أن تُدَانْ مَنْكُو بن طغان بن دوشي خان ابن جنكزخان صاحب البلاد الشمالية أظهر التولّه والتخلى عن النظر فى أمور المملكة ، والانقطاع إلى المشايخ

(١) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٠ ب .

والفقراء ، والإلمام بالصلحاء والعُبّاد ، وقيل له : إن المُلك لا بُدّ له من ملك يَسُوسُه ، فأشار بأنه قد نزل عنه لابن أخيه تَلابُغَا بن طُرْنُوا بن دوشي خان بن جنكزخان ، فطابت نفسه بذلك ووافقه الخواتين والأخوة والأعمام والأقارب والإلزام ، وكانت مدة مملكة تُدَانْ منكو حول خمس سنين[(١)]، وكان له من الأولاد أَنْ مَنْكي وصَراي تمر وسكباي .

ومنها : أن تَلابُغَا المذكور ملك عوضا عن تُدَان منكو، وتجهز وسار بعساكره إلى بلاد الكرك للإغارة عليها ، وغزو مَن فيها ، وأرسل إلى نُوغَيْه يأمره بالمسير فيمن عنده من العساكر ليجتمعا على الغارة على بلاد كرك، فسار نُوغَيْه في التُمَانات التي عنده ، وتوافيا في المقصد ، وشَنُّوا الغارة ، ونهبوا ما شاءوا وقتلوا مَنْ شاءوا وعادوا ، وقد تمكن الشتاءُ ، وتكاثرت الثلوج ، واستصعبت الطرقات ، ففصل نُوغَيْه عنه بمن معه وسار إلى مشاتيه ، فوصل سَالمًا هو وكل من يليه ، وسار تَلابُغَا يتعسَّف البِيدَ الموعَرَة، والفيافي المقفرة، فتاه عن حدّ الطرق، وناله وعسكره غاية الضنك والضيق ، وهلك أكثرهم من شدة البَرد ، وعدم القوت ، ولم يسلم إلا القليل منهم، فعزّ ذلك على تلابغا وتوهم أن نُوغَيْه إنما فعل ذلك مكرا بهم ومكيدة ليهلك عساكره ، ويُبيد عشائره ، فأضمَرَ الغَدْرَ ، وأبطن له الشرّ ، وذلك لما ناله ونال عسكره من الشدة الشديدة التي ألجأتهم إلى أكل لحوم دوابهم التي

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٥٩ ب ، ١٦٠ أ .

يركبونها ، ودوابهم التي استصحبوها ، ولحوم من مات منهم جوعا ، [٧١٣] فاتفق مع أصحابه على قصد نُوغَيه (١) ، على ما سنذكره فى مكانه إن شاءَ الله تعالى .

وفيها : « ... ... » (٢) .

وفيها : حج بالناس الأمير سيف الدين قطز السلحدار .

---

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٠ أ ، ب .

(٢) « ... ... » بياض في الأصل .

ذكر مَنْ تُوفى فيها من الأعيان

الشيخ الإمام العلّامة القدوة قطب الدين أبو بكر محمد[1] بن الشيخ الإمام أبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون القيسى التوزرى[2]، ثم المصرى، ثم المكى الشافعى المعروف بابن القسطلانى.

شيخ دار الحديث الكاملية[3] بالقاهرة، وُلد سنة أربع عشرة وستمائة، ورحل إلى بغداد وغيرها، وسمع الكثير وحصّل علوما، وكان يفتى على مذهب الشافعى، وأقام بمكة مدة طويلة، ثم صار إلى مصر، ثم تولى مشيخة الحديث بها، وكان حسن الأخلاق، محببا إلى الناس، وكانت وفاته فى أواخر المحرم، ودفن بالقرافة الكبرى، وله شعر حسنٌ.

---

(١) وله أيضا ترجمة فى: زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٦٠ ب، المنهل الصافى، النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٧٣، شذرات الذهب جـ٥ ص٣٩٧، تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص٥٩، الوافى جـ٢ ص١٣٢ رقم ٤٨٠، تذكرة النبيه جـ١ ص١١٠، السلوك جـ١ ص٧٣٨، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣١٠.

(٢) «الموروذلى» فى الأصل، والتصحيح من مصادر الترجمة، و«النورى» فى البداية والنهاية، و«النويرى» فى المنهل الصافى.

(٣) دار الحديث الكاملية بالقاهرة: أنشأها الملك الكامل الأيوبى – المواعظ والاعتبار جـ٢ ص٣٧٥.

الشيخ الإمام محمد[(١)] بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك ، بدر الدين ابن العلامة جمال الدين الطائى الجيانى ، ثم الدمشقى .

كان إماما فى النحو وغيره ، أخذ عن والده ، ومن تصانيفه : شرح ألفية والده ، وله مقدمة فى المنطق ، ومقدمة فى العروض ، ومات قبل الكهولة من قولنج كان يعتريه كثيرا فى سنة ست وثمانين وستمائة بدمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

عمادُ الدين محمد[(٢)] بن عباس الدُّنَيْسَرى الطبيب الماهر الحاذق الشاعر .

خدم الأكابر والوزراء وعُمّر ثمانين سنةً ، وتوفى فى صفر منها بدمشق .

قاضى القضاة برهان الدين الخضر[(٣)] بن الحسن بن على السنجارى، ولى الحكم بديار مصر غير مرة وولى، الوزارة أيضا، وكان رئيسًا وقورًا مهيبًا ، وقد باشر بعده القضاءَ تقى الدين بن بنت الأعز .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : الوافى جـ١ ص ٢٠٤ رقم ١٢٩ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٣٩٨ ، تذكرة النبيه جـ١ ص ١١٠ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٨ .

وقد كرر العينى ذكر وفاته فى وفيات سنة ٦٨٧ هـ — انظر ما يلى ص ٣٧٥ .

كما ذكره ابن كثير فى وفيات ٦٨٧ هـ — البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٣ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ٩١ ، طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٢٦٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٧ ، الوافى جـ ٣ ص ٢٠٠ رقم ١١٧٨ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١١٢ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٩ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٠ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٠ ب ، المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٠ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٨ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٥٧ .

شرف الدين سليمان[(١)] الشاعر المشهور ، له ديوان شعر رائق ، توفى فى صفر منها .

الشيخ الصالح عز الدين عبد العزيز[(٢)] بن عبد المنعم بن صيقل الحرانى .

ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع الكثير ، ثم استوطن مصر حتى كانت وفاته بها فى رابع عشر رجب وقد جاوز السبعين ، وقد سمع منه الحافظ علم الدين البَرْزالى لما رحل إلى مصر فى سنة أربع وثمانين .

وحكى عنه أنه شهد جنازةً ببغداد ، فتبعهم نبَّاشٌ ، فلما كان الليل جاءَ إلى ذلك القبر ، ففتح عن الميت ، وكان شابا قد أصابته سكتةٌ ، فلما فتح القبر نهض الميِّتُ جالسا ، فسقط النباشُ ميتا فى القبر ، وخرج الشابُّ من قبره وحكى له : كنتُ مرةً بقليوب وبين يدى صُبْرة قمح ، فجاء زُنْبُور فأخذ حبةً من القمح ، ثم جاءَ فأخذ أخرى ، [٧١٤] ثم جاءَ فأخذ أخرى أربع مرّات ، فذهبتُ فاتبعته ، فإذا هو يضع الحبّة فى فم عُصْفور أعمى فى تلك الأشجار التى هناك .

قال : وحكى لى الشيخ الصالح عبد الكافى أنه شهد مرةً جنازةً ، فإذا

---

(١) هو سليمان بن بنيان (بليان) بن أبى الجيش بن عبد الجبار ، شرف الدين ، أبو الربيع الهمذانى ، ثم الأربلى .

وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٢ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٥ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٥٧ رقم ١٧٠ ، الوافى جـ ١٥ ص ٣٠٦ رقم ٥٠٥

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٦ ، تالى كتاب وفيات الأعيان ص ١١٣ رقم ١١٧ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٥٨ — ٥٩ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١١٣ ، السلوك جـ ١ ص ٧٣٨ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٠ — ٣١١ .

عبدٌ أسود معنا ، فلما صلّى الناس لم يصل ، فلما حضرنا الدفن نظر إلىّ وقال : أنا عملُه ، ثم ألقى نفسَه فى القبر ، فنظرت فلم أَرَ شيئًا .

الحافظ أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقى .[1]

ترك الرئاسة والأملاك ، وجاور بمكة ثلاثين سنةً مقبلًا على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبولٌ تامٌّ من الناس من الشاميين والمصريّين وغيرهم ، ثم كانت وفاته بالمدينة النبويّة فى ثانى رجب ، رحمه الله .

الشيخ الإمام الورع الزاهد الحافظ المجوّد صاحب الرياضات والمجاهدات صدر الدين محمد[2] بن الشيخ سديد الدين القزوينى .

إمام صفة صلاح الدين بخانقاة سعيد السعداء بالقاهرة ، توفى فيها فى هذه السنة .

الأمير سيف الدين قجقار[3] المنصورى .

نائب السلطنة بصفد ، توفى فى هذه السنة .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١١ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٥ ، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٣٢٨ رقم ٢٨٢ ، العقد الثمين جـ ٥ ص ٤٣٢ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٠ ب .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى .

وورد اسمه « قجقار بن عبد الله المنصورى التركى ، يلقب سيف الدين » فى تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٥٩ .

الأمير ركن الدين أَبَاجى الحاجب [(١)]، توفى يوم الأحد عاشر رمضان من هذه السنة .

الأمير سيف الدين كراى الظاهرى ، توفى فى هذه السنة وكان أميرا كبيرا .

الأمير حسام الدين لاجين [(٢)] الزينى السُّعيدى ، توفى فى هذه السنة .

الأمير علم الدين سنجر [(٣)] الباشقردى الصالحى .

توفى بالقاهرة ليلة الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان ، وكان قد تولى نيابة حلب ، ثم عزل عنها بالأمير قرا سنقر فى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

الأمير بدر الدين بَيْليك [(٤)] الأيدمرى .

توفى فى رابع المحرم منها ودفن بتربته قرب مشهد الإمام الشافعىّ رضى الله عنه ، وحزن السلطان عليه حزنا عظيما .

---

(١) ورد ذكر وفاته فى وفيات سنة ٦٨٥ هـ ، أنظر ما سبق ص ٣٥٧ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، الوافى جـ ١٥ ص ٤٧٢ رقم ٦٣٨ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٥٨ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٣ ص ٥١٠ رقم ٧٠٠ .

فصل فيما وقع من الحوادث

فى السنة السابعة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

والسلطان الملك المنصور قلاون صاحب الديار المصرية [٧١٥] والشامية والحلبية ، وقد عزل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى من الوزارة ، وصادره ، وأخذ أمواله ، وكان أكثر حنقه عليه أنه بلغه عنه أنه قد أفحش فى المظالم ، واستجلب الدعاء على دولته من العالم ، وأن فى سجنه جماعة كثيرة عدتهم مئون ، وقد مرت عليهم شهور وسنون ، وقد صار موجودهم كله جعلا للرسل وبرطيلا للمقدمين ، فرسم لبهاء الدين بغدى الدوادار بأن يخرج إلى أماكن هؤلاء المصادرين ، ويكشف أمرهم عن يقين ، فخرج فى الليل إلى دار الفلوس التى هى مجمع الدواوين ، فوجد فيها خلقا ، فقاموا إليه مستصرخين ، فأعلم السلطان بأمرهم ، فأمر الأمير حسام الدين طرنطاى نائبه بعرضهم ، وأمر [بإطلاق] (١) من يجب إطلاقه منهم ، فعرضهم (٢) وأفرج عن جميعهم ، وباء بأجرهم كما باء الشجاعى بإثمهم ، ووجد سوء عاقبة ظلمهم ، وكانت هذه النقمة الحالة به بأدعيتهم ، فلله در القائل :

(*) يوافق أولها الجمعة ٩ فبراير ١٢٨٨ م .

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦١ أ .

(٢) « فأعرضهم » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

أتهـزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل ما تخطئ ولكن لها أجل وللأجل انقضاء (١)

ثم ولى السلطان الأمير بدر الدين بيدرا (٢) المنصورى الوزارة ، وكان أولا أمير مجلس ، ثم صار أستاذ الدار ، ثم نقله إلى الوزارة عوضا عن علم الدين سنجر الشجاعى المذكور ، فأحسن فيها السيرة ، وعامل الناس فى اللطف (٣) ، وانكفت فى أيامه المرافعات ، وقلت المصادرات ، وانجلت ظلم الظلمات ، وذاقت الدواوين حلاوة الأمن (٤) من بعد مرارة الخوف ، ولم يزل مستمرا إلى أن انقضت الدولة المنصورية ، وأقبلت الدولة الأشرفية ، فنقل إلى نيابة السلطنة ، فكان منه ماسنذكره إن شاء الله تعالى (٥) .

قلت : بيدرا هذا هو ثانى الوزراء من الترك أرباب السيوف ، وأولهم الشجاعى المذكور ، وكانت ولاية بيدرا للوزارة فى السابع والعشرين من ربيع الأول [٧١٦] من هذه السنة .

وفيها : بنى السلطان ببنت الأمير شمس الدين سنقر التكريتى الظاهرى ، وأفرج عنه من الإعتقال ، وأعطاه إمرة بالشام ، ثم بانت عنه (٦) .

(١) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦١ ب ، ١٦٢ أ .

(٢) هو بيدرا بن عبد الله المنصورى ، المتوفى سنة ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٤ م — المنهل الصافى جـ ٣ ص ٤٩٣ رقم ٧٣٤ .

(٣) « باللطف » فى زبدة الفكرة .

(٤) « مستمر الوزارة » فى الأصل ، والتصحيح من زبدة الفكرة .

(٥) زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٢ أ .

(٦) انظر أيضا تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٦٩ .

وفيها : فى شهر رمضان كُبِس نصرانىّ وعنده مسلمةٌ وهم يشربون الخمر فى نهار رمضان، فأمر نائب السلطنة بدمشق حسام الدين لاجين بتحريق النصرانى، فبذل فى نفسه أموالا جزيلةً ، فلم تقبل منه ، وحرّقه بسوق الخيل .

وفيها : وقعت الحربُ بين قُبْلاى خان صاحب التخت والتاج وبين قَيْدُو وابن جُقَى وابن اركَذَبَه بن جنكزخان أحد ملوك التتار ، وكان سبب الواقعة أن أميرا من أمراء قبلاى يسمى طُرُدْغَا احس [بأن] (١) قبلاى قد تغيَّر عليه ، وعزم على الإيقاع به ، فهرب ولحق بقَيْدُو، وحسّن له قصد قُبْلَاى وحربه ، وأطمعه فى أخذ مملكته ، وقال له : إنه قد كبُر سنّهُ وما بقى ينهض بتدبير مُلْكه ، وإنما أولاده هم الذين يتولون الأمور وهم صبيان ، فسار قَيْدُو بجيوشه لقَصْده وسار طُرُدْغا صحبته ، وبلغ ذلك قُبْلاى ، فجهز جيوشه ، وأرسلها صحبة ولده نُمْغَان لحربه ، فلما وصل قَيْدُو قريبا من القوم ، بلغه أنهم فى جمعيةٍ كثيرة ، فأراد الرجوع من فوْره ، فقال له طُرُدْغَا : يعطينى الملك تُومَان من نقاوة العسكر وأنا أدبر له الحيلة وأ كمرهم . قال له قيدو: وكيف تصنع ؟ قال: إن الطريق الذى قدامنا فيها وادٍ بين جبلين ، فأتوجّه بالتُومان ، فأكمن فى الوادى ، ويتقدّم الملك إلى القوم حتى إذا وقعت العين على العين يرجع موليا ، فهم لابد لهم أن يتبعونه ، فإذا تبعوه يَسْتَدْرِجهم الى أن يصيروا بين الوادى و بينه ، فأخرج إليهم ويلتفت العسكر عليهم، ففعل قيدُوكذلك ،وكمن الكمين مع طُرُدْغَا نُوين، وسار حتى تقابل

(١) [ ] إضافة من زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦١ أ .

العسكران ، ووقع العيان على العيان ، فطمع عسكر قبلاى فيهم لقلتهم وحملوا عليهم ، فما ثبتوا لحملتهم وانهزموا قدامهم راجعين ، وتبعوهم طامعين حتى إذا تجاوزوا مكان الكمين خرج عليهم طُرُنْدغا نُوين [ومن](١) معه من نقاوة [٧١٧] التوامين ، ثم كرّ عليهم قيدو بمن معه ، فكسر عسكر قبلاى أشدّ كسرة ، وأثخنوا فيهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ثم ساروا فى آثارهم حتى أشرفوا على ديارهم فنهبوها ، ونهبوا من النساء والصبيان خلقا عظيما ، وجُلِبَ من ذلك السبْى عدّةٌ من المماليك إلى الديار المصرية ، ونجا نُمغَان ابن قبلاى فى عدّة من أصحابه ، فلما وصل إلى أبيه سخط عليه وأرسله إلى بلاد الخطا ، فمات بها(٢) .

وفيها : « ... ... »(٣) .

وفيها : حج بالناس سيف الدين بلبان الدكاجلى المعروف بالشحنة ، فبارز عليه الأمير أبو نمى الحسنى صاحب مكة ، وأمسكه باتفاق مع الحجاج ، وسيّره إلى السلطان ، فأرسله إلى الكرك ، فاعتقل فيها مدة ، ثم أطلق فيما بعد .

---

(١) [ ] إضافة تتفق والسياق .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦١ أ — ب .

(٣) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

الخطيب الإمام قطب الدين أبو الوفا عبد المنعم[1] بن يحي بن إبراهيم بن على ابن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعيد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه ، القرشى الزهرى .

خطيب القدس الشريف أربعين سنة ، وكان من الصلحاء الكبار ، مجموعا عن الناس ، حسن الهيئة ، مهيبا ، عزيز النفس ، يفتى الناس ، ويذكر التفسير من حفظه فى المحراب بعد الصبح ، وقد سمع الكثير ، وكان من الأخيار ، ولد سنة ثلاث وستمائة ، وتوفى ليلة السابع والعشرين من رمضان عن أربع وثمانين سنة ، وتولى موضعه بدر الدين بن جماعة[2] .

الشيخ الصالح العابد إبراهيم[3] بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبرى ، تقى الدين أبو إسحاق .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص٩٢ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص٣١٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص٧٤ ، السلوك جـ١ ص٧٤٦ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٤٠١ ، تذكرة النبيه جـ١ ص١١٩ — ١٢٠ .

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، بدر الدين ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ/١٣٣٢ م — المنهل الصافى .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ١ ص ١٧٧ رقم ٨٤ ، درة الأسلاك ص ٩٢ ، الوافى جـ٦ ص ١٤٧ رقم ٢٥٩٢ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٣٩٩ . النجوم الزاهرة جـ٧ ص٣٧٤ ، تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص٧٢ ، السلوك جـ١ ص٧٤٦ ، تذكرة النبيه جـ١ ص١١٦ ، البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣١٢ .

أصله من قلعة جعبر ، ثم أقام بالقاهرة وكان يعظ الناس وكان الناس ينتفعون بكلامه كثيرا ، توفى بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرّم ، ودفن فى تربته بالحسينية ، وله نظم حسَن ، وكان من الصالحين المشهورين .

ومن أشعاره قوله :

أرى غراماً وتعذيباً وفرط جوىً ... وحُرقةً فى الهوى تعلُو على سقرِ
ولستُ أدرِى بمَنْ وجْدِى ولا نظرت ... عيناىَ حُسنىَّ فى بدْوٍ ولاحَضَرِ

[٧١٨]

فهل رأيتم جميعَ الناس أعجب من ... حالى وقد سمعتم مثل ذا الخبرِ
أذوبُ شوقًا إلى مَنْ لستُ أعرِفُه ... ولأى خيالا منه فى عُمُرِ(١)

الحكيم الفاضل العلامة علاء الدين على بن أبى القرشى الدمشقى(٢) ، المعروف بابن النفيس .

نشأ بدمشق واشتغل بها على مهذب الدين الدخوارى ، وإليه انتهت رئاسة الطبّ ، وصنف التصانيف المفيدة منها : كتاب الشامل فى الطبّ ، وكتاب المهذّب فى الكحل ، وكتاب الموجز وهو من أحسن الكتب ، وشرح القانون

(١) تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص٧٣ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : درة الأسلاك ص ٩٤ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠١ ، السلوك جـ ١ ص ٧٤٦ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١١٥ — ١١٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٢ .

في مجلدات كثيرة ، وشرح مسائل حنين ، وفصول أبقراط ، وغير ذلك[(١)] ، توفى بالقاهرة فى الحادى والعشرين من ذى القعدة منها .

الشيخ بدر الدين أبو عبد الله محمد[(٢)] بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوى . شارح الألفية التى لأبيه وهو من أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفا ظريفا فاضلا ، توفى يوم الأحد الثامن من المحرم ، ودفن من الغد بباب الصغير بدمشق .

الشيخ الصالح ياسين[(٣)] بن عبد الله المقرئ ، الحجام . شيخ الشيخ محيى الدين النووى ، وقد حج عشرين حجة ، وكانت له أحوال وكرامات ، توفى يوم الأربعاء الثالث من ربيع الأول .

الشيخ أبو العباس أحمد[(٤)] بن عُمَر المُرْسِى ، من أصحاب الشيخ الشاذلى[(٥)] ، توفى فى هذه السنة[(٦)] .

---

(١) انظر هدية العارفين جـ١ ص ٧١٤ .

(٢) ورد ذكره فى وفيات سنة ٦٨٦ هـ ــ انظر ما سبق ص ٣٦٥ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣١٢ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٤٠٣ .

(٤) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٦٣ ب ، درة الأسلاك ص ٩٠ ، المنهل الصافى جـ٢ ص ٤٣ رقم ٢٢٨ ، الوافى جـ٧ ص ٢٦٤ رقم ٣٢٢٩ ، شذرات الذهب جـ٥ ص ٢٧٣ .

(٥) هو على بن عبد الله بن عبد الجبار ، أبو الحسن الشاذلى ، المتوفى سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ــ المنهل الصافى .

(٦) ورد ذكر وفاته سنة ٦٨٦ هـ فى المنهل الصافى . انظر مصادر الترجمة .

الشيخ الصالح عثمان بن خضر بن سَعْد الكردى المراكشي العدوىّ صاحب الكرامات[1] .

توفى فى هذه السنة ، وحكى عنه تلميذه قال : لما كان فى اليوم الذى التق الملك الظاهر مع التتار بالأُبلُسْتين حصل للشيخ غفوة من الوسَنِ ، ثم أفاق من سِنَتِه فقال : كُنْتُ فى هذه الساعة فى بلاد الروم ، ورأيتُ الملك الظاهر وقد انتصر على التتار ونصب دهليز على قيسارية ، فورّخ الوقت والساعة ، فكان الأمر كما أخبر الشيخ ، رحمه الله[2] .

ناصر الدين حسن[3] بن شاور النقيب الشاعر .

وله أشعار ومقطعات رائقة ، توفى فى هذه السنة ، ومن أشعاره :

عاش صَبًّا بكم ومات مُحِبًّا ... فسقى الله منه مهدًا وتُرْبَا

ما قضى أو قضى حقوق هواكم ... وأباح « ... ... »[4] جسما وقلبًا

[٧١٩]

قام والله ما الذى أوجبَ العشقَ ... على مثله وإن كان صعبا

رضى الموت فى الغرام ولم ... يَرْضَ مَلَامًا عليه فيه وعَتْبَا

(١) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٣ ب .

(٢) انظر زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٣ ب .

(٣) وله أيضا ترجمة فى المنهل الصافى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٧٦ . فوات الوفيات جـ ١ ص ٣٢٤ رقم ١١٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٠ .

وورد ذكر وفاته سنة ٦٨٩ هـ فى المنهل الصافى .

(٤) « ... ... » بياض فى الأصل .

هكذا هكذا وإلا فــلا لا	كلُّ مَنْ هامَ أو صبًا أو أحبّا
يا محبين هــذه صــفة الحبّ	وذا وصــفُ من يُسمّى محبّــا
لو صدقتم محبّــة ما نطقتم	لا تظنُّوا الغــرامَ لهــواً ولعبــا
ليس مَنْ يشهدُ القتــالَ بعينيه	كمن يلتقى طعــاناً وضَرْبا
ربُّ صبّ أسوقه الحبُّ للموت	فينقــادُ وهـــو لا يتــأبَّى

وكان حسن الدعابة ، وجُرِّدَ فى وقتٍ إلى بعض البلاد فقال :

وجُرِّدتُ مع فقرى وشيخوختى إلى	غريق فعينى مثل نومى مشرّداً
فــلا يدّعى غيرى مقــامى فإننى	أنا ذلك الشــيخ الفقيرُ المجــرَّدُ

محمد بن محمد بن محمد العلامة أبو الفضائل ، عُرِفَ بالبرهان النسفى الحنفى[(1)]، صاحب التصانيف الكلامية والخلافيّة ، مولده سنة ستمائة تقريبا ، ولخّص تفسير الإمام فخر الدين . وله مقدّمة فى الخلاف مشهورة ، وأجاز للإمام البرْزَالى فى سنة أربع وثمانين وستمائة ، وكتب بخطه الملقب بالبرهان النسفى ، توفى فى هذه السنة[(2)] ، ودفن تحت قبة مشهد أبى حنيفة رضى عنه .

الملك الصّالح علاءُ الدين على بن الملك المنصور قلاون[(3)] .

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٩٣ ، الوافى جـ ١ ص ٢٨٢ رقم ١٨٠ . شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٨٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢٠ .

(٢) ورد ذكر وفاة صاحب الترجمة سنة ٦٨٤ هـ فى مرآة الجنان جـ٤ ص ٢٠٠ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ ٩ ورقة ١٦٢ أ ، ب ، المنهل الصافى ، السلوك جـ١ ص ٧٤٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٢ ، تذكرة النبيه جـ١ ص ١١٥ أ ، تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٦٩ — ٧٠ . الجوهر الثمين ص ٣٠١ .

مرض بالدُّوسَنْطارِيَّة الكبديَّة ، وهى من الأمراض القاتلة الرديئة ، فتوالى عليه رَمْيَ الدم ، وأعيَ الأطبَّاء دواءُه ، فقدَّر الله منيَّته فى هذه السنة .

وقال ابن كثير : توفى ليلة الجمعة رابع شعبان من هـذه السنة ، فوجد عليه السلطان وجدا عظيما[1] ، وكان قد عهد إليه فى الأمر[2] من بعـده ، وخطب له معه[3] على المنابر من مدة سنين ، ودفنه فى تربته ، وجعل ولاية [العهد من][4] بعده إلى ابنه الملك الأشرف[5] خليل ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وخطب له بعد أبيه فى البلاد .

وقال بيبرس : وخلف الملك الصالح ولدا ذكرا وهـو الأمير مظفر الدين أمير موسى ، ولما أفضت الدولة إلى عمِّه السلطان الملك النـاصر صار فى زمرة الأكابر وأمَّرهُ بمـائة فارس :

[٧٢٠]

ورث السعادةَ عن أبيـه وجدِّه ... وحوى السيادةَ كابراً عن كابرِ

فالله يحرسه ويرفـع مجـدَهُ ... فى ظلِّ مولانا الملِك النـاصرِ

الخـوندَه غازية[6] خاتون بنت السلطان الملك المنصور قلاون وزوجة الملك السعيد بن الظاهر ، توفيت بعد الصالح المذكور بُبرهة يسيرة ، وهى أخته لأبيه ، والله أعلم .

(١) « شديدا » فى البداية والنهاية .

(٢) « بالأمر » فى البداية والنهاية .

(٣) « معه » ساقط من البداية والنهاية .

(٤) [ ] إضافة من البداية والنهاية .

(٥) انظر البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣١٢ .

(٦) ولها أيضا ترجمة فى : زبدة الفكرة جـ٩ ورقة ١٦٢ ب ، البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣١٢ ، تاريخ ابن الفرات جـ٨ ص ٧٥ هامش (٢) .

فصل فيما وقع من الحوادث
فى السنة الثامنة والثمانين بعد الستمائة (*)

استهلت هذه السنة ، والخليفة هو : الحاكم بأمر الله العباسى .

والسلطان الملك المنصور قلاون صاحب الديار المصرية والشامية والحلبية ، ونائبه فى الديار المصرية الأمير حسام الدين طرنطاى ، وفى دمشق الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، وفى حلب الأمير قراسنقر المنصورى .

ذكر سفر السلطان إلى الشام :

وفى هذه السنة رسم السلطان للعساكر بالتجهيز ، وعزم على التبريز ، وخرج من قلعته فى المحرم من هذه السنة ، وسار إلى الشام على عزم غزو طرابلس وأخذها ، وذلك أن أهلها نقضوا قواعد الصلح ، وكدروا موارد الهدنة ، بما ارتكبوا من الفساد ، وسوء الاعتماد ، والتطرق إلى الطرقات ، والتعرض إلى المسلمين فى معظم الأوقات ، فعزم على حصارها ، وصمم على دمارها (١) ، وكتب إلى النواب بالممالك الشامية والحصون الساحلية بتجهيز الجيوش إليها ، وإنفاذ المجانيق وآلات الحصار والنزول عليها .

(*) يوافق أولها الثلاثاء ٢٥ يناير ١٢٨٩ م .

(١) نهاية الورقة ١٦٣ ب ص ٨ جـ ٩ من زبدة الفكرة ، ويبدو أن هناك سقط بين هذه الورقة والتى تليها وهى الورقة ١٦٤ أ والتى ورد فيها ذكر وفاة السلطان قلاوون (٦٨٩ هـ) ، دون تكملة حوادث فتح طرابلس وغيرها من أحداث سنة ٦٨٨ م .

ذكر فتح طرابُلس :

توجّه السلطان إليها ، ونزل عليها ، وجاءَت الأمداد من جميع البلاد ، وجَدُّوا فى الحصار .

وقال ابن كثير : نزل السلطان على طرابلس وصحبته خلق كثير من المتطوعة ، منهم قاضى الحنابلة نجم الدين بن الشيخ ، وخلق من المقادسة وغيرهم ، فنازلها يوم الجمعة مستهل ربيع الأول وحاصرها بالمجانيق(١) حصارا شديدا ، وضايقها مضايقة عظيمة ونصب عليها تسعة عشر منجنيقا ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة(٢) فتحت [٧٢١] طرابلس فى الساعة الرابعة من النهار عنوة ، وشمل القتل والأسر جميع من فيها ، وغرق كثير منهم فى الميناء(٣) ، ونهبت الأموال ، وسبيت النساء والأطفال ، وأخذت(٤) الذخائر والحواصل ، وقد كانت(٥) طرابلس فى أيدى الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة(٦) إلى هذا التاريخ ، وقد كان الملك صنجيل حاصرها سبع سنين حتى ظفر بها كما ذكرنا ، وكانت قبل ذلك بأيدى المسلمين من زمن

(١) « بالماجيق » فى الأصل ، وهو تحريف ، والتصحيح من البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٣ .

(٢) « يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر » — الجوهر الثمين ص ٣٠١ .
وانظر ما يلى عن التاريخ الذى حدده النويرى والمقريزى وهو « الثلاثاء رابع ربيع الآخر » ، وطبقا لما جاء فى التوفيقات الإلهامية فإن أيا من التواريخ المذكورة لا يوافق يوم ثلاثاء .

(٣) « وغرق كثير من أهل الميناء » — البداية والنهاية .

(٤) « وأخذ » فى الأصل .

(٥) « كان » فى الأصل .

(٦) استولى الصليبيون على طرابلس فى ١١ ذى الحجة سنة ٥٠٣هـ / ١٢ يوليو ١١٠٩ م — المختصر جـ ٤ ص ٢٣ ، الكامل جـ ١٠ ص ٤٧٥ .

معاوية رضى الله عنه، فإنه فتحها فى زمن معاوية سفيان بن نجيب فأسكنها معاوية اليهود، ثم لما كان عبد الملك بن مروان جدّد عمارتها وحصّنها وسكنها المسلمون، حينئذ وصارت مطمئنة، وبها ثمار الشام ومصر، فإنه يجتمع فيها الجوز والموز والبلح(1) والقصب، وقد كانت(2) قبل ذلك كله ثلاث مدن متقاربة، ثم صارت بلدا واحدا، ثم حولت من موضعها، فإن السلطان أمر بهدم هذه البلدة بما فيها من العمائر والآدر والأسوار وأن تُبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن، ففعل ذلك، فهى هذه التى هى الآن، جعلها الله دار أمان(3).

وفى تاريخ النويرى: مدة لبث الفرنج عليها من يوم استولوا عليها نحو مائة سنة وخمس وثمانون سنة وشهورا، وكان فتحها عنوة يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر(4)، وهرب أهلها إلى الميناء، فنجا أولهم فى المراكب، وقتل غالب رجالها، وسبيت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمةً عظيمةً، وكان فى البحر قريبا من طرابلس جزيرة، وفيها كنيسة تسمى كنيسة سُنطماس بينها وبين طرابلس الميناء، فلما أخذت طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكورة عالم عظيم من الإفرنج رجال ونساء، فاقتحم العسكر الإسلامى البحر وعبّروا خيولهم سباحةً إلى الجزيرة المذكورة، وقتلوا جميع مَنْ بها من الرجال، وغنموا ما بها من النساء والصغار والأموال، وصار الناس لا يستطيعون الصعود إليها من نتن جيف القتلى.

(1) «والثلج» فى البداية والنهاية.

(2) «كان» فى الأصل، والتصحيح من البداية والنهاية.

(3) انظر البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٣ حيث يوجد اختلاف فى بعض الألفاظ.

(4) وحدد المقريزى نفس التاريخ لفتح طرابلس — السلوك جـ ١ ص ٧٤٧.

ثم عاد السلطانُ إلى دمشق ، وأعطى صاحب حماة الدستور ، فعاد إلى بلده ، ودخل السلطان دمشق يوم النصف من جمادى الآخرة .

ثم سافر السلطان [٧٢٢] فى ثانى شعبان بجيشه إلى الديار المصريّة ، فدخلها فى آخر شعبان من هذه السنة .

وفى تاريخ بيبرس : وانهزمت طائفة من الفرنج من أهل طرابلس إلى جزيرة قريبة من الميناء لم يكن يتوصل إليها إلا بالقوارب وصغار المراكب ، فالتجأوا إليها وظنوا أنهم يحتمون بها ، ونقلوا معهم ما عزّ عليهم من قماشهم وأثاثهم ، فاقتضت سعادة السلطان وشقوتهم أن انطرد البحر عنهم ، وظهرت للعساكر المخائض إليهم ، فبادروا إليها ما بين راجل وفارس ، وأوقعوا بمن كان فيها من شيخ وشابّ ، وبكر وعانس ، وركب أقوام منهم مركبا فى البحر لينجوا بأنفسهم ، فطردتهم الريح إلى الساحل ، وتعذر عليهم الخروج فى العاجل ، وكانت[1] هنالك الخيول الإسلاميّة مع الدُشَارِيَّة[2] ، فخرج إليهم الغلمان[3] والشاكردية والوشاقية[4]

(١) « وكان » فى الأصل .

(٢) دشار = جشار : الخيل والأبقار التى تساق مع الجيش — السلوك جـ ١ ص ٩٠٩ هامش (١) .

(٣) غلام — غلمان : هو الذى يقوم بخدمة الخيل ، وفى أصل اللغة مخصوص بالصبى الصغير والمملوك ، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم ، وكأنهم سموه بذلك لصغره فى النفوس — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٧١ .

(٤) الأوشاقية (الأرجاقية) — أوشاق أو أوجاق : وهو الشخص الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٤ .

وأمير آخورية(١) ووقعوا فيهم ونهبوهم وأسروا من وجدوا منهم ، فكان الخذلان لهم في البر والبحر ، ولم يُستشهد في هـذه الغزاة إلا الأمير عز الدين مغان أمير شكار ، والأمير ركن الدين مَنكُورس الفارقاني ، ثم أمر السلطان بتخريب المدينة بكمالها ، وبُنِيَت بالقرب منها مدينة أخرى وسميت طرابلس المستجدة ، وسكنها كثير من المسلمين ، واستقر بها نائب السلطنة ، وطائفة من العسكر ، ولما فرغ السلطان من أمرها رحل عائداً إلى الديار المصرية(٢) .

وقال بدر الدين المنبجي البزاز الشاعر(٣) في ذلك قصيدة يذكر فيها الفتح ، ويمدح السلطان ، رحمه الله :

أدركْتَ بالجدِّ أقصى غاية الطلب ونلتَ بالجـدِّ أعلى منتهى الرُّتَبِ
أبَا المُظَفَّـر لا زالت مظفَّـرة منك الجيوش على الأعداءِ بالرُّعُبِ
فَاللهُ جارُك أنّى سِرتَ من ملكٍ وناصرٌ لكَ مِن ناءٍ ومُقْتَرِبِ
للهـول مرتكبٌ للحـقِّ مُنتصِرٌ للغـزو مُحْتَسِبٌ للأجر مُكْتَسِبِ
بالسيد الملك المنصور شُـيِّدَ عُلَى الإسْلام وانهدّ دِينُ الشرك والصلُبِ
يامدركَ الغاية القُصوى التي عجزَتْ عنها الورى برضًى في اللهِ أو غَضَبِ

[٧٢٣]

(١) الأمير آخورية : التابعون للأمير آخور ، وهو المسئول عن الإسطبلات ، وتولى أمر ما فيها من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإسطبلات — صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٦١ .

(٢) هذا الجزء ساقط من نسخة زبدة الفكرة التي بين أيدينا .

(٣) هو محمد بن عمر بن أحمد بن عمر المنبجي ، بدر الدين أبو عبد الله ، المتوفى سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م — المنهل الصافي : الوافي جـ ٤ ص ٢٨٦ رقم ١٨٥٦ .

أَحرزْتَ ما فاتَ قِدمًا من طرابُلُس   جمع الملوك ذوى الارعاب والرَّهب
أتعبْتَ نفسَك فى ذاتِ الآلهِ بها   فيالها راحةٌ وافتْ من التَّعب
فتحٌ بنيهِ على كُل الفتوح به   عصرٌ غدا مُنتشى الأعطاف من طَرَب
فكم لها فى حبال الكفر من حُقُبٍ   مرتْ ولم تَرجُ تطليقا على حَقَب
أعضت على الذلّ أحيانا ومابرزتْ   بالوجه طالبةً بعدًا من الحُجُب
حتى إذا ما رأت كُفؤًا لخطبتها   دَعَتْ فلبَّيتَها فى جحفلٍ لجب
أصدقْتَها كل ثَبتِ القلب تُرعَبُ من   إقدامه أُسدُ الآجام من رُعُب
آسادُ مَعْركةٍ عُقْبانُ مقتلةٍ   فرسانُ ملحمة للموت لم تهب
من كل قُطرٍ أحاطوا محدقين بها   كما أُحيطَ على الأحداق بالهُدُب
لو كُنت شاهدهم والشمسُ طلعتها   من شُقةِ النقع يوم الزحف فى نَقَب
خلتَ الأسنة شُهبا لحن فى غَسَق   والمشرفيات برقا شيم فى سُحُب
قل للملوك التى أعيَتْهم نقضوا   عُمرًا وكلٌّ إليها الدهر ذو أَرَب
تُهدى العرائس من شُمِّ الحصون إلى   مَنْ بات يخطبُها بالسُمر والقُضُب
غادرتَها بمناجيقٍ نُصبنَ لها   ورفع أبراجها خفض بمنتصب
فأصبحت ذات أصحابٍ وكم جنبت   على مُرادِك من جار لها جُنُب
أجريتَ فيها بحارًا نجيعهم   فبكل سابحةٍ سَبحًا إلى اللبب
لم تطلع الشمس فيها بعد ذاكَ على   غير الشلايا من القتلى ولم تغب
لله دُرُّ عواليك التى وَصَلَتْ   لك المعالى بحبل غير منقضب

وافتهم فى جيوش منك أُسْـدُ شَرى | بالبيض والبَيْض واللامات والشلب
خاضت إليهم عُباب البحر مُشرعةً | كأنها فى طـريق مَهيَع لَجِب
أذقتهمُ بعـد عِزٍ مُرَّ ذُلهـمِ | وبعدها من كؤوس الخوف والوصب
بآرائها علم الدين الحنيف ومن | أصاب بالخفض دين الرجس والصُلُب

[٧٢٤]

أن نِلت ما أعجزت صيدَ الملوك بما | أدركتَ من فتحها الميمون عن كُثُب
فآيةُ السيف كم من آيةٍ نسخت | وطلعة الشمس كم أخفت من الشُهُب
جزاك ربك عنه كل صالحةٍ | وكفَّ عنك أكفَّ الخَلْف فى النُّوَب
ودُمتَ تُرجى وتُخشى ذا عُلاً وسطاً | على العِدى وعلى الإسلام ذا حَدَب

واهتم السلطان بعد ذلك فى استجلاب المماليك الترك وانتثار إلى هـذه الديار قصـدًا فى الاستظهار والاستكثار ، وبذل الأموال لمن يحضرهـم من التجار فى المفاوز والبحار ، ورغّبهم بالمسامحات تحقيق الإيراد والإصدار ، فجلبوا إليـه منهم العدد الكثير ، والجـمّ الغفير ، حتى أنه اقتنى منهم عدّة لم يسبقه إلى مثلها أحد من اشكاله ، فكانت زهاء ستة آلاف اشتراهم بمـاله ، وربّاهم تربية الأولاد ، برسم الجهاد ، وغزو الأعداء والأضـداد ، ولم يزل مُشفقا عليهم مُحسِنًا إليهم ، نافلاً لهم على التدريج من الجامكيات إلى الإقطاعات ، ومنَ المفاردة إلى إمْرَة العشرات ، ثم إلى الطبلخانات ، ومنهـم من انتقل إلى تقـدمة الألوف وإمْرَة المئين ، وكانوا جميعا عنده كبنيه ، بل أعز من البنين .

وفيها : فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب وكركر وتلك النواحى ، وكُسرت طائفةٌ من التتار .

وفيها : سَلْطَن السلطان ولده الملك الأشرف خليل ، وركب من قلعة الجبل ، وشقّ القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة بشعار السلطنة ، وطلع القلعة ، وزُينت له القلعة .

وفيها : توجّه شمس الدين بن سَلْعوس(١) من دمشق إلى مصر لخدمة السلطان الملك الأشرف بن السلطان الملك المنصور قلاون ، ودخلها فى أواخر المحرم من السنة الآتية .

وقال ابن كثير : جاء كتابٌ يستحث الوزير شمس الدين بن السَلْعُوس فى السير(٢) إلى الديار المصرية وبين الأسطر بخط الملك الأشرف : يَاشُقَيْر ياوَجْهَ الخير ، احضُرْ تسلَّم(٣) الوزارة ، فساق إلى القاهرة ، فوصلها يوم الثلاثاء عاشر المحرم من السنة الآتية(٤) ، فتسلّم الوزارة .

وفيها : « ... ... »(٥) .

وفيها : حج بالناس [٧٢٥] الأمير ركن الدين بيبرس الجالق الصالحى .

(١) هو محمد بن عثمان بن أبى الرجا التنوخى ، الشهير بابن السلعوس ، الصاحب الوزير شمس الدين ، المتوفى سنة ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م — المنهل الصافى ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٧٣ .

(٢) « المسير » فى البداية والنهاية .

(٣) « لتستلم » فى البداية والنهاية .

(٤) ورد هذا النص فى نهاية أحداث سنة ٦٨٩ هـ فى البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٧ .

(٥) « ... ... » بياض فى الأصل .

ذكر من تُوفى فيها من الأعيان

الإصبهانى شارح المحصول، محمد بن محمود بن محمد بن عباد الكافى [1]، العلامة شمس الدين الأصبهانى .

قدم دمشق بعد الخمسين وستمائة ، وناظر الفقهاء ، واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث ، وشرح المحصول لفخر الدين الرازى [2] ، وصنف القواعد فى أربعة فنون : أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف ، وله معرفة جيدة بالمنطق والخلاف والنحو والآداب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين رضى الله عنه ، وبالشافعى رحمه الله ، وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، وكانت وفاته فى العشرين من رجب بالقاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

الشَمْسُ محمد [3] بن العفيف سليمان بن على بن عبد الله بن على التلمسانى الشاعر المطبق .

---

(١) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٩٦ - ٩٧ ، الوافى جـ ٥ ص ١٢ رقم ١٩٦٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٦ ، السلوك جـ ١ ص ٧٥٠ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٥ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٩ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢٥ .

(٢) هو كتاب «المحصول فى أصول الفقه» لفخر الدين محمد بن عمر الرازى ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩ م - كشف الظنون جـ ٢ ص ١٦١٥ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، درة الأسلاك ص ٩٧ ، الوافى جـ ٣ ص ١٢٩ رقم ١٠٧٤ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٥ . تاريخ ابن الفرات جـ ٨ ص ٨٥ ، السلوك جـ ١ ص ٧٥٠ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٥ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢٦ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٩ .

كانت وفاته فى حياة أبيه ، فتألَّم له ، ووجد عليه وجدا شديدا ، ورثاه بأشعار كثيرة ، توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ، وصلى عليه بالجامع الأموىّ ، ودُفن بمقبرة الصوفية .

ومن رائق شعره :

لحاظُكَ أسيافٌ ذكورٌ فما لها ... كما نقلوا مثل الأرامل تَغزِلُ

وما بَالُ بُرهَانِ العِذارِ مُسلِماً ... ويلزمُه دورٌ وفيه تَسلسُلُ

وله :

وإنَّ ثناياه نجومٌ لبَدْره ... وهُنَّ لعقد الحُسْنِ فيه فرائدُ

وكم يتجافى خَصْرُه وهو ناحلٌ ... وكم يتحالى(1) ثغرُه وهو باردُ

وله يذمّ الحشيشة :

ما للحشيشة فضلٌ عند آكلها ... لكنه غيرُ مصروفٍ إلى رَشَدِه

صفراءُ فى وجهه خضراء فى فمه ... حمراء فى عينه سوداءُ فى جسدِه(2)

وله :

بدا وجْهُه من فوق ذابل قَدِّه(3) ... وقد لاح من سُودِ الذوائبِ فى جُنحِ

فقلتُ عجيبٌ كيف لم يذهب الدُّجى ... وقد طلعت شمس النهار على رُمْحِ

(1) « يتحلى » فى البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣١٥ .

(2) « فى كبده » فى البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣١٥ .

(3) « خديه » فى البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣١٥ .

وله من جملة أبيات :

من أنت عندى والقضيب اللدن فى حدّ سوا
هذا حركه الهوى وأنتَ حرّكتَ الهوى (١)

الشيخ فخر الدين أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد البعلبكى الحنبلى (٢) .

شيخ دار الحديث النورية ، ومشهد بن عروة ، وشيخ الصدرية ، وكان يفتى ويفيد [٢٦ ٧] الناس مع ديانة وصلاح وعبادة ، وُلِدَ سنة إحدى عشرة وستمائة ، وتوفى فى رجب من هذه السنة .

العَلَمُ الصاحب أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر (٣) .

كان من بيت علم ورئاسة ، وقد درس هو فى بعض المدارس ، وكانت له وجاهة ورئاسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على صحبة الحرافشة والتشبه بهم فى اللباس والطريقة ، واستعمل ما كان عندهم من الفهم فى الخلاعة والمجون ، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عما هو فيه فلا يلتفت إليهم ، ولم يزل كذلك حتى توفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الآخر .

---

(١) انظر تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٥ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٦ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٨ .

(٣) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٧٤ رقم ٣٤٥ ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٨ ، الوافى جـ ٨ ص ٢٩٢ رقم ٣٧١٢ ، العبر جـ ٥ ص ٣٥٧ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٣ .

وقال يمدح الحشيشة :

في خمار الحشيش معنى مرامى يا أهيل العقول والأفهام
حرموها من غير عقل ونقل وحرام تحريم غير الحرام

وله :

يا نفس ميلي إلى التصابي فاللهو منه الفتى يعيش [(١)]
ولا تملى من سكر يوم إن أعوز الخمر والحشيش

ولـه :

جمعت بين الحشيش والخمر فرحت لا أهتدى من السكر
يا من يرمني اباب مدرستي يربح والله غاية الأجر

الشيخ الحافظ ضياء الدين محمد بن الزرزاري ، توفى في ثامن جمادى الأولى من هذه السنة .

الملك المنصور شهاب الدين محمود [٢] بن الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل .

توفى يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان ، وصلى عليه بالجامع الأموى ، ودفن من يومه بتربة جدته ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهله ، وكان فيه لطف وتواضع .

---

(١) « يا نفس ميلى إلى التصابى فاللهو منه الفتى يعيش » .
في المنهل الصافى جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(٢) وله أيضا ترجمة فى : المنهل الصافى ، نهاية الأرب (مخطوط) جـ ٢٩ ورقة ٤٦ ، البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣١٥ ، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٧ ، تذكرة النبيه جـ ١ ص ١٢٤ .

الأمير عز الدين ايغان أمير شكار، والأمير ركن الدين منكوبرس الفارقاني استشهدا في غزوة طرابلس كما ذكرناه.

قبلاى خان بن طلو بن دوشى خان بن جنكزخان ملك التتار بالصين.

وهو أكبر الخانات لأنه الجالس على التخت، والحاكم على كرسي جنكزخان، وكان قد طالت مدته، وامتدت مملكته، توفي في هذه السنة، وجلس بعده ولده شرمون بن قبلاى خان، وكان له ثلاثة أولاد وهم: نمغان وشرمون [٧٢٧] وكملك، فأما نمغان فإنه أرسله إلى بلاد الخطا لما غضب عليه عند رجوعه من كسرة قيدو منهزما، فمات ببلاد الخطا كما ذكرنا(١). وأما شرمون فإنه أكبر من أخيه، فأجلسوه في الملك والله أعلم.

الشيخة فاطمة(٢) بنت الشيخ إبراهيم الزعيبي زوجة النجم إسرائيل.

كانت من بيت الفقر، لها إقدام وترجمة وكلام في الحريرية وغيرهم، ماتت في هذه السنة، وحضر جنازتها خلق كثير، ودفنت بخوزستان.

• • •

(١) انظر ما سبق ص ٣٧٢.

(٢) ولها أيضا ترجمة في « البداية والنهاية » جـ ١٣ ص ٣١٤

قد انتجز هذا الجزء المبارك على يد مؤلفه ومسطره العبد الفقير إلى الله الغنى أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي، عامله ربه ووالديه بلطفه الجلي والخفي، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، بعد طلوع الفجر الصادق، وحلول صلاة الصبح، يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر عام اثنتين وثلاثين وثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات، وأزكى التحيات، وعلى آله وصحبه وعترته وأزواجه إلى يوم الدين، وذلك في منزله بحذاء مدرسته البدرية بحارة كتامة بالقرب من الجامع الأزهر، عمره الله بالعبادات، مع تخللات الحوادث والأعراض، وتجرع الغصص من أصحاب الشر والأعراض، فنسأل الله العظيم متوسلين بنبيه الكريم أن يحرسنا من شر كل ذي شر وحسد، ومن عداوة كل ذي حقد ونكد، وأن يجعلهم مشغولين بأنفسهم حتى لا يشتغلون بالحط علينا، وببلوغ المنكدات إلينا، إنه على ذلك قدير، وبدفعهم عنا هو القادر الجدير.

ويتلوه الجزء الذي أوله فصل فيما وقع من الحوادث في السنة التاسعة والثمانين بعد الستمائة.

انتهى كلام المصنف شيخنا.

* * *

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء فى ضحوة يوم الثلاثاء السابع من شهر جمادى الأولى عام خمس وتسعين وثمانمائة على يد أفقر عبيد الله وأحوجهم إلى عفوه ورحمته ومغفرته محمد بن أحمد بن محمد بن الأنصارى الحنفى، بمنزله بباب الجوانية داخل باب النصر بالقاهرة المحروسة، حامدا لله، ومصليا على رسوله، ومسلما، ومحسبلا، ومهللا، ومحوقلا.

* * *

فهارس الكتاب

كشاف الأعلام (*)

(ا)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى السيدة / نجوى مصطفى ، الباحث بمركز تحقيق التراث ، لما بذلته من جهد في إعداد هذا الكشاف .

(ت)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

كشاف الأمم والشعوب والقبائل والفرق والجماعات (*)

(آ)

(أ)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى الأستاذ / علي صالح حافظ الباحث بمركز تحقيق التراث على مابذله من جهد في إعداد هذا الكشاف .

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

كشاف البلدان والأماكن(*)

(أ)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى السيدة / المسام محمد خليل الباحثة بمركز تحقيق التراث على ما بذلته من جهد فى إعداد هذا الكشاف .

(ر)

(ف)

(ق)

كشاف الألفاظ الاصطلاحية (*)

(أ)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى السيدة / إلهام محمد خليل الباحثة بمركز تحقيق التراث على ما بذلته من جهد في إعداد هذا الكشاف .

(ب)

(ص)

(ط)

(ع)

(ك)

(ل)

(م)

كشاف بأسماء الكتب الواردة فى النص (*)

(*) يود المحقق أن يوجه الشكر إلى الأستاذ / على صالح حافظ الباحث بمركز تحقيق التراث لما بذله من جهد فى إعداد هذا الكشاف .

مختصرات مصادر ومراجع التحقيق

تحتوى القائمة التالية على أسماء المصادر والمراجع الإضافية ومختصراتها التى استلزمها تحقيق هذا القسم من كتاب عقد الجمان لبدر الدين العينى[1] .

(١) القرآن الكريم .

(٢) الإستقصا = السلاوى (أحمد بن خالد الناصرى ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) :
— الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى — ٩ أجزاء — الدار البيضاء ١٩٥٤ .

(٣) أعلام النبلاء = ابن هاشم الطباخ الحلبي (محمد راغب بن محمود) :
— أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٧ أجزاء — حلب ١٩٢٣ .

(٤) إعلام الورى = ابن طولون (محمد بن على الصالحى الدمشقى ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦ م) :
— إعلام الورى بمن ولى نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى .
تحقيق د . عبد العظيم حامد خطاب، القاهرة ١٩٧٣

---

(١) تخفيفا لهوامش التحقيق استخدمنا مختصرات فى الإشارة إلى غالبية المصادر والمراجع ، وفى هذه القائمة أثبتنا المختصرات — كما وردت فى الهوامش — مرتبة ترتيبا أبجديا ، وأمام كل مختصر اسم المصدر أو المرجع بالكامل .

(٥) أعيان العصر = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) :

— أعيان العصر وأعوان النصر — مخطوط مصوّر بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

(٦) الألقاب الإسلامية = د . حسن الباشا

— الألقاب الإسلامية — القاهرة ١٩٥٧م .

(٧) أمراء دمشق = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) :

— أمراء دمشق فى الإسلام .

تحقيق صلاح الدين المنجد — دمشق ١٩٥٥ .

(٨) إنباء الغمر = ابن حجر العسقلانى (أحمد بن على ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :

— إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق د . حسن حبشى ، ٣ أجزاء القاهرة ١٩٦٩ — ١٩٧٦ .

(٩) الإنتصار = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م) :

— الإنتصار لواسطة عقد الأمصار ، نشر فولرز ، بولاق ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٣ م .

(١٠) الأوقاف والحياة الإجتماعية = د . محمد محمد أمين :

— الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠ .

(١١) الإيضاح والتبيان = ابن الرفعة الأنصارى (أبو العباس نجم الدين ت ٩١٠ هـ / ١٣١٠ م) :

— الإيضاح والتبيان فى معرفة الكيل والميزان .
تحقيق د . محمد أحمد إسماعيل الخاروف
من منشورات مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى — دمشق ١٩٨٠ .

(١٢) بدائع الزهور = ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفى ، ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م .

— بدائع الزهور فى وقائع الدهور .
نشر وتحقيق محمد مصطفى — ٥ أجزاء — القاهرة ١٩٦١ — ١٩٦٥ .

(١٣) البداية والنهاية = ابن كثير (إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ/١٣٧٣ م) :

— البداية والنهاية ، ١٤ جزء بيروت ١٩٦٦ م .

(١٤) البدر الطالع = الشوكانى (محمد بن على بن محمد ت ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٤ م) .

— البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
جزءان ، القاهرة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م .

(١٥) بغية الوعاة = السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :

— بغية الوعاة فى طبقات النحاة — جزءان القاهرة ١٩٦٤ .

(١٦) تاج التراجم = قاسم بن قطلوبغا (الشيخ أبو العدل زين الدين ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م):

— تاج التراجم فى طبقات الحنفية ، بغداد ١٩٦٢ م .

(١٧) تاريخ الحروب الصليبية = رنسيمان . س .

— تاريخ الحروب الصليبية — ترجمة د . السيد الباز العريني — بيروت ١٩٦٧ — ١٩٦٨ م .

(١٨) تاريخ الخلفاء = السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):

— تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله — القاهرة ١٣٥١ هـ .

(١٩) تاريخ الدول الإسلامية = د . أحمد السعيد سليمان :

— تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، جزءان ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩ .

(٢٠) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية = الزركشى (محمد بن إبراهيم القرن ٩ هـ / ١٥ م):

— تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية — تحقيق محمد ماضور — تونس ١٩٦٦ .

(٢١) تالى كتاب وفيات الأعيـان = الصقاعى (فضل الله بن أبى الفخر ت القرن ٨ هـ / ١٤ م).

– تالى كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، المعهد الفرنسى – دمشق ١٩٧٤.

(٢٢) التحفة السنية = ابن الجيعان (شرف الدين يحى بن شاكر ت ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠ م):

– التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية.

نشرة مريتز، بولاق ١٢٩٦ هـ – ١٨٩٨ م.

(٢٣) التحفة اللطيفة = السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ/١٤٩٧ م):

– التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة.

٣ أجزاء، القاهرة ١٩٧٩ – ١٩٨٠.

(٢٤) تذكرة الحفاظ = الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م):

– تذكرة الحفاظ، ٤ أجزاء بيروت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م.

(٢٥) تذكرة النبيه = ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م):

– تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه.

٣ أجزاء تحقيق د . محمد محمد أمين — القاهرة
١٩٧٦ — ١٩٨٢ — ١٩٨٦ .

(٢٦) تقويم البلدان = أبو الفدا (إسماعيل بن على ، الملك المؤيد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :
— تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ م .

(٢٧) التكملة = المنذرى (زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) :
— التكملة لوفيات النقلة
مجلد ٥ — ٦ تحقيق بشار عواد معروف ،
القاهرة ١٩٧٥ — ١٩٧٦ .

(٢٨) التوفيقات الإلهامية = محمد مختار
— التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية
بالسنين الأفرنكية والقبطية — مصر ١٣١١ هـ .

(٢٩) الجوهر الثمين = ابن دقماق (إبراهيم بن محمد ت ٨٠٩ / ١٤٠٦ م) :
— الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين
تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ومراجعة
د . السيد أحمد دراج — مركز البحث العلمى —
جامعة أم القرى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م .

(٣٠) حسن المحاضرة = السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

— حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

جزءان ، القاهرة ١٩٦٧ .

(٣١) حوادث الدهور = ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف

ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

— منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام

والشهور ، كاليفورنيا ١٩٣٠ — ١٩٤٢

(٣٢) الحلل السندسية = الوزير السراج (محمد بن محمد الأندلسي

ت ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) :

— الحلل السندسية في الأخبار التونسية

الجزء الأول (٤ أقسام) تحقيق محمد الحبيب

الهيلة ، تونس ١٩٧٠ م .

(٣٣) الخطط التوفيقية = علي مبارك

— الخطط التوفيقية ، ٢٠ جزء ، بولاق ١٣٠٦ هـ .

(٣٤) خطط الشام = محمد كرد علي

— خطط الشام — ٦ أجزاء — دمشق ١٩٢٥ م .

(٣٥) الدارس = النعيمي (عبد القادر بن محمد ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) :

— الدارس في تاريخ المدارس : جزءان ، دمشق ١٩٤٨ م .

(٣٦) الدرر = ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
— الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٦ .

(٣٧) درة الأسلاك = ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) :
— درة الأسلاك فى دولة الأتراك ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٦١٧٠ ح .

(٣٨) درة الحجال = ابن القاضى (أبو العباس أحمد بن محمد المكناسى ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٥ م) :
— درة الحجال فى أسماء الرجال — تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٧٠ .

(٣٩) الدليل الشافى = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :
— الدليل الشافى على المنهل الصافى .
تحقيق فهيم شلتوت ، جزءان ، من منشورات مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، القاهرة ١٩٨٤ .

(٤٠) الديباج المذهب = ابن فرحون (إبراهيم بن على ، برهان الدين ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م) :
— الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب —
تحقيق محمد الأحمدى أبو النور — القاهرة .

(٤١) الذيل على رفع الأصر = السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م) :

— الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواد

تحقيق د . جودة هلال ، ومحمد محمود صبح .

(٤٢) ذيل مرآة الزمان = اليونينى (قطب الدين موسى بن محمد ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥ م) :

— ذيل مرآة الزمان — ٤ أجزاء — الهند ١٣٨٠هـ — ١٩٦١ م .

(٤٣) رحلة ابن بطوطة = ابن بطوطة (محمد بن عبدالله ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

— تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، القاهرة ١٩٦٦ .

(٤٤) رشـــيد الدين = (فضل الله الهمدانى) :

— تاريخ المغول

المجلد الثانى فى جزأين ترجمه عن الفارسية محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوى ، فؤاد عبد المعطى الصياد — القاهرة ١٩٧٠

(٤٥) رفـع الإصر = ابن حجر(أحمد بن على العسقلانى ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :

— رفع الإصر عن قضاة مصر

جزءان ، تحقيق د . حامد عبد المجيد ، محمد أبو سنة — القاهرة ١٩٥٧ — ١٩٦١

(٤٦) الروض الزاهر = ابن عبد الظاهر (محي الدين ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

— الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر .

تحقيق د . عبد العزيز الخويطر ، الرياض ١٩٧٦ .

(٤٧) روض القرطاس = ابن أبى زرع (على بن محمد بن أحمد ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م) :

— الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس — الرباط ١٩٧٣ م .

(٤٨) زبدة الفكرة = بيبرس الدوادار (الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصورى ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) :

— زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة الجزء التاسع — مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٨ .

(٤٩) زبدة كشف الممالك = ابن شاهين (خليل بن شاهين الظاهرى ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م) :

— زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك نشر بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ م .

(٥٠) السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب = د . محمد محمد أمين .

— السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ —

١٢٤٩ م) رسالة ماجستير - غير منشورة - بجامعة القاهرة ١٩٦٨ م .

(٥١) السلوك = المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

ج ١ - ٢ (٦ أقسام) تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م .

ج ٣ - ٤ (٦ أقسام) ، تحقيق د . سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ .

(٥٢) السفن الإسلامية = د . درويش النخيلى :

السفن الإسلامية على حروف المعجم ، الإسكندرية ١٩٧٤ .

(٥٣) شذرات الذهب = ابن العماد الحنبلى (عبد الحى بن أحمد بن محمد ت ١٠٨٩ - ١٦٧٨ م) :

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

(٥٤) شفاء الغرام = الفاسى (محمد بن أحمد الحسنى المكى ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :

– شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، القاهرة ١٩٥٦ .

(٥٥) شمال أفريقيا والحركة الصليبية = د . محمد محمد أمين

– شمال أفريقيا والحركة الصليبية
– مجلة الدراسات الأفريقية –
العدد الثالث – القاهرة ١٩٧٥ .

(٥٦) صبح الأعشى = القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد
ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

– صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء ، القاهرة
١٩١٩ – ١٩٢٢ م .

(٥٧) الطالع السعيد = الإدفوى (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب
ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

– الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق
سعد محمد حسن ، القاهرة ١٩٦٦ .

(٥٨) الطبقات السنية = الدارى (تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى
ت ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م) :

– الطبقات السنية فى تراجم الحنفية . جـ ١ تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٧٠ .

(٥٩) طبقات الشافعية = السبكى (عبد الوهاب بن على ت٧٧١/ ١٣٧٠م) .
– طبقات الشافعية الكبرى ، ١٠ أجزاء، القاهرة .

(٦٠) طبقات القراء — ابن الجزرى (محمد بن محمد ت ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٩م):

— غاية النهاية فى طبقات القراء، نشره ج. برجستراسر، ٣ أجزاء القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

(٦١) طبقات المفسرين — الداودى (محمد بن على بن أحمد ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) :

— طبقات المفسرين، جزءان تحقيق د. على محمد عمر القاهرة ١٩٧٢ .

(٦٢) العبر — الذهبي (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ / ١٣٤٨ م) :

— العبر فى خبر من غبر ، نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد — ٥ أجزاء ، الكويت ١٩٦٠ — ١٩٦٦ .

(٦٣) العقد الثمين — الفاسى (محمد بن أحمد الحسنى المكى ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م) :

— العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد السيد، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٩ — ١٩٦٩ م .

(٦٤) عقد الجمان — العينى (محمود بن أحمد بن موسى، بدر الدين ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١ م) :

— عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان .
مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٦٥) العقود اللؤلؤية = الخزرجي (علي بن الحسن الخزرجي ت ٨١٢ هـ / ١٩١١ م) :

— العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية — جزءان — القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

(٦٦) غاية المرام = ابن فهد (عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٧ م) :

— غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام — تحقيق فهيم شلتوت — مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي — جامعة أم القرى — مكة المكرمة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٦٧) الفنون الإسلامية والوظائف = د . حسن الباشا :

— الفنون الإسلامية والوظائف ٣ أجزاء — القاهرة ١٩٦٢ .

(٦٨) فوات الوفيات = ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) :

— فوات الوفيات . تحقيق د . إحسان عباس — بيروت ١٩٧٣ .

(٦٩) فهرست وثائق القاهرة = د . محمد محمد أمين :

— فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر

سلاطين المماليك ، مع نشر وتحقيق تسعة نماذج .

المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة — ١٩٨١ .

(٧٠) القاموس الجغرافي = محمد رمزي :

— القاموس الجغرافي للبلاد المصرية .

قسمان في ٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٣ .

(٧١) القاموس المحيط = الفيروزآبادي (محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨٠٣ هـ / ١٤٠٠ م) :

(٧٢) كشف الظنون = حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م) :

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون — طهران ١٣٨٧ هـ / ١٩٤٧ م .

(٧٣) كنز الدرر = ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت بعد ٧٣٦ هـ / ١٢٣٥ م) :

— كنز الدرر وجامع الغرر .

الجزء الثامن : الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية ، حققه أولرخ هارمان ، القاهرة ١٩٧١ .

(٧٤) لسان العرب ـــ ابن منظور (جمال الدين محمد مكرم الأنصاري ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) :

ـ لسان العرب ، ٢٠ جزء ، بولاق ١٣٠٠ هـ .

(٧٥) المختصر ـــ أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل ، الملك المؤيد ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) :

ـ المختصر في أخبار البشر ـ ٤ أجزاء ـ استانبول ١٢٨٦هـ .

(٧٦) مدن مصر وقراها ـــ د . عبد العال عبد المنعم الشامي :

ـ مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي .
الكويت ١٩٨١ .

(٧٧) مرآة الجنان = اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) :

ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ٤ أجزاء ، حيدرآباد ١٣٧٧ هـ .

(٧٨) معجم البلدان ـــ ياقوت الرومي (ابن عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) :

ـ معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت

(٧٩) المقفى ـــ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢ م) :

ـ المقفى

مخطوط مصور بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة

(٨٠) الملل والنحل = الشهرستانى (محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) :

ـ الملل والنحل القاهرة ١٩٥١ .

(٨١) المنهل = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

ـ المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى

جـ ١، ٢ تحقيق د . محمد محمد أمين ـ القاهرة ١٩٨٤ .

جـ ٣ تحقيق د . نبيل محمد عبد العزيز ـ القاهرة ١٩٨٥

جـ ٤ تحقيق د . محمد محمد أمين - القاهرة ١٩٨٦

و باقى الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية

(٨٢) المواعظ والاعتبار = المقريزى (تقى الدين أحمد بن على ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .

(٨٣) النجوم الزاهرة = ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) :

ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٦ جزء ، ١٩٢٩ - ١٩٧٢ م .

(٨٤) نزهـة النفوس = الصيرفى (على بن دواود الصيرفى ت ٩٠٠ هـ/١٤٩٤م):

— نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان

٣ أجزاء تحقيق د . حسن حبشى ،

القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٣

(٨٥) نظم العقيان = السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م):

— نظم العقيان فى أعيان الأعيان

تحقيق فيليب حتى ، نيو يورك ١٩٢٧ .

(٨٦) نكت الهميان = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليـل ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢ م) :

— نكت الهميان فى نكت العميان ، القاهرة ١٩١١م .

(٨٧) نهـاية الأرب = النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) :

— نهاية الأرب فى فنون الأدب

٢٩ جزء مطبوع بالقاهرة ١٩٢٣—١٩٨٨

و باقى الكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية

رقم ٥٤٩ معارف عامة

(٨٨) هدية العارفين = البغدادى (إسماعيل باشا) :

— هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، جزءان

(٨٩) الوافى بالوفيات = ابن أيبك الصفدى (صلاح الدين أبو الصفا خليل ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

ـ الوافى بالوفيات

١٧ جزء نشر جمعية المستشرقين الألمانية ، وباقى الكتاب مخطوط بدار الكتب رقم ٧٧١ تاريخ تيمور .

(٩٠) وفيات الأعيان = ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ .

من أعمال المحقق التى أفاد منها فى تحقيق هذا المجلد :

١ ـ الأوقاف والحياة الإجتماعية فى مصر ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م ـ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٠ م .

٢ ـ الأوقاف والحياة الثقافية فى العصور الوسطى ـ بحث مقدم للندوة الدولية عن الأوقاف فى الوطن العربى ـ الرباط ١٩٨٥ ـ نشر ضمن أبحاث الندوة التى صدرت عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٣ — الأرقاف ونظام التعليم فى مصر فى العصور الوسطى — بحث مقدم لمؤسسة آل البيت لبحوث الحضارة الإسلامية — الأردن ١٩٨٦ م .

٤ — تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه — للحسن بن عمر بن الحسن ابن عمر بن حبيب المتوفى سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م — دراسة ونشر وتحقيق — صدر فى ثلاث مجلدات :

المجلد الأول : حوادث وتراجم ٦٧٨ — ٧٠٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٣٠٩ م الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م .

المجلد الثانى : حوادث وتراجم ٧٠٩ هـ — ٧٤١ هـ / ١٣٠٩ — ١٣٤٠ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ .

المجلد الثالث : حوادث وتراجم ٧٤١ — ٧٧٠ هـ / ١٣٤٠ — ١٣٦٨ م . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

٥ — تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى — فصل من كتاب « العلاقات العربية الأفريقية » — معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٧٧ م .

٦ — تفويض من عصر السلطان العادل طومان باى «صانع السلاطين» (وهو الوثيقة ٧٣٩ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، والمؤرخة ١٢ رجب ٩٠٦ هـ وهو تفويض صادر من السلطان جان بلاط) — المجلة التاريخية المصرية — مجلد ٢٧ سنة ١٩٨١م .

٧ – السخاوى ومؤرخو عصره ، مع نشر وتحقيق مقامة الكاوى على تاريخ السخاوى للسيوطى – بحث مقدم للندوة الدولية عن المؤرخ السخاوى - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية القاهرة ١٩٨٢ – بحث منشور ضمن أبحاث الندوة التى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة بمصر .

٨ – الشاهد العدل فى القضاء الإسلامى – دراسة تاريخية مع نشر وتحقيق إسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك (وهو الوثيقة ٧٩١ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة والمؤرخة سنة ٨٦٠ هـ) حوليات إسلامية Annales Islamologiques المجلد ١٨ سنة ١٩٨٢ م المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

٩ – شمال إفريقيا والحركة الصليبية – مجلة الدراسات الإفريقية – العدد الثالث ١٩٧٥ .

١٠ – الصومال فى العصور الوسطى – فصل من كتاب عن جمهورية الصومال أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦م .

١١ – العبدلاب وسقوط مملكة علوة – بحث فى انتشار الإسلام والعروبة فى وسط سودان وادى النيل – مجلة الدراسات الإفريقية – العدد الثانى ١٩٧٤ .

١٢ – العرب والدعوة الإسلامية فى شرق إفريقيا – مجلة الدارة – الرياض ١٩٨٥ .

١٣ — عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان — لبدر الدين محمود العينى المتوفى سنة ٨٥٥ هـ ١٤٥١ م — دراسة ونشر وتحقيق ، صدر منه مجلدان :

المجلد الأول : حوادث وتراجم ٦٤٨ — ٦٦٤ هـ / ١٢٥٠ — ١٢٦٥ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

المجلد الثانى : حوادث وتراجم ٦٦٥ — ٦٨٨ هـ / ١٢٦٦ — ١٢٨٩ م — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ م .

١٤ — العلاقات بين دولتى مالى وسنغاى وبين مصر فى عصر سلاطين المماليك ١٢٥٠ — ١٥٢٧ م — مجلة الدراسات الإفريقية — العدد الرابع ١٩٧٦ م .

١٥ — علماء زيلع فى مصر ودورهم فى الحضارة الإسلامية فى القرن ٩ هـ / ١٥ م — بحث مقدم للندوة الدولية عن القرن الإفريقى — نشر ضمن أبحاث الندوة — صدر بالقاهرة ١٩٨٧ م .

١٦ — فهرست وثائق القاهرة حتى نهاية عصر سلاطين المماليك (٣٢٩ — ٩٢٣ هـ / ٨٥٣ — ١٥١٦ م) مع نشر وتحقيق تسعة نماذج — المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٠ .

١٧ — مرسوم السلطان برقوق إلى رهبان دير سانت كاترين بسيناء (وهو المرسوم المحفوظ بمكتبة الدير رقم ٤٥ والمؤرخ ١٧ شعبان سنة ٨٠٠ هـ) — مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم — العدد الخامس ١٩٧٤ .

١٨ - مصارف أوقاف السلطان الملك الناصر حسن بن محمد قلاون على مصالح القبة والمسجد والجامع والمدارس ومكتب السبيل بالقاهرة (وهى الوثيقة ٤٠ / ٦ المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، وصورتها رقم ٨٨١ق المحفوظة بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ .

١٩ - معاهدة تجارية بين مصر والبندقية من عصر السلطان المؤيد شيخ - دراسة فى العلاقات الإقتصادية بين مصر والبندقية فى أوائل القرن ٩ هـ / ١٥ م - بحث مقدم للندوة الدولية عن مصر وعالم البحر المتوسط - القاهرة ١٩٨٥ - نشر ضمن أبحاث الندوة التى صدرت بالقاهرة عن دار الفكر بالقاهرة ١٩٨٦ .

٢٠ - منشور بمنح اقطاع من عصر السلطان الغورى (وهو الوثيقة ٧٨٩ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة ، والمؤرخة ٧ ذو الحجة ٩١٦ هـ - حوليات إسلامية . Annales Islamologiques المجلد ١٩ سنة ١٩٨٣ - المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة .

٢١ - المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى - ليوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م - دراسة ونشر وتحقيق - صدر منه ٤ مجلدات عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م/١٩٨٦ م .

٢٢ — نهاية الأرب فى فنون الأدب — لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م — دراسة ونشر وتحقيق للجلد رقم ٢٨ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨ .

٢٣ — وثائق من عصر سلاطين المماليك — دراسة ونشر وتحقيق تسعة نماذج متنوعة — المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة١٩٨١ .

٢٤ — وثائق وقف السلطان قلاون على البيمارستان المنصورى (الوثيقة رقم ١٥ / ٢ بدار الوثائق القومية بالقاهرة ، وصورتها رقم ١٠١٠ ق بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

٢٥ — وثائق وقف السلطان الناصر محمد بن قلاون (وهى الوثائق رقم ٢٥ / ٤ وصورتها ٣١ / ٥ ، ٢٧ / ٥ ، ٣٠ / ٥) المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة — والمتضمنة وقف خانقاة سرياقوس والوقف على مصالحها — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م .

٢٦ — وثيقة وقف ذمية (وثيقة وقف ماريا ابنة أبى الفرج بركات — من وثائق بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة رقم ١٩/٤١ — الدرب الأحمر) — انظر :

Un Acte de Fondation du Waqf Par une Chretienne – Journal of Economic and Social History of Orient (G. E. S. H. O.) Vol. XVIII, p.1, 1975

٢٧ – وثيقة وقف السلطان قايتباى على المدرسة الأشرفية وقاعة السلاح بدمياط (الوثيقة ٨٨٩ ق أوقاف وصورتها رقم ٧٠٣ جديد بأرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة) – المجلة التاريخية المصرية مجلد ٢٢ سنة ١٩٧٥ .

فهرست موضوعات عقد الجمان

٦٦٥ – ٦٨٨ هـ (*)

(*) هذا الفهرست طبقا للعناوين الرئيسية والفرعية التى وضعها المؤلف .

صفحة

يوجد سقط فى نسخة عقد الجمان يتضمن :

• • •

فهـارس الكتاب

* * *

انتهى الجزء الثانى من القسم الخاص

بعصر سلاطين المماليك

من كتاب عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان

لبدر الدين العينى

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث

ويبدأ بحوادث السنة التاسعة والثمانين بعد الستمائة